



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة

منهج ابن خلدون في دراسة الفرق عرض ونقد

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العقيدة

إعداد الطالب:

عكرمة أبوبكر عبدالقادر الأنصاري

الرقم الجامعي: ٤٣١٨٠٣٧٠

إشراف فضيلة الشيخ:

الدكتور/ إبراهيم خليفة عبداللطيف خليفة

١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م



ملخص الرسالة

أهمية هذا البحث تكمن في الشخصية التي تناولها، وهو العلامة ابن خلدون الذي ترك بصمات واسعة أسهمت فيما بعد في تشكيل وعي جمعي، يعتمد بالدرجة الأولى على مدرسته في علمي التاريخ والعمران البشري الذي ابتكره.

ولما لهذين العلمين من صلة وثيقة بالجانب العقدي والفرقي وخاصة ما يتصل بتفسير الظواهر، ومن ضمنها مسائل الافتراق وقع الاختيار على موضوع البحث والذي جاءت خطته في مقدمة وتمهيد وفصلين ثم خاتمة.

وقد أوضحت في المقدمة أسباب اختيار الموضوع والدراسات السابقة مع بيان طريقتي في البحث. وفي التمهيد كان التعريف بالمنهج وشخصية ابن خلدون وتعريف مختصر بالفرق.

أما الفصل الأول: فتحدثت فيه عن المنهجية التي بنى عليها ابن خلدون دراسته للفرق وقسمته إلى خمسة مباحث.

وأما الفصل الثاني: فهو دراسة تطبيقية للفرق التي تناولها ابن خلدون وجاء هذا الفصل في خمسة مباحث.

وكانت نهاية البحث بالخاتمة التي اشتملت على أهم النتائج ومنها:

١- العامل الديني مؤثر بقوة في منهج ابن خلدون، وهذا ناتج عن تنشئته العلمية والشرعية.

٢- تشكل العصبية محور نظريات ابن خلدون.

٣- علم العمران البشري الذي ابتكره سيطر على طريقة تناوله للفرق.

٤- يتسم موقفه من الفرق بصفة عامة بالحياد وعدم الجزم في الحكم.

Abstract

The importance of this research lies in the personality it addressed, namely Ibn Khaldoun, who left his large effects that contributed later in the formation of a collective consciousness depends primarily on his school in the history and human development, which he created.

Due to the close connection between these trends with the doctrinal aspects, and especially to what relevant with the interpretation of phenomena including. From these phenomena is sects themes, which is the theme of the study. This study consists of an introduction, preface, two chapters and a conclusion.

The introduction has the reasons of selecting this theme, the previous studies and the study's method. A for the preface, it has the identification with the method, ibn Khaldoun and a brief about sects. As for the first chapter, it has the approach of Ibn Khaldoun in his studying to the sects, and it has five searches.

The second chapter is an applied study of the sects that addressed by Ibn Khaldoun, and it consists of five searches.

Finally, the conclusion has the results of the study from which:

- 1- The religious factor strongly influential in the curriculum of Ibn Khaldoun, and this is the results of his academic and legal upbringing.
- 2- Fanaticism is axis of Ibn Khaldoun Theories.
- 3- The trend of human development that he created controlled on his method in dealing with sects.
- 4- His attitude towards sects is generally neutral and non-assertion in judgment

المقدمة

المقدمة

الحمد لله الذي أتم هذا الدين، وجعل النجاة والنار والفوز بالجنان متعلقا بالتمسك والالتزام به، والصلاة والسلام على النبي المختار، الذي باتباعه يكون الخلاص وبالسير على منهجه وطريقه يحصل الفلاح، والذي ترك الأمة على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، وعلى آله الأطهار وصحبه حملة الدين، الذين زكاهم نبهم بأن منهجهم وماهم عليه هو سبيل النجاة، وأن من فارقههم وخالفهم، يخشى عليه الهلاك، وهم الفرقة الناجية، والطائفة المنصورة، والحق يكون في الاقتداء بهم، وعلى قدر القرب منهم، تكون الهداية وطائفتهم المقياس الذي تحكم إليه الفرق قريبا وبعدا عن الصواب، لشهودهم التنزيل، وعلمهم بالمراد وللتزكية الربانية لهم والثناء النبوي عليهم، ولما كان الافتراق والاختلاف أمرا محتما بقضاء كوني: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ (١١٨) إِلَّا مَنْ رَجَعَ رُبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ [هود: ١١٨-١١٩].

لذلك اقتضت الرحمة الربانية بعباده، إيجاد طريق لعباده يقودهم للنجاة والفوز بالرضوان.

﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١٥٣) [الأنعام: ١٥٣].

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

إن نشوء الفرق لم يكن إلا بسبب ابتعاد الناس عن الطريق المستقيم الذي كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، والتفرق من أعظم الأمور التي ابتليت بها هذه الأمة، وهو السبب الرئيسي للمحن والفتن، التي وقعت في تاريخ أمة الإسلام. والافتراق هو الذي أغرى الأعداء، وجعلهم يستهدفون أمة الإسلام

ويتسلطون عليها، وهو أيضا أي: الافتراق أس المشاكل في العصر الحاضر ولازال مستمرا، وكثير من الفرق والطوائف التي يقال إنها اندثرت، لازالت أفكارها حية لكن بمسميات جديدة.

وانطلاقا من هذا كله قصدت أن يكون الموضوع له علاقة بالفرق، عبر دراسة شخصية العلامة ابن خلدون، الذي يعتبر بحق أحد الأعلام البارزين، في التاريخ الإسلامي بل والإنساني بأجمعه، ويكاد يعتبر المرجع النهائي، للكثير من الباحثين، فيما يتعلق بتفسير علمي التاريخ والاجتماع، لما يتميز به من حيادية واستنباط علمي، هو نتاج استقراء كامل وبناء على معطيات توفرت لديه، فهو لا يحكم على الأشياء قبل تحليلها وسبر أغوارها، ومعرفة أبعادها، إضافة إلى موسوعيته، وعبقريته الفذة. ولاشك أن علم الفرق يدخل ضمن الدراسات التاريخية التي يعتبر ابن خلدون أحد روادها القلائل ولم لا؟

وإنتاجه يتميز بالثراء فيما يخص موضوع البحث.

وهذا ماجعلني بعد طول تفكير وتأن، وقبل ذلك موافقة المرشد الأكاديمي الشيخ الدكتور:- أحمد العبد اللطيف وبعد استشارة عدد من العلماء والمشايخ والفضلاء وأصحاب الاختصاص، أختار هذا الموضوع الشيق والشائك في نفس الوقت، الذي حاولت من خلاله معرفة المنهج الذي سار عليه هذا العلامة في تناوله للفرق، من خلال كتبه وإنتاجه العلمي الذي يغلب عليه الجانب التاريخي والتحليلي، مما يساعد في الوقوف على الأسباب التي أدت إلى الافتراق والنتائج التي يفضي إليها.

❖ أهمية البحث:

وتتمثل أهمية البحث في النقاط التالية:

- ١- الحاجة الملحة لفهم ظاهرة الافتراق نظرا للأثر السلبي البالغ للافتراق.
- ٢- معرفة المنهج الأسلم في التعامل مع المخالف وعدم الحكم المسبق وتأخير

النتيجة لما بعد البحث.

٣- مكانة ابن خلدون العلمية وخاصة في المجال التاريخي في جانبه النقدي والتحليلي، إضافة إلى اهتمام ابن خلدون الفائق بالعقائد سواء من الناحية الكلامية، أو من خلال نقده للفلسفة والمنطق أو دراسته لظاهرة التصوف، يضاف إلى هذا كون ابن خلدون متأخرا من الناحية الزمنية، فهو توفي مستهل القرن التاسع، مما يجعله على دراية كاملة بما سبقه من إنتاج علمي، له علاقة بالفرق التي كان ظهور معظمها سابقا على عصره بقرون.

٤- محاولة ربط نتائج البحث بالواقع المعاصر، فيما يخص المنهج في التعامل مع الفرق والمذاهب الفكرية المعاصرة.

❖ الدراسات السابقة :

ابن خلدون شخصية غير اعتيادية تناولتها العديد من الدراسات، وألفت عنه الكثير من المصنفات، أغلبها يتناول الجانب التاريخي والفلسفي والاجتماعي، إلا أن الجانب العقدي عنه قليل جدا وخاصة من منظور سلفي، والرسائل التي قدمت عن ابن خلدون في هذا التخصص هي كالتالي:

١- أثر الإسلام في نظرة ابن خلدون للإنسان والأديان، هشام بن حسن العطار - رسالة ماجستير من قسم الثقافة جامعة الإمام.

٢- ابن خلدون وآراؤه الاعتقادية - عرض ونقد - الدكتور عبدالله عبدالرشيد - رسالة دكتوراه - قسم العقيدة - جامعة أم القرى.

وهي أهمها وألصقها بالموضوع محل البحث، وقد استفدت منها كثيرا، وخاصة فيما يتعلق بالمراجع، ودراسة الشخصية، لكن الشيخ في البحث تناول ابن خلدون من خلال آرائه في آحاد المسائل العقدية ومن ثم نقدها، أما هذا البحث فهو استقراء لمنهج ابن خلدون في دراسته للفرق وموقفه منها والفرق بين الباحثين بين وواضح.

فالأول يعتني بعرض المسائل ورأي ابن خلدون فيها ونقدها، أما هذا البحث فمحاولة لرصد وتوصيف واستقراء لمنهج ابن خلدون في تعامله مع الفرق، ودراسته من خلال كتبه وذكر الخصائص التي تميز منهجه والقواعد التي سار عليها. ولم أقف بعد بحث وتفتيش وسؤال المختصين إلا على هاتين الرسالتين (الفكر الكلامي عند ابن خلدون) و(ابن خلدون وآراؤه الاعتقادية) مما له صلة مباشرة بموضوع البحث، ولم أجد أحدا تناول منهج ابن خلدون في دراسة الفرق أو موقفه منها في رسالة علمية.

❖ منهج البحث:

- ١- المنهج الاستقرائي وذلك لاستقراء ما كتبه ابن خلدون في الفرق.
- ٢- المنهج التحليلي لدراسة وتحليل ما كتبه ابن خلدون فيما يخص الفرق.
- ٣- المنهج النقدي للوقوف على ما كتبه مما خالف فيه منهج أهل السنة والجماعة.

❖ طريقة البحث:

- ١- الالتزام بالمنهج العلمي والرجوع للمصادر الأصيلة.
- ٢- الاجتهاد في استخراج المنهج الذي سار عليه ابن خلدون في تناوله للفرق من خلال ما كتبه.
- ٣- ذكر السورة ورقم الآية عند إيرادها.
- ٤- تخريج الأحاديث الواردة بالبحث.
- ٥- ذكر المرجع ومؤلفه في الهامش عند أول إيراد له.
- ٦- ترجمة مختصرة ودالة لجميع الأعلام الواردة إلا من استفاضت شهرتهم كالخلفاء الراشدين والأئمة الأربعة.

❖ خطة البحث:

وقد اشتملت الخطة على مقدمة وتمهيد وفصلين وخاتمة.

مقدمة.

تمهيد: وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف المنهج .

المبحث الثاني: التعريف بابن خلدون .

المبحث الثالث: التعريف بالفرق .

الفصل الأول: المنهجية التي بنى عليها ابن خلدون دراسته للفرق.

وتحتة خمسة مباحث:

المبحث الأول: أصول منهج ابن خلدون في دارسته للفرق.

المبحث الثاني: المصادر التي اعتمد عليها ابن خلدون في دارسته للفرق.

المبحث الثالث: عوامل نشأة الفرق عند ابن خلدون.

المبحث الرابع: القواعد المنهجية التي اعتمد عليها في دارسته للفرق.

المبحث الخامس: خصائص منهج ابن خلدون ومميزاته.

الفصل الثاني: الفرق التي تناولها ابن خلدون بالدراسة (دراسة

تطبيقية) وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: دارسته لفرقة الخوارج.

المبحث الثاني: دارسته لفرق الشيعة.

المبحث الثالث: دارسته للفرق الكلامية.

المبحث الرابع: دارسته للتصوف والصوفية.

المبحث الخامس: دارسته لفرق الباطنية والفلاسفة.

الخاتمة.

وتتضمن أهم النتائج المستخلصة .

وبعد: فالحمد لله أولا وآخرا وظاهرا وباطنا فهو سبحانه وتعالى المستحق للحمد والشكر ، لك الحمد حتى ترضى ، ولك الحمد إذا رضيت ، ولك الحمد بعد الرضا ، ولك الحمد على كل حال .

وبعد شكر الله أشكر من قرن الله حقه بحقهما ، وشكرهما بشكره ، والدي الكريمين غفر الله لهما وأسكنهما فسيح جناته ، وحق الوالدة علي لا يوافيه شكر قلم ولا لسان ، فقد كانت لي بمنزلة الأم والأب ، إذ قامت برعايتي وتربيتي منذ نعومة أظفاري ، بعد وفاة والدي -رحمه الله - ترشدني وتوجهني ، ولا يفتر لسانها عن الدعاء لي ، حتى توفها الله أثناء كتابتي لهذا البحث ، فاللهم أغفر لها وأرض عنها ، وأجعلها في أعلى جنان الخلد ، وأجمعني معها في مستقر رحمتك ، واجعل ما أصابها تكفيرا لها .

ولا أنسى شكر من كان هذا البحث بمتابعة دقيقة ودؤوبة منه صاحب الفضيلة الأستاذ الدكتور: إبراهيم خليفة عبداللطيف فقد كان حازما حريصا على الإنجاز ، وصبر على تقصيري وكسلي فجزاه الله خيرا وكتب أجره .

والشكر موصول لصاحبي الفضيلة عضوي لجنة المناقشة الذين شُرفت بالدراسة عليهما ، وتفضلا علي بقبول تصويب الرسالة ، أ.د. سالم بن محمد القرني رئيس القسم السابق ، وأ.د. عبدالله بن سمك بن عبدالحميد جزاهما الله خيرا ونفعني بعلمهما .

كما أشكر جامعة أم القرى على إتاحة الفرصة للدراسة بها ممثلة في كلية الدعوة
وأصول الدين ، وأخص بالذكر قسم العقيدة العامر .
وأشكر كل من أعانني في هذا البحث بلا استثناء

* وصلى الله وسلم على نبينا محمد
وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين *



التمهيد

التمهيد

وفيه ثلاثة مباحث:

- ✧ المبحث الأول: التعريف بالمنهج.
- ✧ المبحث الثاني: التعريف بابن خلدون.
- ✧ المبحث الثالث: التعريف بالفرق.

المبحث الأول: التعريف بالمنهج

أولاً: تعريف المنهج في اللغة والاصطلاح:

أ - تعريضة في اللغة:

قبل الحديث عن تاريخ المناهج ونشأتها وأهم أقسامها، لا بد من الوقوف على التعريف اللغوي، لنعرف أصل الكلمة وأوجه استخدامها عند العرب قال الأزهري: ^(١) "نهج: طريق نهج وطرق نهجة، وقد نهج الأمر وأنهج، لغتان: إذا وضح، ومنهج الطريق: وضح، والمنهاج: الطريق الواضح". ^(٢)

وعرفه الجوهري ^(٣): "النهج: الطريق الواضح، وكذلك المنهج والمنهاج. وأنهج

(١) محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور: (٢٨٢ - ٣٧٠هـ) أحد الأئمة في اللغة والأدب، مولده ووفاته في هراة بخراسان. عني بالفقه فاشتهر به أولاً، ثم غلب عليه التبحر في العربية.

انظر: إنباه الرواة على أنباه النحاة، جمال الدين القفطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ١٧٧/٤، ط الأولى ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م، دار الفكر العربي، القاهرة ومؤسسة الكتب الثقافية، بيروت.

سير أعلام النبلاء: الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين إشراف شعيب الأرنؤاط، ٣١٥/١٦، ط الثالثة ١٤٠٥هـ، مؤسسة الرسالة.

الأعلام: الزركلي ٣١١/٥، ط الخامسة عشرة، ٢٠٠٢م، دار العلم للملايين، بيروت.

(٢) تهذيب اللغة: محمد الأزهري ٤١/٦، تحقيق: محمد عوض معرب، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط الأولى، ٢٠٠١م.

(٣) إسماعيل بن حماد الجوهري، أبو نصر (ت ٣٩٣هـ): لغوي، من الأئمة، أشهر كتبه (الصحاح) مجلدان. وله كتاب في (العروض) ومقدمته في (النحو) أصله من فاراب.

انظر: يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر: الثعالبي، تحقيق: مفيد قميحة، ٤/٤٦٨، ط الأولى، ١٩٨٣م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. معجم الأدباء: الحموي، تحقيق: إحسان عباس، ٢/٦٥٦، ط الأولى، ١٤١٤هـ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان. الأعلام: الزركلي، ١/٣١٣.

الطريق، أي استبان وصار نهجا واضحا بينا".^(١).

وقال ابن منظور:^(٢)

"نهج: طريق نهج: بين واضح، وهو النهج، والمنهاج: كالمنهج. وأنهج الطريق: وضح واستبان وصار نهجا واضحا بينا. والمنهاج: الطريق الواضح. واستنهج الطريق: صار نهجا."^(٣)

والمأمل في المعاني السابقة يجد أن معظمها يدور حول الطريق ووضوحه وهذا المعنى هو الذي ورد في القرآن الكريم قَالَ تَعَالَى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨].

قال ابن جرير الطبري^(٤) وأما "المنهاج" فإن أصله: "الطريق البين الواضح وقال: فمعنى الكلام لكل قوم منكم جعلنا طريقا إلى الحق يؤمه، وسيلا واضحا

(١) الصحاح: للجوهري، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار ١/٣٤٦، الناشر: دارالعلم للملأين، بيروت، ط الرابعة، ١٩٨٧ م.

(٢) ابن منظور: (٦٣٠ - ٧١١ هـ) محمد بن مكرم الأنصاري الإمام اللغوي الحجة. صاحب (لسان العرب) خدم في ديوان الإنشاء بالقاهرة ثم ولي القضاء في طرابلس وعاد إلى مصر فتوفي فيها، وقد ترك بخطه نحو خمسمائة مجلد.

انظر: بغية الوعاة: السيوطي ١/٢٤٨ تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: المكتبة العصرية، لبنان، صيدا. الأعلام للزركلي: ٧/١٠٨.

(٣) لسان العرب: ابن منظور الأنصاري ٢/٣٨٣، ط الثالثة، ١٤١٤ هـ، دار صادر، بيروت، لبنان.

(٤) الطبري: (٢٢٤ - ٣١٠ هـ) محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر: المؤرخ المفسر الإمام، له من مصنفاته تاريخ الأمم والملوك المشهور بتاريخ الطبري، وجامع البيان في تفسير القرآن وهو من ثقات المؤرخين.

انظر: وفيات الأعيان، ابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس ٤/١٩١، ط الأولى، ١٩٧١ م، دار صادر، بيروت، لبنان. الوافي بالوفيات: الصفدي، تحقيق: الأرنؤط ٢/٢١٢، ط ١٤٢٠ هـ دار إحياء التراث، بيروت، لبنان. الأعلام: الزركلي ٦/٦٩.

يعمل به" (١).

والمنهج بمفهومه الحالي ، لم يكن معروفا في عصور التأليف الإسلامي الأولى ، لذا لن نجد له إلا التعريف اللغوي في الكتب التي تهتم بالتعريفات كالكليات (٢) للكفوي (٣) مثلاً.

ب- تعريف المنهج في الاصطلاح:

هو الطريق الذي يسلكه الباحث من أجل التوصل إلى نتائج سليمة ومعلومة، عبر اتباع قواعد عامة تهيمن على سير العقل، وتحدد عملياته الفكرية وعرفه عبدالرحمن بدوي (٤) بأنه " فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة إما من أجل الكشف عن الحقيقة حين نكون بها جاهلين، أو البرهنة عليها للآخرين حين نكون بها عارفين" (٥).

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: الطبري، تحقيق: التركي ٨/ ٤٩٣، ط الأولى، ٢٠٠١م، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان.

(٢) انظر: الكليات: أبو البقاء الكفوي، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري ص ٩١٣، ط الثانية، ١٩٩٨م، دار الرسالة، بيروت، لبنان.

(٣) الكفوي: (ت ١٠٩٤هـ) أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء: صاحب (الكليات) كان من قضاة الأحناف. عاش وولي القضاء في (كفه) بتركيا، وبالقدس، وبيغداد. وعاد إلى إستانبول فتوفي بها.

انظر: الأعلام: الزركلي ٢/ ٣٨.

(٤) عبدالرحمن بدوي: (١٣٣٥هـ - ١٤٢٢هـ) يعد أحد رواد ومعتنقي المذهب الوجودي الفكري، وأحد أبرز أساتذة مدرسته في العصر الحاضر على مستوى العالم العربي.

انظر: سيرة حياتي: ص ٥، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٠، بيروت. وموسوعة الفلسفة له ١ / ٢٩٥، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط الأولى، ١٩٩٦م.

(٥) كتاب مناهج البحث: د. عبدالرحمن بدوي، ص ١-٦، ط الثالثة، ١٩٧٧م، وكالة المطبوعات بالكويت.

والمنهج قد يكون تأملياً، وهو الذي يسير فيه العقل سيرا مقصودا وبخطوات معلومة وفق قواعد معينة، وقد يكون منهجا تلقائياً، يسير فيه العقل بطريقة فطرية دون قواعد متبعة، وهو وإن كان موصلاً للحقيقة لكنه ليس المقصود بعلم المناهج^(١). وهكذا يتبين أن المنهج هو الطريق الذي يسلكه الباحث، من أجل التوصل إلى نتائج سليمة ومعلومة، عبر اتباع قواعد عامة تهيمن على سر العقل، وتحدد عملياته الفكرية.

❖ ثانياً: نشأة المنهج:

بحث الإنسان عن أساليب وطرق يستطيع من خلالها حل العضلات والتوصل إلى نتائج يقينية، عن طريق المعارف العقلية والحسية، ووجدت بعض الأفكار والطرق التي يمكن إطلاق طريقة أو منهج علمي عليها حتى وإن لم تكن سليمة النتائج، كما هو الحال مع ما خلفته الحضارة اليونانية ممثلة بفلسفتها وخاصة ما يتعلق بالحد الأريسطي، والذي كان لهما للسفسطائية الذي ينكرون الحقائق، وقد تبنى هذه الطريقة في التوصل إلى اليقينية النصرانية، والتي تبنتها لاحقاً روما والقسطنطينية، إلى أن جاء الإسلام فظهرت طرق جديدة في التثبت والبحث، تعتمد على الاستقراء والتحليل، وهذا واضح في علوم المصطلح والأصول واللغة العربية، فأصل هؤلاء لكل فن قواعد يمكن السير عليها، من أجل الوصول إلى نتائج مضمونة، ضمن منظومة علمية متناسقة، في شتى المجالات والفنون، فحتى المنهج الاستردادي الذي اعتمد عليه الغرب في مابعد، كانت بدايته الحقيقية من علماء المسلمين وفي مقدمتهم ابن خلدون، الذي أرسى قواعد في هذا المجال تعتمد على المطابقة بعد الشرط الثبوتي، الذي أرساه قبله المحدثون.

(١) انظر: منهجية البحث العلمي وضوابطه: الدكتور: حلمي عبدالمنعم صابر، ص ١٤، العدد (١٨٣)، ١٩٩٧م، سلسلة دعوة الحق، رابطة العالم الإسلامي.

وبعد عصر النهضة الإسلامي جاء دور النهضة الأوروبية، وكان إزدهار هذا العلم في القرن السابع عشر الميلادي، وأول من استخدم كلمة "علم المناهج" من الأوروبيين الفيلسوف الألماني كانط^(١) عند تقسيمه للمنطق إلى قسمين:

أولاً: مذهب المبادئ وهو الذي يبحث في الشروط والطرق الصحيحة للحصول على المعرفة.

ثانياً: علم المناهج الذي يهتم بتحديد الشكل العام لكل علم وبتحديد الطريقة التي يتشكل بها أي علم من العلوم.

وقد سبقه عدد من الفلاسفة أمثال فرنسيس بيكون^(٢) ورينيه ديكارت^(٣)، في وضع ملامح لما أصبح يطلق عليه اليوم "المنهج"

وفي هذا العصر نجد الكثير من المناهج على أن هناك بعض المناهج الكبرى التي يمكن القول بأن الاتفاق قد حصل عليها وهي:

(١) إيمانويل كانط: (١٧٢٤م - ١٨٠٤م) فيلسوف وعالم ألماني، ومؤسس لمذهب المثالية الكلاسيكية الألمانية، والمثالية النقدية، من كتبه: نقد العقل الخالص ونقد ملكة الحكم.

انظر: الموسوعة الفلسفية وضع لجنة من العلماء السوفييت، ص: ٣٨٧، ترجمة: سمير كرم، ط الثانية، ١٩٨٠م، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت.

(٢) فرانسيس بيكون: (١٥٦١م - ١٦٢٦م) ولد في قلب البلاط الملكي، في يورك هاوس، وأطلقت إليزابيث على الابن "حامل خاتم الملكة الصغير" الذي قدر له أن يكون أكبر أثرا على الفكر الأوروبي من أي شخص عداه من رجال عصر إليزابيث.

انظر: قصة الحضارة (٢٨ / ٥٧) لول ديورانت، تقديم: الدكتور محيي الدين صابر، ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمود وآخرين، الناشر: دار الجيل، بيروت، لبنان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

(٣) رينيه ديكارت: (١٥٩٦م - ١٦٥٠م) عالم وفيلسوف فرنسي، وهو حامل لواء الدعوة إلى التنوير في زمانه.

انظر: العالم أو النور: ص ٤٩ نقله إلى العربية إميل خوري، الطبعة الأولى لدار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

المنهج التجريبي، والجدلي، والتاريخي، والاستدلالي.^(١)

والناظر إلى المنهج الإسلامي في المعرفة وإثباتها يجد أنه يعتمد على طريقين:

أولاً: ما يتعلق بالخبري لا يمكن إثباته إلا بتقديم مستند ذلك من توثيق للنص وإثبات نسبه لقائله، وقد أبدع علماء مصطلح الحديث في هذا الجانب.

ثانياً: ما يتعلق بالجانب الاستنباطي والاستدلالي وهذا يمكن الوصول فيه إلى اليقين، وهو المنهج الإسلامي فيه إما بالمنهج التجريبي إن كان الأمر محسوساً، وإن كان عقلياً مجرداً فالقياس بأنواعه.^(٢)

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا التقسيم المعرفي: **قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتُنُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَنْزُرُوا مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأحقاف: ٤].**

والتأمل للمنهج الإسلامي يجده يهدف في النهاية إلى الوصول إلى العلم اليقيني، سواء عن طريق الاستقراء، أو عبر التوثيق والمقابلة والتحليل.

ومن أشهر من كان له باع طويل فيما يتعلق بالمنهج ابن خلدون محل الدراسة، فهو من ابتكر المنهج التاريخي إضافة إلى التراث الحديثي والأصولي السابق له، فقد أسس ابن خلدون ومن خلال مقدمته لمنهج جديد، ونحت مصطلحات تكاد تكون موقوفة على منهجه، كمصطلح المطابقة بين العلة والأسباب الذي هو علم العمران البشري، وهذا العلم هو المحك في دقة وصحة كل ما يتعلق بالرواية التاريخية، وما يتصل بها من إرث مكتوب أو شفهي، وهذا الإرث العلمي والمنهجي لابن خلدون جعله محط الدارسين فأصبحت هناك دراسات متخصصة تسمى بالخلدونيات.

(١) انظر: منهجية البحث العلمي ص ٣٠-٤١، فريق صناع الحياة، سيدي مروان، ميلة الجزائر، ٢٠٠٨م.

(٢) انظر: منهجية البحث العلمي وضوابطه، الدكتور: حلمي عبدالمنعم صابر، ص ٣٠.

المبحث الثاني: التعريف بابن خلدون

أولاً: حياته الشخصية:

أ - مولده ونسبه:

ولد في أول رمضان سنة اثنتين وثلاثين وسبعمئة بتونس^(١) ذكر ذلك السخاوي^(٢) ومكان ميلاده الآن يقع في إحدى شوارع تونس القديمة ويعرف الشارع باسم (تربة الباي) وهي الآن مدرسة الإدارة العليا وفي مدخله لوحة رخامية سجل فيها مولد ابن خلدون^(٣).

نسبه: عبدالرحمن بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن إبراهيم بن عبدالرحمن بن خلدون وقال: "لا أذكر من نسبي إلى خلدون غير هذه العشرة ويغلب على الظن أنهم أكثر وأنه سقط مثلهم عدداً لأن خلدون هذا هو الداخل إلى الأندلس، فإن كان أول الفتح، فالمدة لهذا العهد سبعمائة سنة، فيكونون زهاء العشرين؛ ثلاثة لكل مئة ونسبنا في حضرموت من عرب اليمن إلى وائل بن حجر، من أقبال العرب معروف وله صحبة. قال أبو محمد بن حزم^(٤) في كتاب

(١) انظر: الضوء اللامع، السخاوي، ٢/٢٨٦، منشورات دار الحياة، بيروت.

(٢) السخاوي: (٨٣١هـ - ٩٠٢هـ) محمد بن عبد الرحمن السخاوي شمس الدين، المحدث المؤرخ، صنف زهاء مئتي كتاب أشهرها (الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع) ترجم لنفسه فيه بثلاثين صفحة. وله (شرح ألفية العراقي) في مصطلح الحديث، و(المقاصد الحسنة) في الحديث.

انظر: الأعلام ٦/١٩٤.

(٣) انظر: ابن خلدون وآراؤه الاعتقادية، عبدالله عبدالرشيد، ص ٧٤، رسالة دكتوراة، مخطوطة، ١٤٢٠هـ، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى.

(٤) ابن حزم: (٣٨٤ - ٤٥٦هـ) علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، أبو محمد: عالم الأندلس في عصره، وأحد أئمة الإسلام، من أشهر مصنفاة: المحلى والفصل في الملل والأهواء والنحل، وجمهرة الأنساب.

"الجمهرة"^(١)، وهو وائل بن حجر بن سعيد بن مسروق بن وائل بن عوف بن عدي بن مالك بن شرحبيل بن الحارث بن مالك بن مرة بن حميري بن زيد بن الحضرمي بن عمرو بن عبدالله بن هانئ بن عوف بن جرشم بن عبدشمس بن زيد بن لأي بن شبت بن قدامة بن أعجب بن مالك بن لأي بن قحطان"^(٢). ويتحدث ابن خلدون عن أصولهم الأندلسية فيقول: "وأصل هذا البيت من إشبيلية"^(٣).

ب- نشأته ورحلاته:

نشأ ابن خلدون في بيت علم وعز وجاه في تونس، وذكر أنه تعلم صناعة العربية على والده^(٤).

وكانت تونس تعج بالعلماء ولازمهم وأخذ عنهم العلم الجسم إلى أن جاء الطاعون في سنة ٧٤٩هـ والذي أدى إلى هلاك كثير من الخلق، ومنهم والديه وهجرة من بقي، فاستوحشت نفسه البقاء في تونس، فتطلع إلى الهجرة طلباً للعلم، فألقى

= انظر: الأعلام للزركلي: ٤/ ٢٥٤. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: التلمساني، دار صادر - بيروت، ١٩٦٨م، تحقيق: د. إحسان عباس، ص ١/ ٣٦٤. وفيات الأعيان: ٣/ ٣٢٥.

(١) الجمهرة: ابن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري تحقيق: لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية - بيروت، ط الأولى، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

(٢) التعريف بابن خلدون ورحلته شرقاً وغرباً، كتبه: عبدالرحمن بن خلدون، تحقيق: محمد بن تاويت الطنجي، راجعه وأعداه للنشر: إبراهيم شيوخ، ص ٢، الدار العربية للكتاب والقيروان للنشر، تونس، ٢٠٠٦م.

(٣) المرجع السابق ص ١.

(٤) محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن خلدون، والد الإمام ابن خلدون، قال عنه في التعريف: "وكان مقدماً في صناعة العربية وله بصر بالشعر وفنونه عهدي بأهل الأدب يتحاكمون إليه" توفي سنة ٧٤٩هـ.

انظر: التعريف بابن خلدون ورحلته شرقاً وغرباً ص ١٧.

عصا الترحال في بلاد الجزائر، وبالتحديد بلدة قسطنطينة وتزوج بها عام ٧٥٤هـ.^(١) وكما ذكر في التعريف^(٢) كانت نفسه تتوق للمغرب الأقصى بسبب النهضة العلمية التي كان يشهدها، وخاصة بعد هجرة كثير من العلماء إلى بلاد المغرب الأقصى فهاجر إليها، وعينه السلطان أبو عنان^(٣) عضوا في المجلس العلمي بفاس عام ٧٥٥هـ، وأصبح محظيا لدى السلطان حتى أصبح ضمن كتابه وموقعه^(٤).

وتعرض أثناء مقامه بالمغرب الأقصى للكثير من الدسائس كانت السبب في دخوله السجن ماكثرا فيه عامين، بتهمة التعاون في الخفاء مع أعداء السلطان^(٥)، وقد أفرج عنه بعد وفاة السلطان أبي عنان من قبل وزيره وأكرمه سلاطين المغرب بعد ذلك.^(٦)

سافر إلى الأندلس سنة ٧٦٤هـ، وزار حواضرها إشبيلية موطن أجداده^(٧)

(١) التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا ص ٥٧.

(٢) التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا ص ٥٨.

(٣) السلطان المتوكل على الله أبو عنان فارس بن أبي الحسن، كان هذا السلطان محبوبا في قومه وعشيرته أثيرا عند والده متميزا بذلك عن سائر إخوته لفضله وعمله وصيانيته وعفافه واستظهار القرآن الكريم، وقد خلف والده أبا الحسن علي بن عثمان كسلطان للمغرب، مات خنقا من قبل وزيره، توفي ٧٥٩هـ.

انظر: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد الناصري، تحقيق: جعفر الناصري / محمد الناصري، دار الكتاب، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م، الدار البيضاء ٣ / ١٨١.

الأعلام: الزركلي ٧ / ٣٢٦.

(٤) التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا ص ٦٠.

(٥) التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا ص ٦٩.

(٦) المرجع السابق ص ٧١.

(٧) المرجع السابق ص ٨٤.

وغرناطة التي كان يحكمها أحفاد ابن الأحمر^(١)، وفيها التقى الوزير ابن الخطيب^(٢) الذي تربطه علاقة صداقة مع ابن خلدون، ومن ثم غادرها إلى بجاية^(٣) بالجزائر التي تولى فيها الحجابة وهي أرفع منصب فيها، ومكث فيها حتى اندلعت الفتنة، وبعدها تفرغ للمطالعة والدرس والتأليف واستقر في بسكرة^(٤) في الجنوب الشرقي للجزائر حتى عام ٧٧٤هـ.

وفي سنة ٧٧٦هـ عاد إلى الأندلس مجدداً^(٥) ومكث فيها مدة يسيرة ثم قفل راجعاً إلى المغرب، فنزل على أولاد عريف في جبل كزول ببلاد المغرب الأقصى، وأثناء مقامه عندهم ألف كتابه: (كتاب العبر وديوان المتبدأ والخبر)^(٦) ثم قال: "فحدث عندي ميل إلى مراجعة السلطان أبي العباس^(٧)، والرحلة إلى تونس، حيث قرار آبائي

(١) ابن الأحمر: محمد بن يوسف بن نصر بن الأحمر المعروف بابن الأحمر، الخزرجي الأنصاري، (أبو عبدالله محمد الأول) الملقب بالغالب بالله، مؤسس دولة بني نصر بالأندلس. إستولى على المرية عام ٦٣٥م ثم دخل غرناطة بدعوة من أهلها وجعل بها مقر حكومته عقب الحرب الأهلية التي فرقت الأندلس توفي سنة ٦٧١هـ.

انظر: الأعلام للزركلي: ١٥١/٧، تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون، ٤/١٧٠، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط الأولى، ٢٠١١م. الاستقصا: ١٨/٢-٤٠.

(٢) محمد بن عبدالله بن سعيد الشهير بلسان الدين بن الخطيب: كان يلقب بذي الوزارتين: القلم والسيف، له مؤلفات عدة منها: الاحاطة في تاريخ غرناطة واللمحة البدرية في الدولة النصرية ورقم الحلل في نظم الدول.

انظر: الأعلام للزركلي: ٦/٢٣٥، نفح الطيب: ٥/٣٢، الاستقصا ٢/١٣٢، الدرر الكامنة: ٣/٤٦٩.

(٣) التعريف بابن خلدون ورحلته شرقاً وغرباً: ص ٩٧.

(٤) المرجع السابق ص ٢٢٣.

(٥) المرجع السابق ص ٢٣٤.

(٦) المرجع السابق ص ٢٣٦.

(٧) أبو العباس (...-٧٩٦هـ) أحمد بن محمد بن أبي بكر، أبو العباس، الحفصي: من كبراء ملوك الحفصيين

ومساكنهم، وآثارهم وقبورهم"^(١)، ثم قال: "فرجعت إلى تونس في شعبان^(٢) من السنة وآويت إلى ظل ظليل من عناية السلطان وحرمة، وبعثت عن الأهل والولد، وجمعت شملهم في مرعى تلك النعمة، وألقيت عصا التسيار"^(٣).

رحلته إلى المشرق:

غادر تونس منتصف شعبان من سنة أربع وثمانين وسبعمائة للهجرة ووصل إلى مرسى الاسكندرية بعد أربعين يوما، ووافق ذلك يوم الفطر ومكث فيها شهرا ثم وصل القاهرة مستهل ذي القعدة فأطنب في وصفها وطاب له المقام فيها^(٤)، وتصدر للتدريس بالجامع الأزهر وتولى شؤون القضاء^(٥)، واستقدم أهله من تونس فغرق بهم المركب^(٦)، قبل أن يصلوا فاشتد ذلك على ابن خلدون وأظلمت عليه الدنيا وكثر حاسدوه من الفقهاء والقضاة بعد الخطوة السلطانية، فعزل من القضاء^(٧)، وتفرغ بعد ذلك للعلم والتأليف إلى أن قبض الله له قضاء فريضة الحج عام ٧٨٩هـ.

= بتونس، يلقب أبا السباع. وتولى السلطنة سنة ٧٧٢هـ وقمع الفتن، اتسمت علاقته بابن خلدون بالثقل.

انظر: التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا، ص ٢٣٧، الأعلام: ١/ ٢٢٥

- (١) التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا، ص ٢٣٧
- (٢) عام ٧٨٠هـ كما يظهر من تسلسل الأحداث فهو قد مكث في جبل كزول ما يقارب الأربع سنوات وقد قدم إلى أولاد عريف الساكنين في البلدة عام ٧٧٦هـ
- (٣) التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا، ص ٢٣٨.
- (٤) المرجع السابق ص ٢٥٣.
- (٥) المرجع السابق ص ٢٦١.
- (٦) المرجع السابق ص ٢٦٦.
- (٧) انظر: المرجع السابق ٢٦٦هـ.

وزار بيت المقدس والشام وقام بمهمات عظام والتقى بتمورلنك^(١) على رأس وفد من أجل الصلح وفك الحصار عن دمشق^(٢)، وتولى أمر قضاء مصر مرات عدة، قال السخاوي «وعزل ثم أعيد وتكرر له ذلك حتى مات قاضيا فجأة في يوم الأربعاء لأربع بقين من رمضان سنة ثمان وثمانمائة عن ست وسبعين سنة، ودفن بمقابر الصوفية خارج باب النصر عفا الله عنه»^(٣).

❖ ثانياً: حياته العلمية:

أ - شيوخه وتلاميذه:

تلقى العلم أولاً على والده وقد ذكر أسماء شيوخه ومن تلقى عليهم العلم في كتابه (التعريف بابن خلدون ورحلاته شرقاً وغرباً)

أولاً: شيوخه في القراءات:

١ - أبو عبدالله محمد بن سعد بن برال الأنصاري الأندلسي المقرئ^(٤) من أهل

(١) تيمورلنك (٧٣٦-٨٠٧هـ) تيمور بن ترغاي بن أبغاي من الأوزبك من منطقة ماوراء النهر، اشتهر بالغزوات وسفك الدماء، وهو رأس السلالة التيمورية التي حكمت العديد من البلدان بعده
انظر: عجائب المقدور في نوائب تيمور: لابن عربشاه، تحقيق: أحمد فايز الحمصي، ص ٣٩، ط الأولى، ١٤٠٧هـ، دار الرسالة، بيروت .

(٢) المرجع السابق ص ٢٦٨ .

(٣) انظر: الضوء اللامع: السخاوي، ٢/ ٢٦٧، منشورات دار الحياة - بيروت .

(٤) أبو عبدالله محمد بن سعد بن برال الأنصاري شيخ القراءة بتونس، ومعلمي كتاب الله، قرأت عليه القرآن العظيم بالقراءات السبع وعرضت عليه قصيدتي الشاطبي في القراءة، وفي الرسم، وعرضت عليه كتاب التقصي لابن عبد البر، وغير ذلك، وأجازني بالإجازة العامة، وفي هذه بالإجازة الخاصة، وهو يروي هذا الكتاب عن القاضي أبي العباس أحمد بن محمد بن الغماز، وعن شيخه أبي العباس أحمد بن موسى البطرني بسندهما".

انظر: التعريف بابن خلدون ورحلاته شرقاً وغرباً ص ١٥

تلمسان قال عنه في التعريف «شيخ القراءة بتونس ومعلمي كتاب الله، قرأت عليه القراءن العظيم بالقراءات السبع وأجازني بالإجازة العامة والخاصة».

٢- أبو العباس أحمد الزواوي^(١) إمام المقرئين بالمغرب.

ثانياً: الحديث والفقهاء:

١- الشيخ محمد بن محمد بن إبراهيم بن الحاج البلفيقي أبو البركات شيخ المحدثين والفقهاء والخطباء بالأندلس وسيد أهل العلم.^(٢)

٢- إمام المحدثين شمس الدين أبو عبد الله محمد بن جابر بن سلطان القيسي^(٣).

٣- أبو محمد عبد المهيم بن عبد المهيم الحضرمي^(٤) قال عنه في التعريف

(١) قال عنه في التعريف: «إمام المقرئين بالمغرب، قرأت عليه القرآن العظيم بالجمع بين القراءات السبع من طريق أبي عمرو الداني وابن شريح، وسمعت عليه كتباً عدة وأجازني بالإجازة العامة وكان صاحب ملكة لا يجارى وله مع ذلك صوت من مزامير آل داود، وكان يصلي بالسلطان التراويح».

التعريف بابن خلدون ورحلته شرقاً وغرباً ص ٢٠.

(٢) ابن الحاج البلفيقي: (٦٨٠ - ٧٧١هـ) محمد بن محمد بن إبراهيم بن الحاج السلمي البلفيقي. أبو البركات. قاض، مؤرخ، من أعلام الأندلس في الحديث والأدب. له من الكتب: له (أسماء الكتب والتعريف بمؤلفيها) على حروف المعجم، و(الإفصاح فيمن عرف بالأندلس بالصلاح) و(مشتبهات مصطلحات العلوم) وغيرها.

انظر: الأعلام الزركلي ٣٩/٧.

(٣) إمام المحدثين بتونس، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن جابر بن سلطان القيسي الوادياشي صاحب الرحلتين قال ابن خلدون "وسمعت عليه كتاب مسلم بن الحجاج إلا فوتنا يسيراً من كتاب الصيد، وسمعت عليه كتاب الموطأ من أوله إلى آخره، وبعضاً من الأمهات الخمس، وناولني كتباً كثيرة في العربية والفقهاء وأجازني إجازة عامة، وأخبرني عن مشايخه المذكورين أشهرهم بتونس قاضي الجماعة أبو العباس أحمد بن الغماز الخزرجي".

انظر: التعريف بابن خلدون: ص ١٨

(٤) عبد المهيم بن محمد بن عبد المهيم، أبو محمد الحضرمي: صاحب القلم العلي بفاس، وصدرها في

«لازمته وأخذت عنه سماعاً وإجازة الأمهات الست وكتب الموطأ والسير لابن إسحاق وكتاب ابن الصلاح في الحديث وكتبا كثيرة شذت عن حفطي».^(١)

٤- قاضي الجماعة أبو عبدالله محمد بن عبد السلام بن يوسف الهواري.^(٢)

٥- أبو عبدالله محمد بن سليمان السطي.^(٣)

٦- أبو عبدالله بن عبدالله الجياني.^(٤)

٧- أبو القاسم محمد القصير.^(٥)

ثالثاً: في العربية والمنطق والعلوم الحكمية:

١- أبو عبدالله ابن العربي الحصائري قال عنه في التعريف "أستاذي في تونس كان إماماً في النحو"^(٦).

٢- شيخ العلوم العقلية أبو عبدالله محمد بن إبراهيم الأبي. قال عنه "لزمته وأخذت عنه الأصول، والمنطق وسائر الفنون الحكمية والتعليمية، وكان رَحْمَةً اللَّهِ يَشْهَدُ

= عصره. كان غزير العلم بالأدب والتاريخ. ولد ونشأ بسبته. وولي كتابة الإنشاء ل أبي الحسن المريني بفاس. وتوفي بتونس في الطاعون الجارف. الأعلام: ١٦٩/٤.

(١) التعريف بابن خلدون: ص ٢٠

(٢) ابن عبد السلام: (٦٧٦ - ٧٤٩هـ) محمد بن عبد السلام بن يوسف بن كثير الهواري المنستيري، أبو عبدالله: فقيه مالكي. كان قاضي الجماعة بتونس. ولي القضاء بتونس سنة ٧٣٤ واستمر إلى أن توفي بالطاعون الجارف.

انظر: التعريف بابن خلدون: ص ١٩، الأعلام: ٢٠٥/٦.

(٣) السطي: قال عنه في التعريف: محمد بن علي بن سليمان، من قبيلة سطا من بطون أربا، إمام المالكية بالمغرب، وقاضي الجماعة بفاس، وأحفظ الناس لمذهب مالك. انظر: التعريف ص ٣٢.

(٤) هو أبو عبدالله محمد بن عبدالله الجياني، انظر: التعريف بابن خلدون: ص ١٩.

(٥) هو: أبو القاسم محمد القصير، انظر: التعريف بابن خلدون: ص ١٩.

(٦) التعريف بابن خلدون: ص ١٧.

لي بالتبريز في ذلك" (١).

٣- أبو العباس أحمد بن القصار (١).

٤- أبو عبدالله محمد بن بحر قال عنه "لازمت مجلسه وأفدت عليه وكان بحرا زاخرا في علوم اللسان" (١).

٥- أبو القاسم عبدالله بن يوسف بن رضوان المالقي (١).

٦- الفقيه أبو عبدالله محمد بن محمد بن الصباغ من أهل مكناس في الأندلس (١).

٧- القاضي أبو عبدالله محمد بن عبد النور (١).

(١) محمد بن إبراهيم الآبلي (٠٠٠-٧٥٧هـ) منشؤه بتلمسان وأصله من جالية الأندلس، وكان من أبرز أهل عصره في علوم الحكمة.

انظر: التعريف بابن خلدون ص ٣٣، الدرر الكامنة في أعيان المائة: ١٤ / ٥، تحقيق: محمد عبدالمعوض، مجلس دار المعارف العثمانية، ط الثانية، ١٩٧٢م، صيدر آباد، الهند.

(٢) هو: أبو العباس أحمد بن القصار، له شرح على قصيدة البردة، وقال عنه ابن خلدون: "كان ممتعا في صناعة النحو" انظر: التعريف: ص ١٧.

(٣) قال عنه في التعريف: إمام العربية والأدب في تونس الإمام: محمد بن بحر، لازمت مجلسه وأفدت عليه، وكان بحرا زاخرا في علوم اللسان، وأشار علي بحفظ الشعر فحفظت أشعار الستة والحماسة للأعلمي وشعر حبيب وطائفة من شعر المتنبي ومن أشعار كتاب الأغاني. التعريف: ص ١٨.

(٤) عبدالله بن يوسف بن رضوان النجاري المالقي، أبو القاسم: (٧١٨ - ٧٨٢هـ) من أعيان كتاب الدولة المرينية في المغرب. معاصر لابن خلدون. أصله من مالقة. انظر: التعريف ص ٢٣، الأعلام: ١٤٧ / ٤.

(٥) أبو عبدالله محمد بن محمد بن الصباغ، من أهل مكناسة، قال عنه في التعريف: كان مبرزاً في المقول والمعقول وعارفا بالحديث ورجاله. التعريف: ص ٤٦.

(٦) أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن عبد النور الندرومي، ونسبه في صنهجة. توفي بتونس حدود ٧٥٠ للهجرة.

انظر: التعريف: ص ٤٧. نفح الطيب: التلمساني، تحقيق: إحسان عباس، ٢٣٦ / ٥، ط الأولى، ١٩٩٧م، دار صادر، بيروت، لبنان.

- ٨- أبو العباس أحمد بن شعيب^(١) قال عنه ابن خلدون "برع في اللسان والأدب والعلوم العقلية من الفلسفة والتعاليم والطب وغيرها"^(٢).
- ٩- الخطيب أبو عبدالله بن أحمد بن مرزوق^(٣).
- ٨- الأستاذ أبو عبدالله محمد بن الصفار^(٤).
- ٩- أبو عبدالله بن محمد بن أحمد الشريف الحسيني العلوي^(٥).
- ١٠- القاضي أبو القاسم محمد بن يحيى البرجي الأندلسي^(٦).
- ١٢- أبو عبدالله محمد بن عبدالرزاق شيخ وقته جلالته وتربيته وعلمه وخبرته^(٧).

(١) التعريف: ص ٤٩.

(٢) أحمد بن شعيب الجزاني، نزيل فاس، كتب لأبي الحسن المريني، توفي بتونس سنة ٧٥٠هـ.

التعريف: ص ٤٩.

(٣) أبو عبدالله بن أحمد بن مرزوق.

انظر: التعريف: ص ٥٠، نفح الطيب: ٣/٣٩٠.

(٤) قال عنه في التعريف: الأستاذ أبو عبدالله محمد بن الصفار من أهل مراکش إمام القراءات لوقته، أخذ عن جماعة من مشيخة المغرب.

التعريف: ص ٦١.

(٥) أبو عبدالله محمد بن أحمد الشريف الحسيني، ويعرف بالعلوي نسبة إلى قرية في تلمسان، توفي ٧٧١هـ.

التعريف: ص ٦٦.

(٦) كان كاتب السلطان أبي علام، وكان مبرزاً في الأدب والبلاغة، توفي ٧٨٦هـ.

التعريف: ص ٨٧.

(٧) قال عنه ابن خلدون: شيخنا المعمر، الرحالة أبو عبدالله.

التعريف: ص ٦٧.

تلاميذه:

طاف ابن خلدون في أقطار عدة، وترك أثرا على عدد كبير من التلاميذ الذين تلقوا على يديه العلم، ومن أشهر هؤلاء:

١- الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني^(١).

٢- تقي الدين المقرئزي^(٢).

٣- العلامة بدر الدين الدماميني^(٣).

٤- الفقيه عبدالله بن مقداد الأقفهسي^(٤).

(١) ابن حجر: (٧٧٣ - ٨٥٢هـ) أحمد بن علي بن محمد الكناي العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين، ابن حجر: من أئمة العلم والتاريخ. أصله من عسقلان (بفلسطين) ومولده ووفاته بالقاهرة، أما تصانيفه فكثيرة جليلة، منها: الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، ولسان الميزان.

انظر: الضوء اللامع: ٣٦/٢، الأعلام للزركلي ١/١٧٨.

(٢) المقرئزي: (٧٦٦ - ٨٤٥هـ) أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقرئزي: مؤرخ الديار المصرية. ولد ونشأ ومات في القاهرة، وولي فيها الحسبة والخطابة والإمامة مرات، من تأليفه كتاب (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، والسلوك في معرفة دول الملوك، وتاريخ الأقباط وغيرها.

انظر: الضوء اللامع: ٢/٢١، الأعلام للزركلي ١/١٧٨.

(٣) بدر الدين الدماميني: (٧٦٣ - ٨٢٧هـ) محمد بن أبي بكر بن عمر بن أبي بكر بن محمد، المخزومي القرشي، بدر الدين المعروف بابن الدماميني: عالم بالشريعة وفنون الأدب. ولد في الاسكندرية، واستوطن القاهرة ولازم ابن خلدون، توفي بالهند بمدينة (كلبرجا) من كتبه: تحفة الغريب شرح لمغني اللبيب، ونزول الغيث، انتقد فيه شرح لامية العجم للصفدي، والفتح الرباني.

الضوء اللامع: ٧/١٨٥.

الأعلام للزركلي ٤/١٢٧.

(٤) الأقفهسي: (٧٤٠ - ٨٢٣هـ) عبدالله بن مقداد بن إسماعيل بن عبدالله الجمال الأقفهسي ثم القاهري المالكي ويعرف بالأقفاصي، تفقه بالشيخ خليل وغيره، انتهت إليه رئاسة المذهب ودارت عليه الفتوى

وغيرهم كثير من العلماء^(١).

ب- مؤلفاته:

ترك ابن خلدون مؤلفات كثيرة، في مجالات متعددة، في مختلف العلوم، ومنها:

١- العبر وديوان المتبدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر- مطبوع-.

٢- لباب المحصول في أصول الدين- مطبوع-.

٣- شرح الرجز في أصول الفقه للسان الدين ابن الخطيب^(٢).

٤- شفاء السائل وتهذيب المسائل في الرد على التصوف- مطبوع-.

٥- تقييد في المنطق ونقده^(٣).

٦- الحساب^(٤).

٧- وصف بلاد المغرب لتيمورلنك ذكره في التعريف^(٥).

٨- شرح البردة^(١).

= فيه وشرح الرسالة شرحا انتفع به من بعده.

رفع الأصر عن قضاة مصر: ابن حجر، ١/٢٠٣، تحقيق: علي محمد عمر، ط الأولى، ١٤١٨هـ، مكتبة الخانجي، القاهرة.

الضوء اللامع: ٥/٧١.

(١) ابن خلدون وآراؤه الاعتقادية ص ١٠١.

(٢) مؤلفات ابن خلدون - عبدالرحمن بن بدوي ص ١١، المجلس الأعلى للثقافة ٢٠٠٦ القاهرة - مصر

(٣) الإحاطة في أخبار غرناطة: لسان الدين ابن الخطيب، ٣/٣٨٧، ط الأولى، ١٤٢٤هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٤) المرجع السابق نفس الصفحة - مفقود-

(٥) التعريف: ابن خلدون، ص ٣٨٥ - مفقود

٩- التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا- مطبوع - تحقيق الأستاذ الطنجي .

١٠- مزيل الملام عن حكام الأنام «رسالته إلى القضاء» ذكرها في التعريف (٢).

١١- تلخيص كتاب ابن رشد (١)(٢).

ج- مكانته العلمية:

يعتبر ابن خلدون أحد الظواهر العلمية الكبرى في تاريخ العلوم خاصة علمي التاريخ والاجتماع، وهو بحق أحد العلامات الفارقة والجوهرية في مسيرة العلوم وصاحب مدرسة منهجية ظهرت معالمها وآثارها بعد وفاته فهو رجل موسوعي، أتقن علوم عصره وتفوق على أقرانه، وطاف البلدان وأخذ العلم على شيوخها، مع حدة في الفهم ودقة في الاستنباط.

(١٦) المرجع السابق نفس الصفحة -مفقود-

(٢) التعريف : ابن خلدون ص ٢٦١-مفقود-

(٣) ابن رشد: (٥٢٠ - ٥٩٥هـ) محمد بن أحمد بن محمد بن رشد الأندلسي، أبو الوليد: الفيلسوف. من أهل قرطبة. من مؤلفاته: "التحصيل" في اختلاف مذاهب العلماء، و"الحيوان" و"فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال" و"الضروري" في المنطق، و"منهاج الأدلة" في الأصول، و"تهافت التهافت".

انظر: سير أعلام النبلاء: ٢١/ ٣٠٧. وتاريخ قضاة الأندلس: لأبي الحسن علي بن عبد الله بن محمد بن محمد بن الحسن الجذامي، ص ١١١، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، دار الآفاق الجديدة - بيروت/ لبنان، ط الخامسة، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م. الأعلام: ٥/ ٣١٨.

(٤) الإحاطة في أخبار غرناطة: لسان الدين ابن الخطيب، ٣/ ٣٨٧، ط الأولى، ١٤٢٤هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار: تقي الدين المقريري ٣/ ٣٣٣، ط الأولى، ١٤١٨هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

قال عنه الوزير لسان الدين بن الخطيب "هذا الرجل الفاضل حسن الخلق، جم الفضائل، باهر الخصل، رفيع القدر، ظاهر الحياء، أصيل المجد،... إلى أن قال..متقدم في فنون نقلية وعقلية متعدد المزايا، سديد البحث، كثير الحفظ، صحيح التصور، بارع الخط"^(١).

واتسمت ترجمة الحافظ ابن حجر العسقلاني له بالتقليل والنقد بصفة عامة ويتعجب من تعظيم المقرئ له^(٢).

أما في العصر الحديث فتحول ابن خلدون إلى ظاهرة تدرس وتخصص لها المراكز وأصبح هناك تخصص يطلق عليه "الخلدونيات"^(٣) وظهرت عنه مئات الدراسات والرسائل العلمية يطول الحديث في ذكرها.

د - وفاته:

توفي في القاهرة يوم الأربعاء لأربع بقين من رمضان عام: ٨٠٨هـ وكان عمره ست وسبعون سنة قضاهما في العلم والتطواف من أجله، وقد تقلد الكثير من المناصب والأعمال، كان آخرها القضاء في مصر وهو المنصب الذي مات وهو على رأسه، دفن خارج باب النصر في مقابر الصوفية.^(٤)

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة: لسان الدين ابن الخطيب ٣/٣٧٧.

(٢) رفع الأصر عن قضاة مصر: ابن حجر العسقلاني، تحقيق: علي محمد عمر، ١/٢٣٤، ط الأولى، ١٩٩٨م، مكتبة الخانجي القاهرة.

(٣) مثل: خلدونيات: قوانين خلدونية: ملحم قربان، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٧٣م.

(٤) انظر: الضوء اللامع: السخاوي ٢/٢٦٧.

المبحث الثالث: التعريف بالفرق

✻ أولاً: معنى الفرقة في اللغة والاصطلاح.

يجدر بيان معنى الفرق في اللغة والاصطلاح:

أ - الفرق في اللغة:

خلاف الجمع، فرقه يفرقه وفرقه، وقيل فرق للصlach فرقا، وفرق للإفساد تفريقا، وانفرق الشيء وتفرق وافترق.

وفارق الشيء مفارقة وفراقا: باينه، والاسم الفرقة.

والفرق والفرقة والفريق: الطائفة من الشيء المتفرق.

والفرقة: طائفة من الناس، والفريق أكثر منه، وفرق جمع فرقة^(١).

وفي حديث ابن مسعود^(٢): "صليت مع النبي ﷺ بمنى ركعتين ومع أبي بكر وعمر ثم تفرقت بكم الطرق"^(٣)، أي ذهب كل منكم إلى مذهب ومال إلى قول وتركتم السنة.

والفرق: تفريق بين شيئين فرقا حتى يفترقا ويتفرقا. وتفارق القوم وافترقوا

(١) لسان العرب: ابن منظور، فصل الفاء ٨/ ٣٠٠، ط الثالثة، ١٤١٤هـ، دار صادر، بيروت، لبنان.

(٢) ابن مسعود: (٠٠٠ - ٣٢هـ) عبدالله بن مسعود بن غافل الهذلي، أسلم قديما وهاجر المهجرتين وشهد بدرا والمشاهد بعدها ولازم النبي ﷺ وكان صاحب نعليه وحدث عن النبي ﷺ بالكثير، وقال النبي ﷺ من سره أن يقرأ القرآن غضا كما نزل فليقرأ على قراءة ابن أم عبد، مات بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين وقيل مات سنة ثلاث وقيل مات بالكوفة والأول أثبت.

الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (٣/ ٩٨٧)، الأعلام للزركلي: ٤/ ١٣٧.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه - حسب ترقيم فتح الباري (٢/ ١٩٧) الحديث رقم (١٦٥٧) باب الصلاة بمنى. الناشر: دار الشعب - القاهرة، ط الأولى، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

أي فارق بعضهم بعضاً^(١).

وقيل: (تفرق) الشيء تفرقا وتفرقا تبدد والرجلان ذهب كل منهما في طريق^(٢). والمتبع لاستخدامات الكلمة اللغوية يجد أنها تدور حول معان كثيرة منها: الفصل، والإبانة، والقطع، والمباعدة، والمفارقة، والانقطاع، والضياع، والانفصال، والمباينة، والضلال، والمقاطعة، والتشعب وغيرها.

والفرقة: اسم لجماعة مفترقة من الناس بواسطة علامة التأنيث لأن الاسم يكون للجمع بالتأنيث كالمعتزلة والجماعة والجماعة أقلها ثلاثة^(٣)

ب - الافتراق في الاصطلاح:

يطلق على أمور منها:

١ - التفرق في أمر الدين والاختلاف فيه ومن ذلك قوله تعالى ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وقوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا﴾ [آل عمران: ١٠٥].

وقوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

٢ - الافتراق عن جماعة المسلمين وهم سواد أهل الإسلام في العهد النبي، وعصر الخلافة الراشدة وما عليه الصحابة، فمن سار على نهجهم واتبع أثرهم فهو المتبع لسبيل الحق والهدى، وهم أهل السنة والجماعة ومن خالفهم وسار على غير طريقهم فهو مفارق لجماعة المسلمين.

٣ - كل من قاتل تحت راية عصبية أو حزبية أو جهوية أو وطنية،

(١) العين: الخليل الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامري ١٤٧/٥، دار ومكتبة الهلال.

(٢) المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة ٢/٦٨٥، دار الدعوة، القاهرة.

(٣) الكليات: الكفوي، ص ٦٨٥

فالخروج عن أهل السنة والجماعة في أي أصل من أصول الاعتقاد مقطوع به
يعتبر مفارقة وخروجاً.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية^(١): "والبدعة مقرونة بالفرقة، كما أن السنة مقرونة
بالجماعة، فيقال: أهل السنة والجماعة كما يقال: أهل البدعة والفرقة. ثم قال: وإنما
المقصود هنا التنبيه على وجه تلازمهما: موالاته المفترقين، وإن كان كلاهما فيه بدعة
وفرقة"^(٢).

ج- الضابط في الافتراق:

يحكم بالمفارقة على كل من خرج عن سبيل أهل السنة والجماعة في أصل مما
عدوه من أصول الدين، أو قاعدة من قواعده أو خالف في فروع كثيرة وجزئيات
متعددة مخرجة عن سمة أهل السنة وهديمهم؛ كبدع الشعائر والعبادات إذا كثرت،
وهذا ما وضحه شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ من جعل العادة التي يتقرب بها إلى الله بدعة
كاتخاذ لبس الصوف عبادة وطريقاً إلى الله^(٣)

وعرف الشيخ أبوزيد بن محمد مكي^(٤) الفرقة: فقال "الفرقة عبارة عن حزب

(١) ابن تيمية: (٦٦١هـ - ٧٢٨هـ) أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن مجد الدين عبد السلام الحراني أحد
الأعلام: سارت بتصانيفه الركبان لعلها ثلاثمائة مجلد. حدث بدمشق ومصر والشعر، وقد امتحن وأوذي
مرات وحبس بقلعة مصر والقاهرة والإسكندرية وبقلعة دمشق مرتين، وبها توفي.

انظر: تذكرة الحفاظ: لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ٤ / ١٩٢، دراسة وتحقيق: زكريا عميرات، دار
الكتب العلمية بيروت-لبنان، ط الأولى، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.

(٢) الاستقامة: ابن تيمية ١ / ٤٢، تحقيق: محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود - المدينة
المنورة.

(٣) فتاوى ابن تيمية: جمع وترتيب: عبدالرحمن بن قاسم النجدي ١١ / ٢٨، ط الأولى، ١٣٩٨هـ، مطابع
الحكومة، المملكة العربية السعودية.

(٤) أستاذ مشارك بقسم العقيدة بجامعة أم القرى

والى وعادى على بدعة" (١).

❖ ثانياً: نشأة الفرق وأسبابها.

أ - نشأة الفرق:

كان أمر الأمة مجتمعاً على الكتاب والسنة، ولا توجد أي فرق أو طوائف حتى مقتل عثمان بن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فكان هو الباب الذي يحول دون ظهور الفتن.

بعد حادثة التحكيم التي جرت بين أهل العراق وعلى رأسهم الخليفة علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وأهل الشام بقيادة معاوية (٢) بن سفيان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، حدث أول افتراق في تاريخ الإسلام.

فظهرت الخوارج فقاتلهم علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في النهراون وسموا وقتها بالحرورية (٣).

وبعدها ظهر التشيع، وكان علي رأسه رجل يدعى عبدالله بن سبأ (٤) وهو من

(١) مقالات الفرق، أبو زيد محمد مكي ١ / ١١، ط الأولى، ٢٠٠٨م، دار الخراز، جدة، المملكة العربية السعودية.

(٢) معاوية بن (أبي سفيان): (٢٠ ق هـ - ٦٠ هـ) معاوية صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، القرشي الأموي: مؤسس الدولة الأموية في الشام، ولد بمكة، وأسلم يوم فتحها (سنة ٨ هـ) وتعلم الكتابة والحساب، فجعله رسول الله ﷺ في كتابه.

انظر: الأعلام للزركلي: ٧ / ٢٦١.

الإصابة في تمييز الصحابة: ٦ / ١٥١.

(٣) انظر: تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري: ابن جرير الطبري والصلة: لعريب بن سعد القرطبي ٥ / ٦٣، ط الثانية، ١٣٧٨ هـ، دار التراث، بيروت.

(٤) عبدالله بن سبأ: (ت نحو ٤٠ هـ) رأس الطائفة السبئية. وكانت تقول بألوهية علي. أصله من اليمن، قيل: كان يهودياً وأظهر الإسلام. رحل إلى الحجاز فالبصرة فالكوفة. ودخل دمشق في أيام عثمان بن عفان، فأخرجه أهلها، فانصرف إلى مصر، وجهر ببدعته.

يهود اليمن، أو ابن السوداء كما ورد أكثر من مرة في تاريخ الطبري^(١) وفي آخر زمن الصحابة ظهرت "القدرية" أي المنكرون للقدر وقد اشتد نكير الصحابة عليهم وأعلنوا براءتهم منهم، وعدم السلام عليهم، أو الصلاة على جنائزهم أو عيادة مرضاهم،^(٢) وبعد انتهاء عصر الصحابة ظهرت الجهمية على يد الجعد بن درهم^(٣)، وتبعه الجهم بن صفوان^(٤)، والذي اشتق اسم الفرقة من اسمه، وفي مقابل الخوارج ظهرت أيضا فرقة المرجئة، فيما حاول المعتزلة التوسط بين هذه الفرق!.

مع بداية القرن الثاني الهجري كانت ملامح الأصول الكبرى للفرق قد ظهرت، وهي الخوارج والشيعية والقدرية والمرجئة وتفرعت عن هذه الأصول عشرات الفرق، ومعظمها خرجت من رحم التشيع، ومعظم مقالات الفرق الناشئة تجدها خليطا بين هذه الأصول الفاسدة، فالإمامية يجمعون بين التشيع والقول بالقدر،

= انظر الأعلام للزركلي: ٨٨/٤.

لسان الميزان: ابن حجر أبو الفضل العسقلاني، ٢٨٩/٣، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت ط الثالثة، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م، تحقيق: دائرة المعارف النظامية، الهند.

(١) المرجع السابق ٢٨٣/٥.

(٢) انظر: أصول الفرق والأديان والمذاهب الفكرية: سفر الحوالي ص ٧، مجلة البيان، الرياض.

(٣) الجعد بن درهم: (١١٨هـ) من الموالي: مبتدع، له أخبار في الزندقة. سكن الجزيرة الفراتية، وأخذ عنه واليها محمد بن مروان فنسب إليه، ذبحه خالد القسري يوم النحر.

انظر: الأعلام للزركلي: ١٢٠/٢. ميزان الاعتدال في نقد الرجال: الذهبي، ١٨٥/١، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبدالموجود. لسان الميزان ابن حجر العسقلاني، ٤٣٧/٢، المحقق: عبدالفتاح أبو غدة، دار النشر: مكتب المطبوعات الإسلامية.

(٤) جهم بن صفوان: (ت ١٢٨هـ) السمرقندي، أبو محرز، من موالي بني راسب: رأس (الجهمية) قال الذهبي: الضال المبدع، هلك في زمان صغار التابعين وقد زرع شرًا عظيمًا. قبض عليه نصر بن سيار، وأمر بقتله.

انظر: الأعلام ١٤١/٢، ميزان الاعتدال: ١٩٧/١، لسان الميزان: ٥٠١/٢.

وقل مثل ذلك على جل هذه الفرق، والتي انقرض بعضها مسمى، وإن بقى قولها أو صورته في مقالات فرق أخرى حادثة، ويمكن القول إن الاتجاه الفرقي قد انحصر في اتجاهين:

الأول: الفرق الكلامية وعلى رأسها المعتزلة، والكلابية، والأشاعرة والماتريدية.
ثانياً: الاتجاه الباطني ويدخل فيه معظم فرق الشيعة حتى الإمامية، إضافة إلى فرق لا علاقة لها بالإسلام من حيث الأصول أو الشعائر، كالإسماعيلية، والنصيرية، والدروز، والبهاية والقاديانية.

ب- أسباب نشأة الفرق:

كثيرة هي الأسباب التي أدت إلى ظهور الفرق فالبغدادي^(١) يسوق الأسباب على شكل تسلسل تاريخي، بداية من التشكيك بموت النبي ﷺ ثم اختلافهم في الإمامة بعد ذلك، إلى أن حدث " زمن المتأخرين من الصحابة خلاف القدرية في القدر والاستطاعة"^(٢) أما الشهرستاني^(٣) فيحمل الشبهة مسؤولية ظهور الفرق، وأن

(١) الأسفراييني: (ت ٤٢٩ هـ) عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الأسفراييني، عالم متفنن، من أئمة الأصول. ولد ونشأ في بغداد، ورحل إلى خراسان فاستقر في نيسابور. وفارقها على أثر فتنة التركمال، من مؤلفاته: الفرق بين الفرق، أصول الدين، الملل والنحل وغيرها.
انظر: الأعلام للزركلي: ٤٨/٤ .

طبقات الشافعية الكبرى: تاج الدين السبكي، ١/٣٤٤، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي ود. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٣ هـ، ط الثانية .

(٢) الفرق بين الفرق: البغدادي، تحقيق: محمد عثمان الخشت، ط ١٩٨٨ م، مكتبة ابن سينا، مصر الجديدة، القاهرة .

(٣) الشهرستاني: (٤٧٩ - ٤٤٨ هـ) أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني. كان إماماً في علم الكلام وأديان الأمم ومذاهب الفلاسفة. من كتبه: الملل والنحل ونهاية الإقدام في علم الكلام، والإرشاد إلى عقائد العباد.. وغيرها.

انظر: الأعلام للزركلي: ٦/٢١٥ . وفيات الأعيان ١/٤٨٢ وفيه روايتان في مولده: إحداهما سنة ٤٦٧

مصدرها في النهاية الشيطان أو اللعين الأول يقول: "وأنت إذا نظرت أنه هذه الشبهات كلها ناشئة من شبهات اللعين الأول"^(١).

ويرد ظهورها الأول في الأمة إلى المنافقين^(٢).

ويرى شيخ الإسلام ابن تيمية أن السبب في ظهور الفرق هو الفتنة وفي ذلك يقول: "ثم حدثت في أواخر زمن عثمان بن عفان أمور أوجبت التفرق، وقام قوم من أهل الفتنة والظلم فقتلوا عثمان فتفرق المسلمون بعد مقتل عثمان"^(٣).

ويمكن تلخيص ظهور الفرق^(٤) في الأسباب التالية:

١- الجهل بالكتاب والسنة وعدم فهم النصوص كما فهمها الصحابة والسلف من بعدهم.

٢- الفتنة التي أدت إلى مقتل عثمان بن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فهذه الحادثة الخطيرة، أدت إلى ظهور أول فرقة في الإسلام وهي الخوارج وبعدها توالى ظهور الفرق.

٣- دخول بعض الشعوب في الإسلام كالفرس وغيرهم، مما جعلهم ينقلون بعض تراثهم الوثني والفلسفي إلى المسلمين، مما كان له أثر واضح في ظهور بعض

= والثانية سنة ٤٧٩ قال الزركلي: "ورجحت الثانية لقول السمعاني إنه سمعها منه".

ومعجم البلدان: ياقوت بن عبد الله الحموي، مادة شهرستان ٣/٣٧٧، الناشر: دار الفكر - بيروت.

(١) الملل والنحل: الشهرستاني، تحقيق: أمير علي مهنا، علي حسن فاعور ١/٢٧، ط الثالثة، ١٩٩٣م، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

(٢) المرجع السابق: ص ٢٨

(٣) بيان تلبس الجهمية: ابن تيمية، تصحيح وتعليق: محمد بن قاسم، ص ٥، ط الأولى، ١٣٩١هـ، مطابع الحكومة، مكة المكرمة.

(٤) انظر: دراسات عن الفرق وتاريخ المسلمين "الخوارج والشيعه": د. أحمد محمد جلي، ص ٤٥، ط الثانية، ١٩٨٨م، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

وأيضاً: مقالات الفرق: أبوزيد محمد مكي ص ١٨.

الفرق.

٤- دخول بعض المغرضين والحاquدين وأصحاب الأهواء في الإسلام من أجل إفساده وهنا تبرز شخصية عبدالله بن سبأ.

٥- تعظيم الآراء وجعلها يقينيات لا تقبل الجدل، وتطويع النصوص الشرعية لها حتى وإن كانت مخالفة لها سواء بالتأويل أو الرفض الكلي لها.

٦- التأثير السياسي وهذا ما ظهر جلياً في عصر المأمون عندما أجبر الرعية على اتباع مذهب الاعتزال.

❖ ثالثاً: أقسام الفرق وأحكامها:

تنقسم الفرق من حيث العموم:

١- فرق إسلامية لم تصل مقالاتها إلى حد الخروج من الإسلام مثل، المرجئة والمعتزلة، والأشاعرة، والماتريدية، والكلابية، والزيدية، وإن وجد في بعض مقالاتهم ما يحكم عليه بأنه كفر.

٢- فرق خارجة عن الإسلام وإن كانت تنسب إليه، فأقواله وأفعالها كفر محض، مثل غلاة الشيعة، وفرق الباطنية من الإسماعيلية، والنصيرية، والدروز.

٣- فرق اختلف في تصنيفها كالشيعة الإمامية والجهمية.

وانقسم العلماء في الحكم على هذه الفرق إلى ثلاثة أقسام:

١- قسم يرى تكفيرهم مطلقاً.

٢- قسم ينفي تكفيرهم مطلقاً.

٣- قسم وسط بين ذلك وقال بالتفصيل:

أولاً: الحكم على الأقوال والأفعال يختلف عن الحكم على أصحابها، فإذا ثبت بالكتاب والسنة أن هذه الأقوال أو الأفعال الصادرة موجبة للكفر حكموا عليها

بالكفر، فيقولون: من قال كذا وكذا فهو كافر.

أما فاعلها، فلا بد إذا أردنا تطبيق الحكم عليه، من استيفاء الشروط والتأكد من انتفاء الموانع، هذا بالنسبة للفرق التي ثبت لها الإيمان بيقين أما الفرق التي لم يثبت لها أصلا الدخول في الإسلام فهذه "كافرة"، وتسمى فرق منتسبة للإسلام.^(١)



(١) انظر: مقالات الفرق: أبو زيد محمد مكي ص ١٨.

الفصل الأول

الفصل الأول

المنهجية التي بنى عليها ابن خلدون دراسته للفرق

وفيه خمسة مباحث:

- ✿ المبحث الأول: أصول منهج ابن خلدون في دراسة الفرق.
- ✿ المبحث الثاني: المصادر التي اعتمدها ابن خلدون في دراسته للفرق.
- ✿ المبحث الثالث: عوامل نشأة الفرق.
- ✿ المبحث الرابع: القواعد المنهجية التي اعتمدها في دراسته للفرق.
- ✿ المبحث الخامس: خصائص منهج ابن خلدون ومميزاته.

المبحث الأول أصول منهج ابن خلدون في دراسته للفرق

❖ أولاً: أقسام العلوم عند ابن خلدون:

قبل بيان أصول منهج ابن خلدون في دراسته للفرق تجدر الإشارة إلى أقسام العلوم عند ابن خلدون.

قسم ابن خلدون العلوم إلى قسمين:

القسم الأول: صنف طبيعي يهتدي إليه الإنسان بفكره، ومثل له بالعلوم الحكمية - الطب - والفلسفية، والتي يمكن للإنسان أن يقف عليها بطبيعة فكره، ويهتدي بمداركة البشرية إلى مسائلها وموضوعاتها وأنحاء براهينها، ويستطيع أن يميز فيها بين الخطأ والصواب^(١).

القسم الثاني: العلوم النقلية الوضعية وهي كلها مستندة إلى الخبر عن الوضع الشرعي ولا مجال فيها للعقل، وهذه العلوم كلها تعود إلى النقل الشرعي والذي أساسه الكتاب والسنة ثم قال: "وأصناف هذه العلوم النقلية كثيرة، لأن المكلف يجب عليه أن يعلم أحكام الله المفروضة عليه، وعلى أبناء جنسه، وهي مأخوذة من الكتاب والسنة بالنص أو بالإجماع أو بالإلحاق"^(٢).

من خلال الكلام السابق يتضح أصول المنهج الخلدوني في تناوله لمسائل العقيدة ومن ضمنها الفرق، فهو فرق عند تناوله لنشأة العلوم بين النقليات والعقلييات فجعل النقليات هي أساس الشرع.

(١) انظر: المقدمة: ابن خلدون، تحقيق: عبدالسلام الشدادى ٢/ ٣٥٨، ط الأولى، ٢٠٠٥م، الدار البيضاء .

(٢) المرجع السابق: ٢/ ٣٥٩ .

❖ ثانياً: أصول منهج ابن خلدون في دراسته للفرق:

يمكن حصره في الأصول التالية:

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- السنة النبوية.
- ٣- الإجماع.
- ٤- قانون العمران البشري.

والأصول السابقة هي المعتمدة لدى علماء أهل السنة والجماعة مع إضافة عبقرية من ابن خلدون وهي قانون العمران البشري.

المراد بأهل السنة والجماعة:

مصطلح أهل السنة والجماعة: هو تعريف مركب من كلمتين: السنة أولاً ثم الجماعة ثانياً، وتكملة المصطلح ليدل على معناه المستقر، والمراد لا بد فيه من اجتماع المفردتين:

أهل السنة: هم المتبعون لسنة المصطفى ﷺ ظاهراً وباطناً، ويقال: فلان على السنة إذا عمل وفق عمل النبي ﷺ وأصحابه^(١).

أما الجماعة فهم: المسلمون من الصحابة والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين. إذا فأهل السنة والجماعة، هم المتمسكون بالإسلام المحض الخالص عن الشوائب، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية " وصار المتمسكون بالإسلام المحض الخالص عن الشوائب هم أهل السنة والجماعة، وفيهم الصديقون والشهداء والصالحون"^(٢).

(١) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول: الشوكاني، تحقيق: الشيخ أحمد عزو، ١/ ٩٥، ط الأولى، ١٩٩٩م، دار الكتاب العربي.

(٢) مجموع الفتاوى: ابن تيمية ٣/ ١٥٩.

أ- القرآن الكريم:

عرف ابن خلدون القرآن الكريم فقال " كلام الله المنزل على نبيه المكتوب بين دفتي المصحف وهو متواتر بين الأمة إلا أن الصحابة رووه عن رسول الله ﷺ على طرق مختلفة في بعض ألفاظه وكيفيات الحروف في أدائها"^(١).

والمتتبع لسيرة ابن خلدون العلمية يدرك مدى تبحره في علوم القرآن، أتقن القرآن وهو صغير، ثم اهتم بفن القراءات وضبطها على يد قراء بلده.

فالقرآن هو المصدر والأصل الأول لابن خلدون وكذا كل ما يتعلق بدراسة ما بعد الرسالة المحمدية، لأنه ناسخ لما قبله من الكتب، ويرى أن الشرع قد نهى عن النظر في الكتب المنزلة غير القرآن^(٢).

وقد كانت معرفته بالتفسير كبيرة يدل على هذا ما ذكره في المقدمة عن التفسير وأقسامه، وأغراضه ومن لهم السبق في ذلك وفي هذا يقول: "وأما التفسير فاعلم أن القرآن نزل بلغة العرب وعلى أساليب بلاغتهم وكانوا كلهم يفهمونه ويعلمون معانيه في مفرداته وتراكيبه، وكان ينزل جملاً جملاً وآيات آيات لبيان التوحيد والفروض الدينية بحسب الوقائع: ومنها ما هو في العقائد الإيمانية، ومنها ما هو في أحكام الجوارح، ومنها ما يتقدم ومنها ما يتأخر ويكون ناسخاً له، وكان النبي ﷺ هو المبين لذلك كما قال تعالى ((لتبين للناس ما نزل إليهم)) النحل - ٤٤ فكان النبي ﷺ يبين المجمل، ويميز الناسخ والمنسوخ، ويعرف أصحابه فعرفوه، وعرفوا سبب نزول الآيات، ومقتضى الحال منها منقولاً عنه"^(٣).

وهكذا فمن خلال النصوص السابقة يمكن القول: إن ابن خلدون كان قريباً

(١) المقدمة: ابن خلدون ٢/ ٣٦١.

(٢) المرجع السابق ٢/ ٣٦٠.

(٣) المرجع السابق ٢/ ٣٦٤.

من المنهج السلفي سواء فيما يتعلق، بتعريف القرآن والتفسير، أو من خلال الكتب التي أوردتها، وتركيزه على مفردة الآثار والصدر الأول^(١).

ب- السنة وهي في اللغة الطريقة والسيرة حسنة كانت أم سيئة^(٢).

والسنة النبوية في الاصطلاح: يختلف معناها على حسب العلم الذي وردت في سياقه فهي عند المحدثين: ما أثر عن النبي ﷺ، من قول، أو عمل، أو تقرير، أو صفة خلقية، أو خلقية، أو سيرة سواء، أكان ذلك قبل البعثة أم بعدها.

وعند الأصوليين: ما نقل عن النبي ﷺ من قول، أو فعل أو تقرير، ويراد بها عند الفقهاء ما ثبت عنه ﷺ من حكم دون الفرض والواجب^(٣).

والسنة تطلق ويراد بها عمل الصحابة وخاصة عند الاتفاق، وتطلق على ما يقابل البدعة.

والمراد بالسنة هنا هو المصدر التشريعي، أو الأصل كما هو تعريف أهل الأصول، وقد عرف ابن خلدون علوم الحديث في مقدمته بما يلي "معرفة القوانين التي وضعها أئمة المحدثين، لمعرفة الأسانيد والرواة وأسمائهم، وكيفية أخذ بعضهم عن بعض، وأحوالهم وصفاتهم واختلاف اصطلاحاتهم، وتحصيل ذلك أن الإجماع واقع على وجوب العمل بالخبر الثابت عن رسول الله ﷺ"^(٤).

فابن خلدون يرى الإجماع على وجوب اتباع ما ثبت عن السنة، وقد ذكر في مقدمته ما يتعلق بتدوينها، ودور علماء السلف في ذلك، وطريقة وصول السنة إلينا ومدى دقة ضبطها واعتناء العلماء بها.

(١) المرجع السابق ٢/ ٣٦٤ .

(٢) لسان العرب: ابن منظور ٦/ ٤٤٥٠ .

تهذيب اللغة: محمد الأزهرى ١٣/ ٥٤ .

(٣) انظر: إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول: الشوكاني ١/ ٩٥ .

(٤) المقدمة: ابن خلدون ٢/ ٣٦٨ .

ج- الإجماع:

معناه العزم المؤكد، أو الاتفاق وأجمع: اسم يدل في التوكيد على الشمول، يقال جاء القوم أجمعهم، وأجمع فلان على السفر إذا عزم عليه، وكلا المعنيين مأخوذ من الجمع فإن العزم جمع الخواطر، والاتفاق فيه جمع الآراء^(١).

والإجماع: اتفاق الخاصة أو العامة على أمر من الأمور، والتعريف المختار عند أهل الفن من الأصوليين "اتفاق مجتهدي الأمة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم في عصر على أي أمر كان"^(٢).

وقال ابن خلدون "واعلم أن الإجماع إنما هو الإتفاق على الأمر الديني عن اجتهاد"^(٣).

وهو يرى أن الاجماع أصلا تشريعي، فقال: وجعلوا مدارك الشرع كلها منحصرة في النصوص والإجماع^(٤)

وناقش هذه المسألة وتطرق فيها لإجماع أهل المدينة وهل هو معتبر أو غير معتبر.

د- قانون العمران البشري.

وهي النظرية التي تفرد بها ابن خلدون، وهي تعتمد أساسا على دراسة التاريخ ورصد ظواهره، وتحويل ذلك إلى قواعد يمكن القياس عليها، والابتعاد عن السرد التاريخي البحت، والذي لا يدقق كثيرا في الرواية، والتي قد تكون تحمل في طياتها

(١) انظر: الصحاح: الجوهري ٣/ ١١٩٨.

معجم مقاييس اللغة: ابن فارس ١/ ٤٧٩، ط ١٤٢٣ هـ، اتحاد كتاب العرب.

(٢) انظر: جمع الجوامع: السبكي، ١/ ١٧٦، دار الكتب العلمية.

(٣) المقدمة: ابن خلدون ٣/ ٦.

(٤) انظر: المرجع السابق ٣/ ٤.

أسس تناقضها، وقد مثل لها بما ذكره _بعض_ المؤرخين عن عديد بني إسرائيل في التيه^(١) وبين مدى الوهم الذي وقعوا فيه، مستخدماً بذلك قاعدته الشهيرة في علم التاريخ والذي لا يبعد كثيراً عن الفرق من حيث النشأة، ألا وهي قاعدة قياس الغائب بالشاهد والحاضر بالذاهب.

ومن القواعد والأصول التي اعتمدها ابن خلدون في دراسته للفرق الإسلامية، والتي في الحقيقة مادتها ليست وفيرة لأي دراسة متخصصة، توظيفه للحقائق التاريخية، من أجل تفسير بعض الظواهر التي تحدثت، ومن ضمنها نشوء الفرق، فالأوطان الكثيرة القبائل والعصائب قل أن تستحكم فيها دولة^(٢).

فعلم العمران البشري والذي ابتكره ابن خلدون أو المطابقة هو أداة لتصحيح الخبر عبر استخدام خصائص الأشياء، من اختلاف في الطباع وتنوع في الأمم، وتباعد في الأماكن والفترات الزمنية، مضافاً إلى هذا كله عند ابن خلدون عدم مخالفته للنقل الشرعي أو العلوم النقلية^(٣).

فدور علم العمران البشري عند ابن خلدون يماثل دور النقد الحديث، من حيث فحص الرواية ومدى صلاحيتها للتطبيق بناء على فهم ودراية بالعصر الذي وقعت فيه، مع استخدام القرائن التي تثبت أو تنفي حصول الحادثة.

فالمنهج الخلدوني في دراسة الفرق يركز على الاستقراء والتحليل ثم التركيب ويمكن تلخيص هذه المفاهيم بأمر ثلاثة:

(١) المقدمة: ابن خلدون / ١ / ١٤ .

(٢) انظر: المرجع السابق / ١ / ٢٧٧ .

(٣) انظر: فلسفة التاريخ الخلدونية: أبو يعرب المرزوقي، ص ٣٧-٣٨، ط الأولى، ١٤٢٨هـ، الدار المتوسطة، تونس .

١ - طبيعة الحياة الإنسانية.

٢ - طبيعة المحيط الطبيعي.

٣ - طبيعة المحيط الثقافي^(١).

وهذه المفاهيم مجتمعة تحدد طبيعة ظهور الفرق، فالبلدان ذات العصبية الكثيرة، تختلف فيما يتعلق بتفريخ الفرق عن غيرها من البلدان ذات العصبية الواحدة، والحضارة والبداءة لها أيضا تأثير في مدى تقبل الأمور.



(١) الإجماع النظري الخلدوني والتاريخ العربي المعاصر: أبويعرب المرزوقي، ص ٣٤، ط ١٤٢٨هـ، الدار المتوسطة للنشر، تونس.

المبحث الثاني: المصادر التي اعتمد عليها ابن خلدون في دراسته للفرق

❖ أولاً: المنبع الشرعي لابن خلدون:

ابن خلدون مثل سابقه ومعاصريه من الموسوعيين، لا يمكن فصله عن المنبع الذي استقى منه وهو العلوم الشرعية، وفي مقدمتها الكتاب والسنة. ويخطئ من يحاول توجيه آراء ابن خلدون ونظرياته بعيداً عن هذا الأساس التأسيسي بالنسبة لعالم شرعي، فمهما تعدد القراءات لإنتاج ابن خلدون العلمي والفكري، يبقى التأثير الشرعي هو المسيطر على ما يكتب، والمستمد في معظمه من المصادر الشرعية وفي مقدمتها القرآن الكريم، فنظرته للدول ومددها لا يخرج عن قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاوُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

ولم تكن سيرة المصطفى ' بعيدة عن النتائج التي رصدتها، وخاصة فيما يتعلق بنظرية العمران التي انفرد بها، يقول مصطفى محمد الشكعة^(١) "وإذا كان المرء ابن بيئته وحصاد مجتمعه ونتاج ثقافته، فقد كان عبدالرحمن بن خلدون كذلك، وجماع ذلك كله أنه عالم من علماء المسلمين، وفقهه من فقهاء الشريعة، وعلم من أعلام المذهب المالكي، ومن ثم صدر في نظرياته جميعاً من منطلق إسلامي محض، وهو ما لم ينتبه إليه دارسوه في الغرب، وأكثر دارسيه في الشرق، فنظرية العمران التي تعتبر أهم منجزاته الفكرية، إسلامية جملة وتفصيلاً"^(٢).

(١) الشكعة: (١٩١٧م - ٢٠١١م) الدكتور: مصطفى محمد الشكعة، مفكر وأستاذ جامعي مصري وعضو مجمع البحوث الإسلامية والعميد الأسبق لكلية الآداب جامعة عين شمس، ورئيس لجنة التعريف بالإسلام بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بوزارة الأوقاف المصرية الأسبق.

(٢) الأسس الإسلامية في فكر ابن خلدون ونظرياته: مصطفى الشكعة، ص ١٥، ط الثالثة، ١٩٩٣م، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة.

بل إنه قد اعتمد كلياً على المصادر الشرعية، في مسألة هي أهم ما اشتهر به وهو علم الاجتماع البشري والسياسي، فهو حين تحدث في الفصل الرابع عشر من المقدمة: أن الدولة لها أعمار طبيعية كما للأشخاص، استنبط كل ذلك من التراث الشرعي، وعندما ذكر أن الدولة في الغالب لا تتجاوز ثلاثة أجيال، اعتمد في تحديد مفهوم العمر على الحديث النبوي "أعمار أمتي بين الستين والسبعين"^(١) واستمر على هذا النهج التدليلي من المصادر الشرعية حينما تطرق إلى المراد بالجيل فاستدل بقوله تعالى:

﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ [الأحقاف: ١٥]^(٢).

وبعد أن قرر أن الدول لا بد أن يلحقها الهرم والفاء، ختم كلامه حول حتمية انهيارها^(٣) بقوله تعالى ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤] وفي الفصل السادس والأربعين: "في أن الهرم إذا نزل بالدولة لا يرتفع"^(٤) ختمه بقوله تعالى ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد: ٣٨].

أما فيما يتعلق بالجانب التاريخي فقد ذكر في المقدمة المراجع التي استقى منها مادة كتابه^(٥).

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٥ / ٤٤٥ الحديث رقم ٣٥٥٠) وقال: "هذا حديث حسن" تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨ م.

ابن ماجه في سننه (٢ / ١٤١٥ الحديث رقم ٤٢٣٦)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي .

الحاكم في المستدرک علی الصحیحین (٢ / ٤٦٣ الحديث رقم ٣٥٩٨) وقال: "هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه" تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤١١ هـ، ١٩٩٠ م.

(٢) انظر: تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون ١/١٢٩، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط الأولى، ٢٠١١ م.

(٣) المرجع السابق: ١/١٣٢.

(٤) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون، ١/٢٢١.

(٥) المرجع السابق ٨/١.

وكذلك فعل في مقدمة كتابه شفاء السائل وتهذيب المسائل^(١) وفي ما يخص جانب العمران البشري والاستدلال به، فهذا أمر برع فيه ابن خلدون وتميز فيه وله السبق في تبين معالمه.

هذا من حيث الإجمال فيما يتعلق بالحديث عن عموم المصادر.

❖ ثانياً: المصادر التي اعتمدها ابن خلدون في دراسته للفرق.

اعتمد ابن خلدون في دراسته للفرق على مصادر يمكن حصرها فيما يلي:

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- السنة النبوية.
- ٣- كتب التاريخ.
- ٤- العمران البشري وهذا علم يمكن القول بأن ابن خلدون هو من ابتكره^(٢).

أ- القرآن الكريم:

النفس القرآني عند ابن خلدون هو المؤثر الأول على معظم انتاجه العلمي فلا يكاد يخلو فصل من استشهاد بآية أو استنباط منها، فهو كما مر في الترجمة، قد حفظ القراءن وأتقنه وأخذ القراءات السبع المشهورة أفراداً وجمعاً^(٣)، في إحدى وعشرين

(١) شفاء السائل وتهذيب المسائل: ابن خلدون، تحقيق الدكتور: محمد مطيع حافظ، ص ٣٤، ط الأولى، ١٩٩٦م، دار الفكر، دمشق .

(٢) ولهذا سماه رشيد رضا بالحكيم الاجتماعي، حيث قال: "حكيمنا الاجتماعي (ابن خلدون) الذي اغتر باهتدائه إلى سنة قيام الملك وسائر الأمور البشرية العامة بالعصبية فأدخل فيها ما ليس منها، بل ما هو مضاد لها، كدعوة الرسل (عليهم السلام) فجعل مدارها على منعهم في أقوامهم وقوة عصبية عشائريهم.."

انظر: الخلافة: للشيخ محمد رشيد رضا، ص: ١٤٩، الناشر: الزهراء للاعلام العربي، مصر، القاهرة .

(٣) التعريف: ابن خلدون، ص ١٦ .

ختمة، وضبط قصيدتي الشاطبي "اللامية"^(١) في القراءات و"الرائية"^(٢) في الرسم، لذا تجد الشاهد القرآني حاضرا في كل كتابات ابن خلدون.

ففي الفصل السابع عشر من مقدمة تاريخه: يقرر قاعدته "أن الغاية التي تجري إليها العصبية هي الملك" وبين في تفاصيلها أن العصبية وإن كانت متعددة إلا أنه لا بد من عصبية أقوى من جميعها تستتبعها، وإلا وقع الافتراق، ودلل على ذلك بالآية ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١]^(٣).

و في المقدمة أيضا في فصلها السابع والعشرين: والذي تناول فيها مذاهب الشيعة في حكم الإمامة،^(٤) فهو حين يناقش مواقف الشيعة من مسألة الإمامة، يبدأ بتنفيذ أقوالهم مبينا عدم صحة استدلالهم، وأنهم يؤولون النصوص على مقتضى مذهبهم بل أكثرها موضوع، أو مطعون في طريقه أو بعيد عن تأويلاتهم الفاسدة، وأورد مثلا على ذلك استشهادهم بالآية الكريمة ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩].

(١) هي المنظومة المنسوبة إلى الإمام أبي محمد القاسم الشاطبي المتوفى سنة ٥٩٠ هـ جرية، نظم فيها كتاب "التيسير" في ١١٧٣ بيتا، وسماها "حرز الأمانى ووجه التهاني في القراءات السبع المثاني".

انظر: مباحث في علوم القرآن: مناع القطان، ص: ١٧٤، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط الثالثة، ١٤٢١ هـ، ٢٠٠٠ م.

(٢) عقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد: للإمام الشاطبي "ت ٥٩٠ هـ" وهي قصيدة نظم فيها مسائل المقنع: لأبي عمرو الداني وزاد عليه ست كلمات حيث قال الشاطبي:

(وهالك نظم الذي في مقنع عن أبي * عمرو وفيه زيادات فطب عمرا)، وعدد أبياتها ٢٩٨ بيتا، وتسمى الرائية وشرحها كثير من العلماء. دراسات في علوم القرآن - فهد الرومي (ص: ٣٤١).

(٣) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون ١/ ١٠٥.

(٤) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون ١/ ١٤٩.

وفي الفصل العاشر: والذي تحدث فيه عن علم الكلام، وأن الحوادث لا بد لها من أسباب وأن هذه الأسباب في ارتقائها تتضاعف فتتفسح طولا وعرضا، وأن العقل يحار في إدارتها استدلت بهذه الآية ﴿ثُمَّ ذَرَّهُمْ فِي خَوَاضِعِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام: ٩١] على أن التفكير فيه لا يأتي بنتيجة ولن يظفر صاحبها بأي حقيقة^(١).

وأكد على هذه النتيجة والتي رد فيها على أهل الأهواء فقال "ولذا نهانا الشارع عن النظر في الأسباب وأمرنا بالتوحيد المطلق قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [١] اللَّهُ الصَّكَمُ [٢] لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُؤَلِّدْ [٣] وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ [٤] [الإخلاص: ١-٤] ولا تثقن بما يزعم لك الفكر من أنه مقتدر على الإحاطة بالكائنات وأسبابها، والوقوف على تفصيل الوجود كله وسفه رأيه في ذلك"^(٢).

وفي رده على الفلاسفة وإسنادهم الموجودات كلها إلى العقل الأول واكتفائهم به في الترقى إلى الواجب، وأن هذا المذهب باطل، لأنه قصور عن ما وراء ذلك، من رتب خلق الله فالوجود أوسع نطاقا مما ذكره استشهد بقوله تعالى ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٨]^(٣).

وفي موضع آخر^(٤) يستدل بقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ٧] على أن أهل الزيغ، والزنادقة، وجهلة أهل البدع، من أهم علاماتهم هو اتباع المتشابه.

(١) انظر المرجع السابق ص ٣٥١.

(٢) المرجع السابق ١/ ٣٥١.

(٣) الأسس الإسلامية في فكر ابن خلدون ونظرياته: مصطفى الشكعة، ص ٤٢٩.

(٤) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون، ١/ ٣٦٢.

وقد نصر مذهبه فيما يتعلق بتعطيل بعض الصفات كالاتواء والمجيء والنزول والوجه واليدين والعينين بقوله تعالى ﴿يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ﴾ [الكهف: ٧٧] وبين معناها المجازي وأنه هو المراد وليس معناها الظاهر، وقل مثل ذلك عن الصفات السابقة، وأن معناها الظاهر غير مراد لأنه يوهم النقص بالتشبيه. (١)

وهذه شبهة مردودة وفسادة ولها لوزام باطله وغاية في الضلال، فكون ظاهر النصوص غير مراد، يعني أن ظاهرهما فيه ما يمكن أن يكون ضلالاً وكفراً، وأنهما ليس فيهما ما يصلح للاعتقاد بل العكس ما يدعو إلى التشكيك والتأويل، وكأن الأولى ترك الناس بلا كتاب ولا سنة، إضافة إلى ما في الأمر من تجهيل للصحابة حيث تكلموا بما ظاهره كفر دون بيان، ودون تحذير.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية " فإن كان الحق فيما يقول هؤلاء السالبون النافون للصفات الثابتة في الكتاب والسنة - من هذه العبارات ونحوها، دون ما يفهم من الكتاب والسنة إما نصاً وإما ظاهراً فكيف يجوز على الله ثم على رسوله - صلى الله عليه وسلم - ثم على خير الأمة أنهم يتكلمون دائماً بما هو نص أو ظاهر في خلاف الحق، ثم الحق الذي يجب اعتقاده لا يبوحدون به قط، ولا يدلون عليه لا نصاً، ولا ظاهراً، حتى يجيء أنباط الفرس والروم، وفروخ اليهود والنصارى والفلاسفة يبينون للأمة العقيدة الصحيحة التي يجب على كل مكلف أو كل فاضل أن يعتقد" (٢)

وفي كتابه " شفاء السائل وتهذيب المسائل" في الباب الذي عقده عن تحقيق طريق الصوفية وتميزه وبعد أن ذكر ما آل إليه تقسيم فقه الشريعة وأنه على نوعين: الأول: فقه الظاهر وهو معرفة الأحكام المتعلقة بأفعال الجوارح فيما يخص المكلفين أنفسهم.

(١) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون، ص ٣٦٤.

(٢) الفتوى الحموية الكبرى: ابن تيمية، تحقيق: حمد التويجري ص ٢٢١، ط الثانية، ١٤٢٥هـ، دار الصميعي، الرياض.

الثاني: فقه البواطن وهو معرفة الأحكام المتعلقة بأفعال القلوب وجعل من أساء هذا النوع التصوف.^(١)

ومن ثم تطرق إلى الفرق بين الفقيه والمتصوف، عارضاً أقوال الغزالي^(٢) في المسألة.

وبعد أن فصل فيما يتعلق بأحوال الباطن، وفقه القلوب وطريق الخواص وأهمية العمل القلبي، وأن الجزاء يكون على قدره قال "ومن أنعم بالوجود الأول والرحمة السابقة فلعله ينعم في الوجود الآخر بالرحمة اللاحقة ﴿قُلْ يَعْبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]"^(٣).

فهو هنا استدل بالآية القرآنية على أن التصوف معناه باطني وأنه يختص بما في النفوس.

ب- الحديث:

مكانة ابن خلدون الحديثية هي من قاداته لتولي مشيخة الحديث بمدرسة صرغتمش، وذلك سنة ٧٩١هـ.^(٤)

(١) انظر: شفاء السائل وتهذيب المسائل: ابن خلدون، ص ٤٤ .

(٢) الغزالي: (٤٥٠ - ٥٠٥هـ) أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد، الملقب بحجة الإسلام. له (الذخيرة في علم البصيرة)، و(لباب الإحياء)، و(التجريد في كلمة التوحيد) وغيره من الكتب المصنفة في الفقه والتصوف والفلسفة.

انظر: سير أعلام النبلاء: الذهبي ٣٢٢ / ١٩، إنباه الرواة على أنباه النحاة: القفطي ٧٣ / ٢، الأعلام: للزركلي ٢١٤ / ١ .

(٣) شفاء السائل وتهذيب المسائل: ص ٥٠ .

(٤) التعريف: ابن خلدون، ص ١٦ .

فكان أول ما قرر تدريسه هو الموطأ للإمام مالك^(١)، وهو الكتاب الذي درسه على يد العديد من شيوخه أبي عبدالله محمد بن سعد بن برال، وإمام المحدثين في تونس شمس الدين أبي عبدالله محمد بن جابر بن سلطان القيسي الوادياشي، الذي سمع منه أيضا صحيح مسلم وبعضا من الأمهات الخمس، وتلمذ على إمام المحدثين والنحاة بالمغرب أبي محمد عبدالمهيمن بن عبدالمهيمن الحضرمي، ولازمه وأخذ عنه سمعا وإجازة الأمهات الست، وكتاب الموطأ وكتاب ابن الصلاح^(٢) في الحديث، وكتب

(١) هو: كتاب يجمع بين منهجية أهل الحديث، ومنهجية الفقهاء. وقال القاضي عياض في سبب تأليفه: "روى أبو مصعب أن أبا جعفر قال لمالك: ضع للناس كتابا أحملهم عليه، فكلمه مالك في ذلك. فقال: ضعه فما أحد أعلم منك، فوضع الموطأ فلم يفرغ منه حتى مات أبو جعفر". يدل هذا النص على أن تأليف الموطأ كان بطلب من الخليفة أبي جعفر المنصور، ولم يتم التأليف إلا بعد وفاة أبي جعفر.

وقال القاضي عياض: «قال له أبو جعفر [يعني لمالك رَحِمَهُ اللهُ] وهو بمكة: اجعل العلم يا أبا عبدالله علما واحدا. قال: فقلت له: يا أمير المؤمنين، إن أصحاب رسول الله ﷺ تفرقوا في البلاد فأفتى كل في مصره بما رآه، وفي طريق، إن لأهل هذه البلاد قولا، ولأهل المدينة قولا، ولأهل العراق قولا تعدوا فيه طورهم. فقال: أما أهل العراق فلست أقبل منهم صرفا ولا عدلا، وإنما العلم علم أهل المدينة، فضع للناس العلم".

انظر: تقديم موطأ مالك للدكتور الأعظمي ١ / ٧٦٧٥.

وفي مكانته قال الشافعي: «ما في الأرض بعد كتاب الله أكثر صوابا من موطأ مالك بن أنس». ومن المعلوم، كان هذا قبل تأليف صحيح البخاري. وقال ابن مهدي: «ما كتاب بعد كتاب الله أنفع للناس من الموطأ».

انظر: موطأ مالك تحقيق الأعظمي ١ / ١٢١.

(٢) ابن الصلاح هو: الإمام الحافظ، شيخ الإسلام، تقي الدين أبو عمرو عثمان بن صلاح الدين عبد الرحمن بن عثمان الكردي الشهرزوي الشافعي. أحد فضلاء عصره في "التفسير" و"الحديث" و"الفقه". مات سنة "٦٤٣".

انظر: له ترجمة في: البداية والنهاية لابن كثير القرشي الدمشقي، ١٣ / ١٩٦، حققه ودقق أصوله وعلق

كثيرة قال عنها شذت عن حفطي^(١).

وتتجلى معرفته بالصنعة الحديثية، في مناقشته للأدلة حول أمر الفاطمي، فهو قام بدراسة سند كل حديث وبين درجته^(٢).

إذا يخرج الدارس بنتيجة أنه أمام عالم بالحديث، لذا ولا بد أن يكون له نصيب في طريقة تناوله للفرق، واعتباره مصدرا وإن كان ذلك قليلا، وفي مواضيع أخرى تكون طريقة الاستنباط أو المصدرة إن صحت العبارة غير مباشرة وفي مايلي: رصد للأحاديث التي أوردها ابن خلدون في كتبه ولها صلة مباشرة أو غير مباشرة بموضوع الدراسة.

ففي الفصل الذي عقده عن مبدأ دولة الشيعة^(٣):

فند ابن خلدون قول الإمامية في حصر الخلافة في علي وأبنائه، وأن الوصية لهم وذكر الحديث الصحيح، أن العباس^(٤) قال لعلي في وجع رسول الله ﷺ الذي توفي فيه: "اذهب بنا إليه نسأله فيمن هذا الأمر إن كان فينا علمنا ذلك، وإن كان في غيرنا

= حواشيه: علي شيري، الناشر: دار إحياء التراث العربي، ط الأولى، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م، والعبر في خبر من غير: الذهبي، ٢٤٦-٢٤٧، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، واسم كتاب ابن الصلاح هو "معرفة أنواع علم الحديث" وأن تسميته بـ: "المقدمة" هو اجتهاد من ناشري الكتاب. معرفة أنواع علوم الحديث - ت فحل (ص: ٥٧).

(١) انظر: التعريف: ابن خلدون، ص ١٥.

(٢) انظر: تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون، (١/٢٣٦ - ١/٢٤٩).

(٣) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون، ١/١١١.

(٤) هو: العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي. عم رسول الله ﷺ، أبو الفضل. ولد قبل رسول الله ﷺ بستين، حضر بيعة العقبة مع الأنصار قبل أن يسلم، وشهد بدرا مع المشركين مكرها، ثم هاجر قبل الفتح بقليل، وشهد الفتح، وثبت يوم حنين، ومات بالمدينة سنة ٣٢هـ.

انظر: الإصابة في تمييز الصحابة ٣/ ٦٣١.

علمناه فأوصى بنا " فقال علي: "إن منعناها لا يعطيناه الناس بعده" (١).

وقال " وهذا دليل على أن عليا علم أنه لم يوص ولا عهد إلى أحد" (٢).

ومضى ابن خلدون في تنفيذ نصية الإمامة كما زعم الشيعة موردا الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: في مرضه الذي توفي فيه " هلموا أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا" (٣)، فاختلفوا عنده وتنازعوا فلم يتم الكتاب.

ثم قال: "ولم يصح ذلك من وجه يعول عليه" (٤) يقصد وصية النبي ﷺ في مرضه لعلي وقال: "وقد أنكرت هذه الوصية عائشة" (٥) وكفى بإنكارها" (٦).

وفي موضع آخر: (٧) يورد حديث "أعتقها فإنها مؤمنة" (٨) وقال إن هذا مما استدل به جماعة من أتباع السلف، وهم المحدثون والمتأخرون من الحنابلة، على إثبات المكان وأن الله في السماء، وعند حديثه عن القدرية (٩) وأنهم يقولون بـ "أن الأمر كله مستأنف بعلم

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ١١٢ الحديث رقم ٤٤٤٧) باب مرض النبي ﷺ ووفاته.

(٢) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون ١/ ١٦٠

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ١٩ الحديث رقم ٤٤٣١) باب مرض النبي ﷺ ووفاته.

(٤) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون ٢/ ١١١٢.

(٥) أم المؤمنين عائشة: (ت ٥٧هـ) بنت أبي بكر الصديق، تزوجها رسول الله ﷺ بمكة قبل الهجرة بستين. وابتنى بها بالمدينة، وهي ابنة تسع، وتوفيت عائشة سنة سبع وخمسين.

انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٤/ ١٨٨١، ابن عبد البر، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ، ط الأولى.

(٦) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون ١١١٢.

(٧) انظر: تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون ١/ ٣٦٥.

(٨) أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ٣٨١ الحديث رقم ٥٣٧) باب تحريم الكلام في الصلاة، ونسخ ما كان من إباحته.

(٩) انظر: تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون ص ٣٦٤.

حادث وقدرة وإرادة كذلك " ذكر أن ذلك ورد في الصحيح^(١) وأن عبدالله بن عمر^(٢) تبرأ من معبد الجهني^(٣).

وبعد أن قرر أن الكرامات أمر ثابت، ورد ما ذكره أبو إسحاق الإسفرائيني^(٤) وأبو محمد بن أبي زيد المالكي^(٥)، محتجا عليهم بما ورد في الصحيح أن رسول الله ﷺ

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ٣٦ الحديث رقم ٨) كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان، والإسلام، والقدر وعلامة الساعة.

(٢) ابن عمر: (١ ق - ٧٤هـ).

عبدالله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي . أسلم مع أبيه وهو صغير لم يبلغ الحلم، وكان كثير الاتباع لآثار رسول الله ﷺ، حتى إنه ينزل منزله، ويصلي في كل مكان صلى فيه، وتعاهد شجرة بالماء مخافة أن تبيس لأن النبي ﷺ نزل تحتها.

ومات قيل: توفي سنة أربع وسبعين. ودفن بالمحصب، وقيل: بذي طوي. وقيل: بفتح. وقيل: بسرف قيل: كان مولده قبل المبعث بسنة.

انظر: أسد الغابة: ابن الأثير، ٣/ ٢٣٦، ٢٤١، الناشر: دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م.

(٣) معبد الجهني: (ت ٨٠هـ) معبد بن عبدالله بن عويم الجهني البصري - قال الذهبي: (صدوق في نفسه ولكنه سن سنة سيئة فكان أول من تكلم في القدر. ونهى الحسن الناس عن مجالسته وقال: هو ضال مضل) - قتله الحجاج صبرا لخروجه مع ابن الأشعث سنة ٨٠هـ.

انظر: ترجمته في ميزان الاعتدال: ٤/ ١٤١.

كتاب الضعفاء الصغير: البخاري ص ١١٠.

(٤) الإسفرائيني: (ت ٤١٨هـ) إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران، أبو إسحاق الإسفرائيني الملقب بركن الدين، كان أحد أئمة الأشاعرة الكبار في الكلام والأصول، وكان فقيها شافعيًا. أخذ عنه الكلام عامة شيوخ نيسابور، وله تصانيف منها: كتاب: (الجامع في أصول الدين والرد على الملحدين).

انظر ترجمته في: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٤/ ٢٥٦.

والأعلام للزركلي ١/ ٦١.

(٥) أبو محمد عبدالله بن أبي زيد، وكان إمام المالكية في وقته، وقدوتهم. وجامع مذهب مالك، وشارح أقواله.

قال " إن فيكم محدثين وإن منهم عمر" (١) واستدل أيضا بوقائع معروفة مثل قول عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ "يا سارية الجبل" (٢) (٣).

وفي جانب التصوف يرصد الدارس زيادة ملحوظة، فيما يتعلق بجعل الحديث مصدرا ودليلا على العديد من المسائل التي يقررها ابن خلدون.

فعندما أراد التدليل على أن المرید يترقى من مقام إلى مقام، إلى أن ينتهي إلى التوحيد والمعرفة، والتي ذكر أنها الغاية المطلوبة للسعادة (٤) لجأ إلى النص النبوي فأورد

= وكان واسع العلم كثير الحفظ والرواية توفي في ٣٨٩هـ.

انظر: ترتيب المدارك وتقريب المسالك: القاضي عياض اليحصبي، ٦ / ٢١٥، تحقيق: مجموعة من الباحثين، الناشر: مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، ط الأولى .

(١) لم أجده بهذا اللفظ، ولكن أخرجه البخاري بلفظ: "عن أبي هريرة، قال: قال النبي ﷺ «لقد كان فيمن كان قبلكم من بني إسرائيل رجال، يكلمون من غير أن يكونوا أنبياء، فإن يكن من أمتي منهم أحد فعمر» قال ابن عباس رضى الله عنهما: «من نبي ولا محدث».

وروى الترمذي في سننه عن عائشة، قالت: قال رسول الله ﷺ: (قد كان يكون في الأمم محدثون، فإن يك في أمتي أحد فعمر بن الخطاب). هذا حديث حسن صحيح.

ولفظ أحمد في المسند مثل لفظ الترمذي .

أخرجه البخاري في صحيحه كتاب أصحاب النبي ﷺ ٥ / ١٢ حديث رقم: (٣٦٨٩) باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، سنن الترمذي: ٦ / ٦٣ حديث رقم: (٣٦٩٣)، ومسند أحمد: ٨ / ٢٧٣٣، حديث رقم (٢٤٩٢٣).

(٢) القصة أخرجه البيهقي في الاعتقاد (ص: ٣١٤)، قال ابن كثير في البداية والنهاية: إسناده جيد حسن.

انظر: البداية والنهاية: ابن كثير، ٧ / ١٤٧، حقه ودقق أصوله وعلق حواشيه: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .

(٣) : انظر: تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون ١ / ٨٤ .

(٤) انظر: المرجع السابق ١ / ٣٦٩ .

هذا الحديث قال ﷺ: "من مات يشهد أن لا إله إلا الله دخل الجنة"^(١).

وفي سياق حشده للأدلة، على أن المراد بالتصوف فقه الباطن، والذي يمتاز بالنظر إلى أفعال القلوب واعتقاداتها، وكل ما يؤثر في أمر الاستقامة والتي تقود إلى النجاة وصلاح الآخرة، يكثر من الاستشهاد بالحديث النبوي فأورد قوله ﷺ في الخشوع في الصلاة "وإنما له من صلاته ما عقل منها"^(٢) للتدليل على أن المتصوف يعني بأمور الباطن.

وفي بيان الفرق بين فقه الباطن، وبين فقه الظاهر، يستشهد بحديث "دع ما يريبك إلى ما لا يريبك"^(٣) فهذا دليل على أن فقيه الظاهر لا يتكلم في حزازات النفوس، بل هذا من اختصاص أصحاب الفقه الباطن وهم الصوفية^(٤)

وأثناء استعراضه للأقوال في سبب التسمية بالصوفية ومناقشته لها، يتطرق إلى أهل الصفة ونسبة البعض الطريقة لهم فينفي ذلك، ويذكر أن أهل الصفة لم تكن لهم

(١) بهذا اللفظ أخرجه أحمد في مسنده (١٩ / ٣٣٩) الحديث رقم: (١٢٣٣٢)، المحقق: السيد أبو المعاطي النوري، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الأولى، ١٤١٩ هـ، ١٩٩٨ م، والنسائي في السنن الكبرى: ٦ / ٢٧٨، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ، ١٩٩١ م، الحديث رقم: (١٠٩٧١) ثواب من مات يشهد أن لا إله إلا الله، وذكر اختلاف الناقلين لخبر معاذ بن جبل فيه. وغيرهم وهو صحيح.

(٢) الظاهر أن هذا الكلام ليس من الحديث النبوي، وإنما أثر مروى عن الثوري أخرجه الأصبهاني في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٧ / ٦١) الأصبهاني، السعادة، بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤ هـ، ١٩٧٤ م، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١٤٠٩ هـ بدون تحقيق.

(٣) أخرجه النسائي، عن أبي الحوراء السعدي قال: قلت للحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ما حفظت من رسول الله ﷺ قال دع ما يريبك إلى ما لا يريبك)، السنن الكبرى للنسائي، دار الكتب العلمية ٣ / ٢٣٩ حديث رقم: (٥٢٢٠) باب الحث على ترك الشبهات، والترمذي في سننه الترمذي ٤ / ٦٦٨ حديث رقم (٢٥١٨)، وقال: "هذا حديث حسن صحيح".

(٤) انظر: شفاء السائل وتهذيب المسائل: ابن خلدون ص ٤٧. ٤٦. ٤٥.

طريقة خاصة بهم في العبادة^(١) في عهد النبي ﷺ بل الأمر يقتصر على ملازمتهم للمسجد نظرا لاغترابهم وفقدهم وأيد ذلك بحديث أبي هريرة^(٢) في صحيح البخاري^(٣) "وأهل الصفة أضياف الإسلام لا يأوون على أهل ولا مال ولا على أحد إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ولم يتناول منها شيئا وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها"^(٤).

(١) المرجع السابق ص ٥٣.

(٢) أبو هريرة: (ت ٥٩ هـ) عبد الرحمن بن صخر الدوسي أبو هريرة هو مشهور بكنيته وهذا أشهر ما قيل في اسمه واسم أبيه إذ قال النووي إنه أصح، صاحب رسول الله ﷺ، وأكثرهم حديثا عنه، نشأ يتيما ضعيفا في الجاهلية، وقدم المدينة ورسول الله ﷺ بخيبر، فأسلم سنة ٧ هـ ولزم صحبة النبي، فروى عنه ٥٣٧٤ حديثا، نقلها عن أبي هريرة أكثر من ٨٠٠ رجل بين صحابي وتابعي. وولي إمرة المدينة مدة. ولما صارت الخلافة إلى عمر استعمله على البحرين، ثم رآه لين العريكة مشغولا بالعبادة، فعزله. وكان أكثر مقامه في المدينة وتوفي فيها، وكان يفتي.

انظر: الإصابة ٤/٣١٦، أسد الغابة: ٣/٢٥٧، الإستهباب: ٤/١٧٦٨.

(٣) البخاري: (ت ٢٥٦ هـ) محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله: حبر الإسلام، والحافظ لحديث رسول الله ﷺ، صاحب الجامع الصحيح المعروف بصحيح البخاري، والتاريخ، والضعفاء في رجال الحديث، وخلق أفعال العباد والأدب المفرد. ولد في بخارى، ونشأ يتيما، وقام برحلة طويلة (سنة ٢١٠) في طلب الحديث، فزار خراسان والعراق ومصر والشام، وسمع من نحو ألف شيخ، وجمع نحو ست مئة ألف حديث اختار منها في صحيحه ما وثق برواته. وهو أول من وضع في الإسلام كتابا على هذا النحو. توفي سنة ٢٥٦ هـ.

انظر: الأعلام للزركلي: ٦/٣٤، تذكرة الحفاظ: ٢/١٢٢، تهذيب التهذيب: ٩/٤١.

الوفيات: لأبي العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب، ١/١٧٩، تحقيق: عادل نويهض، دار الإقامة الجديدة، ١٩٧٨ م، بيروت.

تاريخ بغداد: أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، ٢/٤، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٨/١٩٦ الحديث رقم ٦٤٥٢) باب: كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه، وتخليهم من الدنيا.

ج- علم العمران البشري:

يعتبر ابن خلدون هو المؤسس لهذا العلم، وهو الواضع لقواعده التي لم يسبقه إليها أحد، حيث إنه كان من العلماء الذين أدركوا حقائق العمران الأول في تاريخ الفكر الإنساني.

فهو يقرر أن الحوادث لا تتعاقب على المجتمع دون انتظام، ولا يمكن أن تكون مصادفة أو منفصلة عن بعضها بل إنها تتعاقب وفق قوانين محددة هي ما سماه ابن خلدون "علم العمران البشري" يقول أبويعرب المرزوقي^(١)

"النظرية المقصودة بالذات من تأليف المقدمة: علم العمران (لذاته أو لوظيفته في تصحيح الأخبار أو من المنظورين سواء اتحدا أو اختلفا) وهذا العلم الجديد الذي يعتبره ابن خلدون من إبداعه والذي ماتزال طبيعته مجهولة للتردد في تسميته خلال إسقاط العلوم الحديثة عليه فبعضهم يعتبره بداية علم الاجتماع والبعض الآخر يسميه علم الحضارة والبعض ينفي الأمرين ويعتبره إرهاصات في فلسفة التاريخ"^(٢).

وفي هذا الصدد يقول: فيروز عثمان صالح^(٣) "نستطيع أن نقرر أن ما أسماه ابن خلدون بـ "أس التاريخ" و "باطن التاريخ" هو اكتشاف ابن خلدون وعلمه الجديد الذي ضمنه الكتاب الأول في العمران وبهذا يصبح موضوع "التاريخ هو العمران أو الاجتماع البشري.... إذا فالتاريخ أصبح موضوعه العمران أو الاجتماع الإنساني وسائر ما يحدث فيه من "أحوال" وأصبحت مهمة المؤرخ تتناول كل الظواهر

(١) فيلسوف تونسي من مواليد بنزرت ١٩٤٦م حصل على إجازة في الفلسفة من جامعة السربون تقلد عددا من الوظائف من ضمنها رئاسة بيت الحكمة حاليا عضو المجلس الوطني التأسيسي عن حزب النهضة .

(٢) فلسفة التاريخ الخلدونية دور علم العمران في التاريخ وعلمه - أبويعرب المرزوقي - ص ٢٤ الدار المتوسطة للنشر - تونس ط ١٤٢٨هـ

(٣) باحث سوادني معاصر

الاجتماعية"^(١).

وقد اعتبر ابن خلدون حقيقة التاريخ لا تخرج عن تفسير هذه الظواهر، والتي أسماها "الاجتماع الإنساني" وذكر ذلك صريحا في المقدمة حيث قال "اعلم أنه كانت حقيقة التاريخ أنه خبر عن الاجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم، وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال مثل التوحش والتأنس، والعصبيات وأصناف التغلبات للبشر بعضهم على بعض، وما ينشأ عن ذلك من الملك والدول ومراتبها، وما ينتحله البشر بأعمالهم ومساعدتهم، من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع، وسائر ما يحدث في ذلك العمران بطبيعته من الأحوال"^(٢)

فيمكن معرفة علم العمران البشري ومقصد ابن خلدون من هذا المصطلح بأنه "التساكن والتنازل في مصر، أو حلة للأنس بالعشير واقتضاء الحاجات، لما في طباعهم من التعاون على المعاش"^(٣).

إذا مفردة "عمران" تعني عند ابن خلدون القضايا الاجتماعية والسياسية والثقافية والسكانية "أي كل ما يتعلق بالإنسان بداوة وحضارة ووجوه الكسب والصنعة والملك والدولة.

وفي موضع آخر يحصر الكلام في هذا المضمهر في ستة فصول:

الأول: في العمران البشري على الجملة.

الثاني: في العمران البدوي وذكر القبائل والأمم الوحشية.

الثالث: في الدول والخلافة والملك وذكر المراتب السلطانية.

الرابع: في العمران الحضري والبلدان والأمصار.

(١) آداب: العدد: ٢٤، ديسمبر ٢٠٠٦م، ص ١١، حقوق الطبع محفوظة لكلية الآداب جامعة الخرطوم.

(٢) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون، ١/٢٩.

(٣) انظر: المرجع السابق ١/٣٣

الخامس: في الصنائع والمعاش والكسب ووجوهه.

السادس: في العلوم واكتسابها وتعلمها.

ثم علل طريقة الترتيب والتقديم بين هذه المكونات السابقة^(١).

ويستشف مما سبق أن المجتمع وفقا لنظريته "علم العمران البشري" يمر
بمرحلتين أساسيتين:

الأولى: مرحلة العمران البدوي "العصبية" ولها أيضا مظاهرها ومراتبها.

الثانية: مرحلة العمران والحضارة.

ويلاحظ ربطه لكثير من الظواهر بـ "العصبية" كما سيأتي لاحقا.

وقد وصف ابن خلدون هذا الفن أي "علم العمران البشري" بـ "أحسن
الوجوه في تمحيص الأخبار وتمييز صدقها من كذبها" بل جعله مقدما على فن الجرح
والتعديل، لأن تعديل الرواة لا يرجع إليه إلا بعد التأكد من كون الخبر ممكنا في نفسه
أو ممتنعا، وضرب لذلك أمثلة منها ما ذكره المسعودي^(٢) عن مدينة النحاس التي كانت
بصحراء سجلماسة ظفر بها موسى بن نصير^(٣) في غزواته إلى المغرب.

(١) انظر: تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون ١/ ٣٣

(٢) المسعودي: (ت ٣٤٦هـ) علي بن الحسين بن علي، أبو الحسن المسعودي، من ذرية عبدالله بن مسعود:
مؤرخ، رحالة، بحاث، من أهل بغداد. أقام بمصر وتوفي فيها، قال الذهبي: "عداده في أهل بغداد، نزل
مصر مدة، وكان معتزليا". من تصانيفه: "مروج الذهب" و"أخبار الزمان ومن أباده الحدثان" تاريخ
في نحو ثلاثين مجلدا، و"التنبيه والإشراف".

انظر: الأعلام للزركلي: ٤/ ٢٧٧. فوات الوفيات: محمد بن شاعر الكتبي، ٣/ ١٢، تحقيق: إحسان
عباس، دار صادر، بيروت، ط الأولى، ١٩٧٤. طبقات الشافعية: ٣/ ٤٥٦.

(٣) ابن نصير: (١٩هـ - ٩٧هـ) أبو عبد الرحمن اللخمي موسى بن نصير الأمير الكبير، تابعي وفتح عظيم،
كان أعرج مهيبا، ذا رأي وحزم، غزا قبرص وبنى بها حصونا، ثم غزا إفريقية في ولاية عبدالعزیز بن
مروان ثم تولى إمارة إقليم المغرب، وسير جيشا على رأسه مولاه طارق بن زياد لفتح الأندلس ثم لحقه
=

وأيضاً ما نقله البكري^(١) في بناء المدينة المسماة ذات الأبواب تحيط بأكثر من ثلاثين مرحلة وتشتمل على عشرة آلاف باب^(٢).

أما كيف استفاد ابن خلدون من خلال تناوله للفرق من هذا العلم الذي ابتكره فهذه محاولة لرصده.

وقبل ذكر النماذج والأمثلة على تأثير "علم العمران البشري" في طبيعة دراسة ابن خلدون للفرق وطريقة النظرة إليها لا بد من إيراد ما ذكره بعد تعريفه للتاريخ وربطه بالعمران البشري فقال: "ولما كان الكذب متطرقاً للخبر بطبيعته وله أسباب تقتضيه، فمنها التشيعات للآراء والمذاهب فإن النفس إن كانت على حال الاعتدال في قبول الخبر أعطته حقه من التمهيص والنظر حتى يتبين صدقه من كذبه وإذا خامرها تشيع لرأي أو نحلة قبلت ما يوافقها من الكذب ونقله"^(٣).

فابن خلدون يرى أن من أسباب التشيع للآراء والمذاهب غياب الاعتدال وخللا في الشخص نفسه يجعله غير قادر على التمييز والتمهيص بين حقائق الأشياء

= وأكمل الفتح سوياً، قيل بأن سليمان بن عبد الملك لما تولى الخلافة عزله فعاد إلى أرضه بالحجاز حتى توفي.

انظر: سير أعلام النبلاء: ٤ / ٤٩٦ .

وفيات الأعيان: ٥ / ٣١٨ .

انظر: الأعلام للزركلي: ٧ / ٣٣٠ .

(١) البكري (.. - ٤٨٧ هـ) عبدالله بن عبدالعزيز بن محمد البكري الأندلسي مؤرخ جغرافي، وأديب له اهتمام فائق بالطبيعة وعالم بالنبات .

له مصنفات عدة أهمها: "المسالك والممالك" و"معجم ما استعجم" و"شرح أمال القالي"

انظر: الأعلام للزركلي: ٤ / ٩٨ .

(٢) انظر: تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون ١ / ٣٠ .

(٣) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون ١ / ٢٩ .

ولا يتبين الصدق من الكذب، فهو هنا يحمل جهل الإنسان بكثير من الحقائق إلى طبيعة تكوينه المعرفي إن صح التعبير.

من خلال النقول السابقة يتبين مدى أهمية علم العمران البشري في نظرة ابن خلدون للمعارف وتفسيره للظواهر أيا كانت.

فهو يقرر أن "الدعوة الدينية من غير عصبية لا تتم" معللاً ذلك بأن كل أمر تحمل عليه الكافة فلا بد له من العصبية، مستدلاً بالحديث الصحيح "ما بعث الله نبياً إلا في منعة من قومه"^(١).

وهذا يحصل في حق الأنبياء وهم الأولى بخرق العوائد فما ظنك بغيرهم، ثم ضرب لذلك نموذجاً وهو ابن قسي^(٢) فكيف أن الأمر استتب له بفضل انشغال العصبية الكبرى في الأندلس، بحروب أخرى جعلت عصبية الأقل تسيطر لبعض

(١) بهذه الزيادة أخرجه الترمذي في السنن في أبواب التفسير رقم: (٣١١٦)، أحمد في المسند: حديث رقم: (١٠٩١٦)، وابن حبان في صحيحه رقم: (٦٢٠٦)، وأصله في البخاري دون الزيادة التي في متن البحث، أخرجه في الأنبياء: باب {ولوطاً إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون} رقم: (٣٣٧٥).
تعليق شعيب الأرنؤوط على تحقيق مسند أحمد: صحيح وهذا إسناد حسن ٥٣٣/٢.

هو من كلام أبي عمر، وهو: الضير، حفص بن عمر البصري.

تفسيراً لحديث أبي هريرة، عند أحمد في المسند عن النبي ﷺ قال: "لو ط لو أن لي بكم قوة، أو آوي إلى ركن شديد قال قد كان يأوي إلى ركن شديد ولكنه عنى عشيرته فما بعث الله ﷺ بعده نبياً إلا بعثه في ذروة قومه قال أبو عمر فما بعث الله ﷺ نبياً بعده إلا في منعة من قومه).

(٢) ابن قسي: (ت ٥٤٦هـ) أبو القاسم أحمد بن الحسين، فلسفي متصوف ألف كتاب خلع النعلين في الوصول إلى حضرة الجمعين، في التصوف، قال عنه الإمام الذهبي: "كان في أول أمره يدعي الولاية، وكان ذا حيل وشعبذة، ومعرفة بالبلاغة"، ثار على الموحدين فظفر به عبد المؤمن ثم عفا عنه، وقيل سجنه.

انظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: الذهبي، ١١ / ٩٢٦ تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، لبنان/ بيروت، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، ط الأولى. الأعلام: للزركلي ١ / ١١٦.

الوقت. (١)

وفي موضع آخر: يعلل ابن خلدون تخصيص قريش بالخلافة لأنهم أهل العصبية والقادرون على جمع العرب، ورفع التنازع والشتات بينهم.

وذهب إلى أن تخصيص قريش بالخلافة، إنما لما تمتلك من عصبية على مضر وسائر قبائل العرب، وأن الشارع لا يخص الأحكام بجيل ولا عصر ولا أمة، وهذا ما جعله يشترط أن يكون القائم بأمور المسلمين ممن يمتلكون العصبية الأقوى، كما كان لقريش في الماضي. (٢)

ويواصل ابن خلدون رصده لتأثير "العمران البشري" وخاصة العصبية في ظهور الفرق وعلى رأسها الخوارج، ومساهمتها في حدوث الفتنة فيعيد كل ذلك إلى ظهور القبائل الكبرى ودخولها في الإسلام، كقبائل ربيعة واليمن سواء من كهلان أو حمير، إضافة إلى قيس عيلان وتميم من مضر، واعتداد هذه القبائل بكثرتها مقارنة بقبائل الحجاز وفي مقدمتها قريش والأنصار. (٣)

فيرى أن ارهاصات الخروج بدأت مع خفوت العامل الديني، والعودة إلى العصبية القبلية والتي بدورها تضعف الانقياد الديني، مما أدى في النهاية إلى استنكاف هذه القبائل عن تبعيتها لقريش.

ويذهب ابن خلدون أبعد من هذا حيث يرى أن سبب استتباب الأمر لبني أمية يعود إلى قوة العصبية واعتبر أن خروج الحسين (٤) بن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بعد ظهور فسق

(١) انظر: تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون ١/ ١٢٠ .

(٢) انظر: المرجع السابق ١/ ١٤٨ .

(٣) انظر: تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون ١/ ١٦٢ .

(٤) الحسين بن علي: (٤هـ - ٦١هـ) الحسين بن علي بن أبي طالب يكنى أبا عبدالله، وأمه فاطمة بنت رسول الله ﷺ. وسيد شباب أهل الجنة قتل في معركة كربلاء سنة ٦١هـ على أيدي الجيوش الأموية .

يزيد بن معاوية^(١) عند الكافة من أهل عصره، إنما كان لظنه أي الحسين أنه أهل لهذه المهمة وصاحب شوكة "فأما الأهلية فكانت كما ظن وزيادة وأما الشوكة فغلط رَحْمَةُ اللَّهِ" (٢).

وعلى ذلك بأن عصبية مضر كانت في قريش، وعصبية قريش كانت في بني عبدمناف، وعصبية بني عبدمناف كانت في بني أمية تعرف ذلك لهم قريش وسائر الناس.

وإنما نسي ذلك في أول الإسلام، وخوارق العادات، مما أسهم في نسيان القوم لعصبيتهم، ولم يبق إلا العصبية الطبيعية التي لا يستغنى عنها في إقامة الدين وجهاد المشركين، فلما انقطع أمر النبوة والمعجزات عادت العصبية كما كانت ولمن كانت وأصبحت مضر أطوع لبني أمية من سواهم بما كان لهم من قبل.

وحكم ابن خلدون على الحسين بالغلط الدنيوي، بناء على قاعدته في العمران البشري فقال "فقد تبين لك غلط الحسين إلا أنه في أمر دنيوي لا يضره الغلط فيه" (٣).

= انظر: مقاتل الطالبين: أبو الفرج الأصبهاني ص ٨٤، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعرفة، بيروت. الإنشاء في تاريخ الخلفاء: محمد بن علي بن محمد المعروف بابن العمراني، ص ٥٣، تحقيق: قاسم السامرائي، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط الأولى، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م.

المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن الجوزي، ٣٤٨ / ٥، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

(١) يزيد بن معاوية: (٢٥هـ - ٦٤هـ) أبو خالد يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية، القرشي، ثاني خلفاء بني أمية، أخذ له أبوه معاوية رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ البيعة قبل وفاته، كان نزاعاً إلى الهوى، شاعرًا رويت له قصائد رقيقة، وجه جيش الحرة وأباح له المدينة ثلاثة أيام قتل فيها كثير من الصحابة والتابعين.

انظر: تاريخ الإسلام: ٢٦٩ / ٥، سير أعلام النبلاء: ٣٥ / ٤، الأعلام للزركلي ١٨٩ / ٨.

(٢) تاريخ ابن خلدون ١ / ١٦٣

(٣) المرجع السابق ١ / ١٦٣

وفي موضع آخر: يصدر نفس الحكم على ابن الزبير^(١)، فيما يتعلق بالخروج، وإن كان يعتبر أن غلط ابن الزبير في أمر الشوكة أعظم، لأن بني أسد لا يقاومون بني أمية في جاهلية ولا إسلام^(٢).

إذا لا يمكن فصل أي تناول لابن خلدون عن أي قضية دون التطرق إلى ربطه الأمور بقوانين "العمران البشري"

د - كتب التاريخ والمقالات:

لا يمكن لدارس أن يغفل أهمية التاريخ عند ابن خلدون في تناول أي قضية، فهو أساس نظرياته التي اشتهر بها مع إضافة عامل التمحيص والتدقيق في النتيجة التي يقدمها، وهذا ما تميز به ابن خلدون عن سابقه وربما لا حقيه^(٣).

والملاحظ فيما يتعلق بتناول ابن خلدون للفرق اللهم إلا إذا استثنينا "الصوفية" و"أهل الكلام" أن تناولهم له كان سرديا واكتفى فيه بالنقل عن كتب المؤرخين، وأصحاب المقالات وهذا ما سنتعرف عليه من خلال الرصد التالي لما أورده في مصنفاته عن "الفرق".

ففي بداية مصنفه "العبر" الشهير بتاريخ ابن خلدون يستعرض نماذج من

(١) عبدالله بن الزبير: (١هـ - ٧٣هـ) أمير المؤمنين عبدالله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد، القرشي الأسدي، وأمه ذات النطاقين أسماء بنت أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم، شارك في كثير من الفتوحات، بويع له بالخلافة بعد وفاة يزيد بن معاوية، فدارت بينه وبين الأمويين حروب انتهت بمقتله سنة ٧٣هـ بعد أن خذله أصحابه وانفضوا عنه، من أشهر أعماله بناؤه للكعبة على قواعد إبراهيم عليه السلام.

انظر: سير أعلام النبلاء: ٣/٣٦٣، الإصابة في تمييز الصحابة: ٤/٧٨، وفيات الأعيان: ٣/٧١، الأعلام للزركلي: ٤/٨٧.

(٢) انظر: تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون، ص ١٦٤.

(٣) انظر: الأسس الإسلامية في فكر ابن خلدون ونظرياته، مصطفى الشكعة، ص ٤١.

الأعلام الذين كتبوا في التاريخ من أمثال: ابن إسحاق^(١)، والطبري، وابن الكلبي^(٢)،
ومحمد بن عمر الواقدي^(٣)، والمسعودي، وأبو حيان التوحيدي^(٤).

(١) ابن إسحاق: (ت ١٥١هـ) محمد بن إسحاق بن يسار المطلبى بالولاء، المدني: من أقدم مؤرخي العرب،
من أهل المدينة. له: "السيرة النبوية" هذبها ابن هشام، وكان قدريا، ومن حفاظ الحديث. زار
الاسكندرية سنة ١١٩هـ وسكن بغداد فمات فيها ودفن بمقبرة الخيزران أم الرشيد. قال ابن حبان: "لم
يكن أحد بالمدينة يقارب ابن إسحاق في علمه أو يوازيه في جمعه، وهو من أحسن الناس سياقا للأخبار".
انظر: الأعلام للزركلي: ٢٨/٦، تهذيب التهذيب ٣٨/٩.

الطبقات الكبرى: محمد بن سعد أبو عبدالله البصري، ٣٢١/٧، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر،
بيروت، ط الأولى، ١٩٦٨م.

انظر: تذكرة الحفاظ: ١/١٣٠، وفيات الأعيان: ٤/٢٧٦.

(٢) ابن الكلبي: (ت ٢٠٤هـ) هشام بن محمد أبو النضر ابن السائب ابن بشر الكلبي، أبو المنذر: مؤرخ، عالم
بالأنساب وأخبار العرب وأيامها، كأبيه كثير التصانيف، من أهل الكوفة، قال الذهبي: "أحد المتروكين
كأبيه" وقال أحمد بن حنبل: "إنها كان صاحب سمر ونسب، ما ظننت أن أحدا يحدث عنه". له نيف ومئة
وخمسون كتابا، منها «جمهرة الأنساب»، والأصنام ونسب الخيل وبيوتات قريش والكنى والمثالب
وافتراق العرب.

انظر: الأعلام للزركلي: ٨/٨٧، سير أعلام النبلاء: ١٠/١٠١، وفيات الأعيان: ٢/١٩٥، لسان الميزان:
١٩٦/٦.

(٣) الواقدي: (ت ٢٠٧هـ) محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبدالله، الواقدي:
من أقدم المؤرخين في الإسلام، ومن أشهرهم، ومن حفاظ الحديث. ولد بالمدينة، وكان حناطا (تاجر
حنطة) بها، ولي القضاء ببغداد. واستمر إلى أن توفي فيها سنة ٢٠٧هـ. من كتبه: المغازي النبوية، وفتح
إفريقية، وفتح العجم، وفتح مصر والاسكندرية، وتفسير القرآن وأخبار مكة والطبقات وفتوح العراق.
انظر: الأعلام للزركلي: ٦/٣١١، سير أعلام النبلاء: ٩/٤٥٤، تذكرة الحفاظ: ١/٣١٧، وفيات
الأعيان: ١/٥٠٦.

(٤) أبو حيان التوحيدي: (٣١٠-٤٠٠هـ) أبو حيان علي بن محمد بن العباس البغدادي، الصوفي، الضال
الملحد صاحب التصانيف الأدبية والفلسفية، من كتبه: المقابسات، والصدقة والصديق، والبصائر
والذخائر، والامتناع والمؤانسة.

ويصرح في مقدمته أنه: "يقفو مسلك المسعودي لعصره ليكون أصلاً يقتدي به من يأتي من المؤرخين" (١)

وأن من جاء بعدهم اكتفى بالتقليد ووصفهم ببلادة الطبع والعقل (٢).

وكان مصدره الأول في ما يتعلق بأخبار الخلافة الإسلامية، وما صاحبها من فتوحات وردة وحروب داخلية ثم صلح، هو تاريخ الطبري، الذي يعتبره ابن خلدون أوثق ما رآه وأبعد عن الشبه والأهواء.

يقول بعد أن أنهى حديثه عن بيعة الحسن (٣)، وتسليم الأمر لمعاوية إيذاناً بانتهاء حقبة الخلافة الراشدة، حسب ما يفهم من سياق تسلسل الأحداث لديه " وهذا آخر الكلام في الخلافة الإسلامية وما كان فيها من الردة والفتوحات والحروب ثم الاتفاق والجماعة أوردتها ملخصة من كتاب محمد ابن جرير الطبري وهو تاريخه الكبير فإنه أوثق ما رأيناه في ذلك وأبعد من المطاعن عن الشبه" (٤)

هذا في ما يتعلق بمصادره التاريخية بصفة عامة.

أما في ما يخص الفرق فيصرح بمصادره بوضوح.

= انظر: سير أعلام النبلاء: ١٧/ ١١٩، الأعلام للزركلي: ٤/ ٣٢٦، ميزان الاعتدال: ٣/ ٣٥٥.

(١) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون، ١/ ٢٧.

(٢) انظر: تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون، ١/ ٨.

(٣) الحسن بن علي بن أبي طالب، ويكنى أبا محمد وأمه فاطمة بنت رسول الله ﷺ - بويع بعد وفاة أبيه بيومين، وذلك لسبع بقين من شهر رمضان سنة ٤٠، ثم صالح معاوية في شهر ربيع الأول سنة ٤١، وكانت خلافته إلى أن صالحه ستة أشهر وثلاثة أيام، وهو أول خليفة خلع نفسه وسلم الأمر إلى غيره. توفي بالمدينة في شهر ربيع الأول سنة ٤٩، وله ست وأربعون سنة، ودفن بالبقيع.

انظر: التنبيه والإشراف: أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، تصحيح: عبد الله إسماعيل الصاوي، ١/ ٢٦٠، دار الصاوي - القاهرة، الأعلام: ٢/ ١٩٩.

(٤) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون، ١/ ١٥٢

ففي خاتمة الفصل السابع والعشرين: "مذاهب الشيعة في حكم الإمامة" بعد أن تحدث عن الشيعة ومقالاتهم في ما يتعلق بالإمامة والاختلاف الواقع بينهم وأشهر مذاهبهم في ذلك قال: "ومن أراد استيعابها ومطالعتها فعليه بكتاب "الملل والنحل" لابن حزم والشهرستاني وغيرهما ففيها بيان ذلك"^(١).

ويخصص أكثر عند تناوله لمقالات الحسن بن محمد الصباح^(٢) من الإسماعيلية "ومقالة هذا الصباح في دعوته المذكورة في كتاب الملل والنحل للشهرستاني"^(٣).

وفي موضع آخر: من المقدمة الفصل الثاني والخمسون "في أمر الفاطمي وما يذهب إليه الناس في شأنه وكشف الغطاء عن ذلك".

يورد أهم من تكلم في هذا الجانب ومصادره التي استقى منها ما كتب، وأن أكثر من تكلم في شأن الفاطمي من الصوفية هم ابن عربي الحاتمي^(٤) في كتابه "عنقاء مغرب"^(٥)

(١) المرجع السابق: ١٥٢/١.

(٢) الحسن بن الصباح: (٤٢٨هـ - ٥١٨هـ) بن علي الإسماعيلي، داهية شجاع، عالم بالهندسة والحساب والنجوم. (من أعيان الباطنية في عهد ملكشاه السلجوقي) ثم كان مقدم الإسماعيلية بأصبهان. قال الذهبي فيه: (صاحب الدعوة النزارية، وجد أصحاب قلعة الموت. كان من كبار الزنادقة ومن دهاة العالم). انظر: الأعلام للزركلي ١٩٣/٢، ميزان الاعتدال ١/٥٠٠.

(٣) الملل والنحل: الشهرستاني، ١/١٣٢.

(٤) ابن عربي: (٥٦٠هـ - ٦٣٨هـ) محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله، الشيخ محيي الدين أبو بكر الطائي الحاتمي الأندلسي، صاحب التصنيفات في التصوف وغيره. قال ابن مسدي في جملة ترجمته: كان ظاهري المذهب في العبارات، باطني النظر في الاعتقادات. من تصانيفه: "الفتوحات المكية"، و"التدبيرات الإلهية والتنزيلات الموصلية" و"فصوص الحكم".

انظر ترجمته في: طبقات الأولياء: لابن الملقن، ص: ٤٦٩، تحقيق: نور الدين شريبه من علماء الأزهر، مكتبة الخانجي، بالقاهرة، ط الثانية، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م. والوفائي بالوفيات: ٤/١٢٤. وفوات الوفيات: ٣/٤٣٥، ٤٣٦.

(٥) اسمه الكامل: (عنقاء مغرب في ختم الأولياء وشمس المغرب وطابع الأصفياء) ويتكلم فيه عن (أين

وابن قسي في كتاب "خلع النعلين"^(١).

أما في الفصل: الذي عقده عن "علم الكلام" وهو من أنفس ما كتب في هذا المجال فعند مناقشته واستعراضه للأقوال فيما يتعلق بالذات والصفة، استدلت برسالة أبي زيد القيرواني^(١) وكتاب المختصر^(١) له، ومصنف آخر^(١) للحافظ بن عبد البر^(١). في

= تكون النشأة الروحانية للإمام المهدي، وأين يكون منه ختم الأولياء). وهو مطبوع ضمن رسائل ابن عربي وأعماله عن مؤسسة الانتشار العربي ببيروت ١٩٩٨ م.

(١) كتاب "خلع النعلين في الوصول إلى حضرة الجمعين" لأحمد بن قسي أبو القاسم الأندلسي، اعتبر الصوفية كتابه هذا من أهم مراجعهم، واعتنوا به ونقلوا منه الكثير من الإشارات والحكم بزعمهم، حتى إن قطبهم ابن عربي أكثر النقل عنه في كتابه "الفتوحات المكية" ثم قام بوضع شرح على الكتاب مستقل، توفي ابن قسي قرابة سنة ستين وخمس مائة.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ في كتابه لسان الميزان: (أحمد بن قسي الأندلسي: مصنف كتاب "خلع النعلين" فلسفي التصوف مبتدع أراد الثورة فظفر به عبد المؤمن وسجنه).

انظر: ميزان الاعتدال في نقد الرجال: الذهبي / ١ / ١٢٨ .

(٢) انظر: تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون / ١ / ٢٤٥ .

(٣) القيرواني: (ت ٣٨٦هـ) أبو محمد، عبدالله بن عبدالرحمن بن أبي زيد، القيرواني المالكي الإمام العلامة القدوة الفقيه، عالم أهل المغرب، ويقال له: مالك الصغير، كان من أسرة علمية فأبوه قد جمع مذهب مالك وشرح أقواله، قال عنه الذهبي: "كان أحد من برز في العلم والعمل" وكان ذا صلاح وعفة، وقيل: إنه صنف رسالته الشهيرة وهو في سن السابعة عشرة، له كتب عدة أشهرها رسالته والنوادر والزيادات .

انظر: سير أعلام النبلاء: ١٧ / ١٠، تاريخ الإسلام: ٨ / ٦٤٨، الوافي بالوفيات: ١٧ / ١٣١ .

(٤) (المختصر- أبي زيد القيرواني) وهو (مختصر المدونة الكبرى) وقد حققه ونشره: د. أحمد بن عبد الكريم نجيب، والكتاب في أربع مجلدات عن مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث.

(٥) لعله يقصد "الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار" وقد تطرق فيه ابن عبد البر لهذه المسألة بالتفصيل في باب "ما جاء في قراءة قل هو الله أحد وتبارك الذي بيده الملك" انظر: الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار: ابن عبد البر، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، ٨ / ١١٣، ط الأولى ١٤١٤هـ،

تقرير معتقدات السلف^(١).

وفي آخر هذا الفصل: يقول: "ومن أراد إدخال الرد على الفلاسفة في عقائده فعليه بكتب الغزالي والإمام ابن الخطيب"^(٢).

وفي الفصل: الذي عنوانه بـ "إبطال الفلسفة وفساد منتحلها" ينقل مباشرة عن كتاب "المبدأ والمعاد"^(٣) لابن سينا^(٤).

= ١٩٩٣م، دار قتيبة، دمشق .

(١) ابن عبد البر: (٣٦٨ - ٤٦٣هـ) يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي المالكي، أبو عمر: من كبار حفاظ الحديث، مؤرخ، أديب، بحاث. من كتبه: "الدرر في اختصار المغازي والسير" و"العقل والعقلاء" و"الاستيعاب" و"جامع بيان العلم وفضله" وغيرها .

انظر: وفيات الأعيان: ٦٦/٧، الأعلام ٢٤٠/٨ .

(٢) انظر: تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون، ص ٣٥٥ .

(٣) المرجع السابق ص ٣٥٧ .

(٤) الرازي: (ت ٦٠٦هـ) محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، أبو عبدالله، فخر الدين الرازي: الإمام المفسر. أوجد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل. وهو قرشي النسب. كان يحسن الفارسية، وله شعر باللغتين. من تصانيفه: "مفاتيح الغيب" و"لوامع البينات في شرح أسماء الله تعالى والصفات" و"معالم أصول الدين" و"محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين" و"المسائل الخمسون في أصول الكلام" .

انظر: وفيات الأعيان: ٤٧٤/١، البداية والنهاية: ٥٥/١٣، الأعلام للزركلي: ٣١٣/٦ .

(٥) (المبدأ والمعاد - ابن سينا ص: ١١٤) وفي كتابه هذا (المبدأ والمعاد) مال إلى التشكيك في البعث الجسماني، حيث قال بنصه: (في السعادة والشقاوة الوهمية في الآخرة دون الحقيقية). وهو مطبوع في إيران ١٩٧٣م، وأعادت نشره الثقافة والتهديب في سلطنة عمان ١٩٩٨م.

(٦) ابن سينا: (ت ٤٢٨هـ) الحسين بن عبدالله بن سينا، أبو علي، شرف الملك: صاحب التصانيف في الطب والمنطق والطبيعية والإلهيات. نشأ وتعلم في بخارى، وتقلد الوزارة في همذان، وثار عليه عسكرها ونهبوا بيته، فتواری. ثم صار إلى أصفهان، وصنف بها أكثر كتبه، وعاد في أواخر أيامه إلى همذان، ومات بها. قال ابن تيمية: (تكلم ابن سينا في أشياء من الإلهيات، والنبويات، والمعاد، والشرائع، لم يتكلم بها سلفه، ولا وصلت إليها عقولهم، ولا بلغت علومهم، فإنه استفادها من المسلمين، وإن كان إنما يأخذ عن

وقبل ذلك يقول عن أرسطو^(١): إنه إمام هذه المذاهب كما أسماها، ثم تطرق إلى نقلها إلى اللسان العربي، وانتشار الفلسفة في أوساط المسلمين ودور أبي نصر الفارابي^(٢) في ذلك.^(٣)

وكان لكتاب "الكامل"^(٤) لابن المبرد^(٥) نصيب في حزمة المصادر التي اعتمد

= الملاحدة المنتسبين إلى المسلمين كالإسماعيلية، وكان أهل بيته من أهل دعوتهم، من أتباع الحاكم العبيدي الذي كان هو وأهل بيته معروفين عند المسلمين بالإلحاد) أشهر كتبه: "القانون في الطب" و"الشفاء"، و"أسرار الحكمة المشرقية"، وأرجوزة في "المنطق".

انظر: سير أعلام النبلاء: ١٧ / ٥٣١، الأعلام للزركلي: ٢ / ٢٤٢، وفيات الأعيان: ١ / ١٥٢ .

خزانة الأدب: ١ / ٤٦٦ خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق: محمد نبيل طريقي، اميل بديع اليعقوب، دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م، بيروت .

(١) أرسطو: أرسطوطاليس بن ينقوماخوش فيلسوف الروم وعالمها وجهدها ونحريها وخطيبها وطبيبها، وإليه انتهت فلسفة اليونانيين، وهو خاتمة حكمائهم، كان أفضل تلامذة أفلاطون قيل لازمه عشرين سنة، وينيبه على التدريس حين يغيب، وكان أرسطو محظيا عند الملوك، له كتب ومقالات، قيل عاش ٦٧ سنة.

انظر: أخبار العلماء بأخبار الحكماء: القفطي، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، ص ٣١ ط الأولى ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

(٢) الفارابي: (٢٦٠ - ٣٣٩هـ) محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ أبو نصر التركي، الفارابي الفيلسوف ويعرف بالمعلم الثاني .

له مؤلفات منها "الفصوص" و"إحصاء العلوم والتعريف بأغراضها" وآراء أهل المدينة الفاضلة وغيرها .

انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء، ١٥ / ٤١٦ .

والوفاي بالوفيات (١ / ١٠٢) لصلاح الدين خليل بن أيبك بن عبدالله الصفدي، تحقيق: أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م .

والأعلام: للزركلي (٧ / ٢٠) .

(٣) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون، ص ٤٢٩-٤٣١ .

(٤) الكامل في اللغة والأدب، لمحمد بن يزيد المبرد، أبي العباس (المتوفى: ٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط الثالثة ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م .

(٥) المبرد: (٢١٠ - ٢٨٦هـ) أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي، البصري، الإخباري إمام

عليها ابن خلدون في دراسته للفرق، فقد أحال إليه^(١) عندما تحدث عن الخوارج، والذي كان في معظمه سرديا وتاريخيا ولم يتناول فيه الأمور العقديّة إلا لماما. وفي دراسته للصوفية وأحوال أهلها يعتمد على "الإحياء"^(٢) في علوم الدين "للغزالي و"الرعاية"^(٣) للمحاسبي^(٤). وقد نص على هذا في مقدمة كتابه "شفاء السائل وتهذيب المسائل"^(٥).

- = النحو، وأحد أعلام العربية، ولد بالبصرة، وتوفي ببغداد، له كتب كثيرة من أشهرها كتابه: الكامل في اللغة والأدب، وطبقات النحاة البصريين، وإعراب القرآن.
- انظر: سير أعلام النبلاء ١٣ / ٥٧٦، وفيات الأعيان ٤ / ٣١٣، الأعلام للزركلي ٧ / ١٤٤.
- (١) المرجع السابق ص ١٠٩١.
- (٢) الإحياء في علوم الدين: الغزالي، ويقول عن مقصده فيه: "ولما كان هذا ثلما في الدين ملما وخطبا مدلما رأيت الاشتغال بتحريه هذا الكتاب مهما إحياء لعلوم الدين وكشفا عن مناهج الأئمة المتقدمين وإيضاحا لمباهي العلوم النافعة عند التبيين والسلف الصالحين".
- الإحياء: لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، دار المعرفة - بيروت.
- (٣) كتاب: الرعاية لحقوق الله ﷺ، في الآداب والتصوف والزهد، وهو مطبوع طبعت عدة، منها طبعة دار المعارف بالقاهرة بتحقيق الدكتور عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور، طبعة دار اليقين - المنصورة - مصر.
- (٤) الحارث المحاسبي: (٠٠٠ - ٢٤٣هـ) الحارث بن أسد المحاسبي، أبو عبدالله: من أكابر الصوفية. كان عالما بالاصول والمعاملات، واعظا مبكيا، وله تصانيف في الزهد والرد على المعتزلة وغيرهم. ولد ونشأ بالبصرة، ومات ببغداد. من كتبه: آداب النفوس، وشرح المعرفة، والمسائل في أعمال القلوب والجوارح، وغيرها.
- ميزان الاعتدال: ١ / ٤٣٠.
- الأعلام: ٢ / ١٥٣.
- (٥) كتاب: شفاء السائل وتهذيب المسائل، لابن خلدون، وأثبت عدد من دارسي الكتاب نسبته إليه، وآخرها بتحقيق الدكتور: محمد مطيع حافظ، ط ١، ١٩٩٦م، دار الفكر، دمشق.
- (٦) انظر: شفاء السائل وتهذيب المسائل: ابن خلدون، ص ٣٥.



المبحث الثالث عوامل نشأة الفرق عند ابن خلدون

توطئة:

من خلال تتبع تراث ابن خلدون يمكن حصر عوامل نشأة الفرق في عدد من العوامل، حتى وإن كانت المادة العلمية المتعلقة خاصة بالفرق، ليست بتلك الكثرة، ولم ينص على سبب معين لنشوء أي فرقة، إلا أنه يمكن استشراف العامل واستخراجه من بين السطور وهي تأخذ في معظمها منحى غير تقليدي وإن كان لم يهمل العامل التقليدي بالكلية^(١).

أولاً: اتباع المتشابه:

وقبل الحديث عن هذا العامل نرجح قليلاً على تعريف المتشابه والمحكم.

أ- تعريف المتشابه لغة.

المتشابه لغة: مأخوذ من الشبه وهو التماثل بين شيئين أو أشياء مما يوقع أحياناً في الشك والحيرة^(٢)

يقال: اشتبه الأمر عليه أي التبس عليه.

ب- المتشابه اصطلاحاً.

أما معناه الاصطلاحي: فيدور حول المعاني التالية:

(١) انظر: منطق ابن خلدون: الدكتور علي الورد، ص ٧٦، ط الأولى، ٢٠٠٩م، شركة الوراق للنشر المحدودة.

(٢) مختار الصحاح: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الحنفي الرازي، ص ١٦١، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط الخامسة، ١٤٢٠هـ.

١- ما استأثر الله بعلمه

٢- ما احتمل أكثر من معنى ووجه وبأصل.

٣- ما لم يستقل بنفسه واحتاج إلى بيان برده إلى غيره

٤- ما كان غير واضح الدلالة واحتاج إلى نسخ^(١)

وأورد ابن خلدون هذه المعاني في تعريف المتشابه فقال: "وأما المتشابهات فلهم فيها عبارات: - فليل هي التي تفتقر إلى نظر وتفسير يصح معناها، لتعارضها مع آية أخرى أو مع العقل فتخفى دلالتها وتشتبه بغيرها ثم نقل عن جماعة من علماء السلف "المتشابه ما لم يكن سبيل إلى علمه كسروط الساعة وأوقات الإنذارات وحروف الهجاء في أوائل السور"^(٢).

وطالما عرفنا المتشابه فلا بد من التعرّيج على مقابله وهو المحكم.

ج- الإحكام في اللغة.

الإحكام لغة: الإتقان البالغ ومنه البناء المحكم الذي أتقن، فلا يتطرق إليه الخلل أو الفساد^(٣).

د- الإحكام اصطلاحاً.

أما اصطلاحاً: فقد اختلف الأصوليون في تعريفه على أقوال:

(١) البرهان في علوم القرآن: أبو عبد الله بدر الدين الزركشي، ٢/ ٦٨، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط الأولى، ١٣٧٦هـ، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركائه.

(٢) انظر: تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون، ص ٣٦٢.

(٣) مختار الصحاح: الرازي ص ٧٨.

انظر أيضاً: القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، ص ١٠٩٥، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط الثامنة، ١٤٢٦هـ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

- ١- أن المحكم ما عرف منه إما بالظهور أو التأويل.
 - ٢- المتقن الذي لا يتطرق إليه الإشكال.
 - ٣- الواضح الدلالة الذي لا يحتمل النسخ.
 - ٤- ما عرف بنفسه ولم يحتاج إلى بيان^(١).
- ونقل ابن خلدون عن الفقهاء أن المحكم هو المتضح المعنى^(٢).
- هـ- منشأ التشابه:

ينتج التشابه عن خفاء المراد من النص فمرة يرجع إلى اللفظ ومرة يرجع إلى المعنى، ومرة يرجع إلى اللفظ والمعنى

قال شيخ الإسلام ابن تيمية "ومنشأ الشبهة الاشتراك في لفظ التأويل فإن- التأويل- في عرف المتأخرين من المتفهمة والمتكلمة والمحدثة والمتصوفة ونحوهم هو: صرف اللفظ عن المعنى الراجح، إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به.

وهذا التأويل الذي يتكلمون عليه في أصول الفقه ومسائل الخلاف، فإذا قال أحد منهم هذا الحديث أو هذا النص مؤول أو هو محمول على كذا، قال الآخر: هذا نوع تأويل والتأويل يحتاج إلى دليل والمتأول عليه وظيفتان:

بيان احتمال اللفظ للمعنى الذي ادعاه، وبيان الدليل الموجب للصرف إليه عن المعنى الظاهر"^(٣).

(١) انظر: المستصفي: أبو حامد الغزالي، تحقيق: محمد عبدالسلام عبد الشافي، ص ٨٥، ط الأولى، ١٤١٣هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان .

(٢) انظر: تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون ص ٣٦٢ .

(٣) الإكليل في التشابه والتأويل: ابن تيمية، خرج أحاديثه وعلق عليه: محمد الشيمي شحاته، ص ٢٧، اهداءت، ٢٠٠٢م، دار الإيمان، الاسكندرية .

والتأويل في لفظ السلف له معنيان:

١- تفسير الكلام وبيان مراده ومعناه سواء وافق ظاهره أو خالفه

٢- المراد من نفس الكلام فإن الكلام إن كان طلبا، كان تأويله نفس الفعل المطلوب، وإن كان خبرا كان تأويله نفس الشيء المخبر به.

يقول: ابن تيمية "وأما - التأويل - في لفظ السلف فله معنيان - أحدهما - تفسير الكلام وبيان معناه، سواء وافق ظاهره أو خالفه فيكون التأويل، والتفسير عند هؤلاء متقاربا أو مترادفا وهذا والله هو الذي عناه مجاهد^(١) أن العلماء يعلمون تأويله ومحمد بن جرير الطبري يقول في تفسيره: القول في تأويل قوله كذا وكذا، واختلف أهل التأويل في هذه الآية ونحو ذلك ومراده التفسير

و(المعنى الثاني) في لفظ السلف وهو الثالث من مسمى التأويل مطلقا هو نفس المراد بالكلام، فإن الكلام إن كان طلبا، كان تأويله نفس الفعل المطلوب، وإن كان خبرا كان تأويله نفس الشيء المخبر به وبين هذا المعنى والذي قبله بون، فإن الذي قبله يكون التأويل فيه من باب العلم، والكلام كالتفسير والشرح والإيضاح، ويكون وجود التأويل في القلب واللسان له الوجود الذهني واللفظي والرسمي، وأما هذا فالتأويل فيه نفس الأمور الموجودة في الخارج سواء كانت ماضية أو مستقبلة"^(٢).

و- أثر التشابه في نشأة الفرق.

عقد ابن خلدون في مقدمته فصلا عنونه بـ "كشف الغطاء عن التشابه من

(١) مجاهد: (٢١ - ١٠٤ هـ) مجاهد بن جبر، أبو الحجاج المكي، مولى بني مخزوم: تابعي، مفسر من أهل مكة. قال الذهبي: شيخ القراء والمفسرين. أخذ التفسير عن ابن عباس. تنقل في الاسفار، واستقر في الكوفة. انظر: سير أعلام النبلاء: ٤ / ٤٤٩. الطبقات الكبرى: ٥ / ٤٦٦ لمحمد بن سعد أبو عبد الله البصري، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط الأولى، ١٩٦٨ م. الأعلام ٥ / ٢٧٨.

(٢) الاكليل في التشابه والتأويل: ابن تيمية، ص ٢٨.

الكتاب والسنة وما حدث لأجل ذلك من طوائف السنية والمبتدعة في الاعتقادات" (١).

فقد أورد في هذا الفصل أن أهم الأمور التي أدت إلى ظهور البدع هو ترك المحكم، واللجوء إلى المتشابه، فهو يقرر في هذه الفصل أن السبب الأول في ظهور البدع هو اتباع المتشابه.

وفي موضع آخر: يؤكد هذا العامل في نشوء الفرق، أثناء الفصل الذي عقده عن "علم الكلام" فقال "إلا أنه عرض بعد ذلك خلاف في تفاصيل هذه العقائد، أكثر مثارها من الآي المتشابهة، فدعا ذلك إلى الخصام والتناظر والاستدلال بالعقل، زيادة إلى النقل فحدث علم الكلام" (٢).

ويعيد نشأة الشيعة الإمامية إلى هذا العامل وأنهم يأتون بنصوص لا يعلمها جهابذة السنة، أو يؤولون النص المشترك بين أهل السنة والجماعة وبين الشيعة، ما أدى في النهاية إلى نشوء هذه الفرقة.

وبعد أن تطرق إلى تقسيمهم للنصوص التي يستدلون بها، وأنها على ضربين جلي وخفي، وذكر بعض النماذج منها قال "وهذه كلها أدلة شاهدة بتعين علي للخلافة دون غيره، فمنها ما هو غير معروف، ومنها ما هو بعيد عن تأويلهم" (٣).

وإلى عامل الشبهة أشار في ما يتعلق بالتحكيم والتكفير، وأنها السبب في رفض الخوارج لأمر الحكّمين، وقتالهم لعلي ابن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (٤).

(١) انظر: تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون، ١/ ٣٦٢.

(٢) المرجع السابق: ١/ ٣٥٤.

(٣) انظر: تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون، ١/ ١٤٩.

(٤) المرجع السابق: ٢/ ١٠٨٧.

أما الصوفية فقسمها إلى قسمين وإن كان وصفها بالحدوث^(١).

القسم الأول: طريقة الحق والهداية، وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه، ونسب هذه الطريقة إلى سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين.

القسم الثاني: قوم انصرفت عنايتهم إلى كشف الحجاب والكلام في المدارك التي وراءه، حتى يحصل للنفس إدراكها الذي لها من ذاتها بتمام نشوتها وتغذيتها^(٢).

واعتبر أن معتقدات هذا القسم من المتصوفة لا يخرج عن كون أغلبه من المتشابه فقال "وأما الكلام في الكشف، وإعطاء حقائق العلويات وترتيب صدور الكائنات، فأكثر كلامهم فيه نوع من المتشابه لما أنه وجداني عندهم وفاقد الوجدان عندهم بمعزل عن أذواقهم فيه، واللغات لا تعطي دلالة على مرادهم منه، لأنها لم توضع إلا للمتعارف وأكثره من المحسوسات، فينبغي أن لا نتعرض لكلامهم في ذلك ونتركه فيما تركناه من المتشابه"^(٣).

فابن خلدون هنا يفرق بين أقسام الصوفية ويصنف المتأخرين منهم بأنهم قد فارقوا سبيل الأوائل والسبب في نظره هو أخذهم بالمتشابه.

وستكون وقفات إن شاء الله مع ابن خلدون فيما يتعلق بالصوفية.

(١) انظر: تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون، ١/ ٣٦٨.

(٢) المرجع السابق ١/ ٣٦٨-٣٧٠.

(٣) انظر: تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون، ١/ ٣٧٦.

❖ ثانياً: العصبية:

تشكل العصبية محورا مهما في الفكر الخلدوني وهي عامل حاسم في كل ما يتعلق بدراسة الظواهر البشرية.

فهي في نظره شرط أساسي لتأسيس الدولة، وقيام الخلافة والتشكيك في ظهور المهدي، وابن خلدون يرى أن العصبية هي أهم القوانين الاجتماعية^(١).

وتجابه ابن خلدون بصفته عالما وفقهيا مشكلة كبيرة هي أن الشرع الإسلامي ذم العصبية ونهى عنها وعدها من خصال الجاهلية، فكيف يجوز إذن لابن خلدون أن يحمل العصبية أساس الشرائع بينما هي مذمومة ومنهي عنها في الشريعة الإسلامية.

يقول: علي الوردي^(٢) محاولا الإجابة على هذا الإشكال "يلجأ ابن خلدون في معالجة هذه المشكلة إلى منطق المادي الذي يهتم بمحتوى الأمور ويهمل صورتها الذهنية المجردة ففي رأي ابن خلدون أن العصبية وغيرها من أحوال الدنيا لا يجوز أن نحكم عليها حكما كليا مجردا حيث نغفل عن محتواها الواقعي. إن ابن خلدون يشبه العصبية من هذه الناحية بالملك وبالغضب وبالشهوة فهذه أمور نهى الشرع عنها ودمها بينما هي من مستلزمات الحياة البشرية، فالإنسان من غير شهوة مثلا لا يتم بقاؤه.

وإنما نهى الشرع عن الشهوة لكي يردع الناس عن استعمالها في غير وجهها

(١) انظر: تاريخ ابن خلدون، ١/٣١، ٢٤٨، ١١٦، ١٤٣.

(٢) الوردي: (١٩١٣م - ١٩٩٥م) الدكتور: علي حسين الوردي ولد في الكاظمية في بغداد عام ١٩١٣، اخص في علم الاجتماع، ونال درجة الماجستير والدكتوراة من جامعة تكساس في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٥٠م، له العديد من المؤلفات منها: منطق ابن خلدون في ضوء حضارته، أسطورة الأدب الرفيع، حوارق اللاشعور، الأحلام بين العلم والعقيدة، وعاظ السلاطين، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي.

انظر: علي الوردي: السيرة والأراء، علي حسين الجابري، ٢٠٠٢م.

المشروع أما استعمالها في وجهها المشروع فهو أمر مرغوب فيه، وقد حبذه الشرع وحرص على الإكثار منه، ومثل هذا يمكن أن يقال عن العصبية فهي كثيرا ما تكون وسيلة لنصر الدين وإقامة الحق^(١).

ومفهوم العصبية يكاد يقترب أحيانا مما يطلق عليه في هذا العصر التضامن، وإن أخذ أشكالا متعددة ودرجات متباينة، وليس بالضرورة أن يكون عمادها النسب، بل قد يكون أحيانا بالمجاورة والمساكنة^(٢).

وظهور الفرق عند ابن خلدون مرتبط أساسا بعامل العصبية، سواء كانت دينية أو عرقية، إذا لا تقوم دولة أو ديانة أو تضعف إلا بعامل العصبية نفسه، فهو يرى أن العصبية تكون بها الحماية والمدافعة والمطالبة وكل أمر يجتمع عليه^(٣).
وذهب ابن خلدون أن سبب الفتوحات هو اجتماع عصبية العرب على الدين بما أكرمهم الله من نبوة محمد ﷺ^(٤).

أما كيف وظف هذا العامل في تفسير ظهور الفرق فيمكن رصده في الأسطر القادمة.

فالخوارج وهم أول فرقة ظهرت وكانت لهم شوكة.

يرى ابن خلدون أن السبب في ظهورها هو بروز العصبية القبلية، وخفوت العصبية الدينية عند بعض القبائل الكبرى، ومثل لذلك بقبائل ربيعة وقيس عيلان

(١) منطق ابن خلدون: علي الوردي، ص ١١٦، ط الأولى، ٢٠٠٩م، شركة دار الوراق للنشر المحدودة .

(٢) انظر: ابن خلدون ومنابع الحدائث: فعاليات الندوة العلمية التي أقامها بيت الحكمة بمناسبة المئوية السادسة لوفاته، نبيل خلدون قريسة، ٢/ ٨٢٥، ط ٢٠٠٠م، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، قرطاج .

(٣) انظر: تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون، ١/ ١٠٥ .

(٤) المرجع السابق ١/ ١٥٤ .

وتميم من مضر مع قبائل اليمن^(١).

ومهد لذلك بفصل في مقدمته "أن العرب لا يحصل لهم الملك إلا بصبغة دينية من نبوة أو أثر عظيم من الدين على الجملة"^(٢).

والسبب في ذلك كما يقول أن الصبغة الدينية تذهب بالتنافس والتحاسد الذي في أهل العصبية، وتفرد الوجهة إلى الحق فإذا حصل لهم الاستبصار في أمرهم لم يقف لهم شيء لأن الوجهة واحدة والمطلوب متساو عندهم.^(٣)

أما إذا ضعف الوازع الديني فسوف تعود العصبية وتكون لها الغلبة وبهذا علل انتصار معاوية وتقلده للحكم فقال "واتفقت الجماعة على بيعة معاوية في منتصف سنة إحدى وأربعين عندما نسي الناس شأن النبوة والحوارق، ورجعوا إلى أمر العصبية والتغالب وتعين بنو أمية للغلب على مضر وسائر العرب، ومعاوية يومئذ كبيرهم"^(٤).

وفي موضع آخر: يعيد قيام الظاهرة الشيعية، إلى ضعف عصبية العرب وافتراقها، ويعتبر الدولة العباسية بداية لهذا الانشطار، فيقول: "لم يزل أمر الإسلام جميعاً دولة واحدة أيام الخلفاء الأربعة وبني أمية من بعدهم لاجتماع عصبية العرب، ثم ظهر من بعد ذلك أمر الشيعة وهم الدعاة لأهل البيت، فغلب دعاة بني العباس على الأمر واستقلوا بخلافة الملك، ولحق الفل من بني أمية بالأندلس، فقام بأمرهم فيها من كان هنالك من مواليهم ومن هرب، فلم يدخلوا في دعوة بني العباس، وانقسمت لذلك دولة الإسلام بدولتين لافتراق عصبية العرب"^(٥).

فابن خلدون يرى أن بداية الدولة الشيعية، منشؤه أنهم أي آل البيت يرون أن

(١) انظر: تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون، ١/١٦٢.

(٢) المرجع السابق ١/١١٤.

(٣) انظر: تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون، ١/١١٨.

(٤) المرجع السابق ٢/٩٧٢.

(٥) انظر: تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون، ٢/١١١١.

لهم الحق في الخلافة دون من سواهم من قریش، وقد عقد بابا عنونه بـ "مبدأ دولة الشيعة".

قال في مستهله: "اعلم أن مبدأ هذه الدولة أن أهل البيت لما توفي رسول الله ﷺ كانوا يرون أنهم أحق بالأمر، وأن الخلافة لرجالهم دون سواهم من قریش" (١).

وهو لم يشكك في ظهور المهدي إلا لتلاشي عصبية قریش، ولا ينبغي أن يكون المهدي دون عصبية قوية، وإن كان ولا بد من مهدي فيجب أن يكون في أماكن تواجد الطالبين في مكة والمدينة وينبع، مما يعني ضرورة أن لا يكون مهدي في أماكن قصية تنعدم فيها العصبية، يقول ابن خلدون "قد قررنا ذلك من قبل بالبراهين القطعية التي أريناك هناك وعصبية الفاطميين، بل وقریش أجمع قد تلاشت من جميع الآفاق، ووجد أمم آخرون قد استعلت عصبيتهم على عصبية قریش إلا ما بقي بالحجاز في مكة وينبع بالمدينة من الطالبين من بني حسن وبني حسين وبني جعفر، وهم منتشرون في تلك البلاد وغالبون عليها وهم عصاب بدوية متفرقون في مواطنهم وإماراتهم، يبلغون آلاف من الكثرة فإن صح ظهور هذا المهدي فلا وجه لظهور دعوته إلا بأن يكون منهم، ويؤلف الله بين قلوبهم في اتباعه حتى تتم له شوكة وعصبية وافية بإظهار كلمته، وحمل الناس عليها وأما على غير هذا الوجه مثل أن يدعو فاطمي منهم، إلى مثل هذا الأمر في أفق من الآفاق من غير عصبية ولا شوكة إلا مجرد نسبة في أهل البيت فلا يتم ذلك، ولا يمكن لما أسلفناه من البراهين الصحيحة. وأما ما تدعيه العامة والأغمار من الدهماء ممن لا يرجع في ذلك إلى عقل يهديه ولا علم يفيدته فيجيئون ذلك على غير نسبة وفي غير مكان، تقليدا لما اشتهر من ظهور فاطمي ولا يعلمون حقيقة الأمر كما بيناه وأكثر ما يجيئون في ذلك القاصية من الممالك وأطراف العمران" (٢).

(١) المرجع السابق ١١١١/٢.

(٢) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون، ١/٢٤٨.

بل أحيانا يبالغ في عامل العصبية ويقحمه في كل صغيرة وكبيرة، فهو لا يرى تبريرا لنفي قصة خالد بن يزيد بن معاوية^(١)، في ترجمة الكتب الأجنبية إلا أنه من الجيل العربي البعيد عن الصنائع والعلوم "وربما نسبوا بعض المذاهب والأقوال فيها لخالد بن يزيد بن معاوية ربيب مروان بن الحكم ومن المعلوم البين أن خالدا من الجيل العربي والبدعوة إليه أقرب فهو بعيد عن العلوم والصنائع بالجملة"^(٢)

والعصبية ليست فقط الناحية النسبية بل هي في جوهرها تشمل العديد من العوامل سواء كانت دينية أو اقتصادية فالجبري^(٣) يرى أن الاقتصاد هو المحرك الأول لنظرية العصبية^(٤).

وملخص الموضوع أنه لا يمكن فصل نشوء الفرق عند ابن خلدون، عن سياق نظريته المتعلقة بالعصبية والتي يحشد الأمثلة والأدلة على محوريتها في كل حدث تاريخي سواء تعلق بالدول أو النحل.

(١) خالد بن يزيد: (ت ٩٠هـ) خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف أبو هاشم الأموي، اشتغل بالكيمياء، وقيل عنه أول فلاسفة العرب، وكان شاعرا فصيحاً كثير الأدب فاضلاً، وهو أول من نقل كتب اليونانيين والأقباط إلى العربية، فترجم كتب النجوم والطب والكيمياء.

انظر: سير أعلام النبلاء ٩ / ٤١١، الأعلام ٢ / ٣٠٠.

(٢) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون ص ٤٢١ / ١.

(٣) محمد عابد الجابري: (١٩٣٦ - ٢٠١٠م) مفكر مغربي وأستاذ الفلسفة والفكر العربي الإسلامي في كلية الآداب بالرباط، حصل على دبلوم الدراسات العليا في الفلسفة في عام ١٩٦٧ ثم دكتوراة الدولة في الفلسفة عام ١٩٧٠ من كلية الآداب بالرباط.

له العديد من المؤلفات: نحن والتراث، العصبية والدولة:، سلسلة نقد العقل العربي، مدخل إلى القرآن، مدخل إلى فلسفة العلوم: العقلانية المعاصرة وتطور الفكر العلمي.

انظر: التراث والحداثة في المشروع الفكري: لمحمد عابد الجابري، مجموعة من الكتاب، تقديم: محمد الداوي، دار التوحيد، ٢٠١٢م.

(٤) انظر: العصبية ومعالم الدولة: محمد الجابري، ص ١٧٩، ط السادسة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان.

✽ ثالثاً: العامل الخارجي:

يبرز ابن خلدون الدور التحريضي الذي قام به عبدالله بن سبأ في تأجيج الفتنة، فبعد أن ذكر حادثة إرسال عثمان بن عفان إلى الأمصار ليتحققوا من صحة ما يردده المحرضون عادوا جميعاً فقالوا "ما أنكرنا شيئاً، ولا أنكره أعيان المسلمين، ولا عوامهم إلا عماراً^(١) فإنه استماله قوم من الأشرار انقطعوا إليه، منهم عبدالله بن سبأ ويعرف بابن السوداء، كان يهودياً وقدم إلى المدينة أيام عثمان فلم يحسن إسلامه"^(٢) ثم يقول: "وكان يكثر الطعن على عثمان ويدعو في السر لأهل البيت ويقول: إن محمداً يرجع كما يرجع عيسى"^(٣).

ويؤكد ابن خلدون على هذا الدور الفتوي الذي قام به ابن سبأ وأنه البداية الحقيقية للتشيع "لما فشا التكبر على عثمان والطعن في الآفاق كان عبدالله ابن سبأ ويعرف بابن السوداء، من أشد الناس خوضاً في التشيع لعلي بما لا يرضاه من الطعن على عثمان وعلى الجماعة في العدول إليه عن علي، وأنه ولي بغير حق"^(٤).

فابن خلدون من خلال النصوص السابقة يؤكد على دور العامل الخارجي في نشوء الفرق وبالأخص الصلة بين التشيع واليهودية.

ورغم أن ابن خلدون متعاطف مع الصوفية في مراحلها الأولى إلا أنه يعتبر

(١) بن كنانة بن قيس بن حصين العنسي ثم المذحجي، صحابي جليل، كان عمار وأمه سمية ممن عذب في الله، ثم أعطاهم عمار ما أرادوا بلسانه واطمأن بالإيمان قلبه، فنزلت فيه: "إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان" هاجر إلى أرض الحبشة، وصلى إلى القبلتين وهو من المهاجرين الأولين، وشهد بدرًا والمشاهد كلها، وهو أول من بنى مسجداً في الإسلام، قتل في وقعة صفين عام ٣٧هـ وعمره ثلاث وتسعون سنة.

انظر: الإصابة: ٤/ ٥٧٥، سير أعلام النبلاء: ١/ ٤٠٦، أسد الغابة: ٢/ ٣٠٨.

(٢) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون ٢/ ٩٢٨.

(٣) المرجع السابق نفس الصفحة

(٤) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون، ٢/ ١١١٣.

متأخريهم من أهل الحلول والاتحاد "ثم إن هؤلاء المتأخرين من المتصوفة المتكلمين في الكشف وفي ما وراء الحس توغلوا في ذلك فذهب كثير منهم إلى الحلول والوحدة"^(١).

وفي موضع آخر: يعيد أصل هذا المذهب الباطل إلى النصارى "وهذا الاتحاد هو الحلول الذي تدعيه النصارى في المسيح عليه السلام"^(٢).

وواضح أن ابن خلدون يربط بين متأخري الصوفية وبين النصارى وأن مذاهبهم في الحلول والاتحاد ما هو إلا استيراد لهذه الفكرة من قبل النصارى.

ويمكن القول مجازفة بأن النصوص التي نقلها ابن خلدون عن فرق الباطنية تشير إلى تأثرهم بالمجوس من احتفال بيوم النيروز إلى قولهم بالإباحة، على الأقل هو لم ينفها^(٣).

❖ رابعاً: الترجمة:

من أهل العوامل التي أدت إلى ظهور الفرق عند ابن خلدون هو الترجمة، والتي أدت إلى فشو الفلسفة وانتشارها مما أثر على الوحدة الثقافية والدينية للأمة الإسلامية، وهذه الترجمة نشطت في بداية الدولة العباسية.

وإن كانت بدأت أساساً من الدولة الأموية وقد ساهمت في إدخال مفاهيم خاطئة أثرت على المحيط الإسلامي.

وقد كان السلف يحذرون من هذا، وبدأت بعض بذوره في العصر الأموي وكان العديد من الصحابة على قيد الحياة، وقصة صبيغ بن عسل^(٤) حاضرة هنا،

(١) المرجع السابق / ١ / ٣٧٣ .

(٢) المرجع السابق / ١ / ٣٧١ .

(٣) انظر: تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون / ٢ / ١٢٥٢ .

(٤) قال يحيى بن معين هو صبيغ بن شريك من بني عمرو بن يربوع، وقال أبو نصر ابن ماکولا: وأما صبيغ بالصاد المهملة وغيين معجمة فهو صبيغ بن عسل الذي كان يسأل عمر عن غريب القرآن. وفي الإصابة: =

وخوضه في المتشابهات حيث قيل فيه "وكانت عنده كتب" (١).

ولم تكن ظاهرة الترجمة مستفحلة في ظل الدولة الأموية، وإن كانت موجودة.

ومعروف قصة اهتمام خالد بن يزيد بن معاوية بجانب الفلسفة، وأنه أمر بإحضار جماعة من الفلاسفة ممن كان ينزل مدينة مصر، وقد تصفح بالعربية وأمرهم بنقل الكتب في الصنعة من اللسان اليوناني والقبطي إلى العربي (٢).

وينفي ابن خلدون هذا الدور عن خالد بناء على نظريته في العصبية كما مر.

وتواصلت حركة الترجمة في العصر الأموي وشهد عهد عمر بن عبدالعزيز (٣) ترجمة كتب الطب، واستفحلت هذه الظاهرة في عهد الدولة العباسية وكانت سياستها

= ويقال ابن سهل الحنظلي، له إدراك، وقصته مع عمر مشهورة، إذ اتهمه عمر برأي الخوارج، روي أنه قدم المدينة فجعل يسأل عن متشابه القرآن، فأرسل إليه عمر فأعد له عراجين النخل، فقال: من أنت؟ قال: أنا عبدالله صبيغ، قال: وأنا عبدالله عمر، فضربه حتى أدمى رأسه، فقال: حسبك يا أمير المؤمنين، قد ذهب الذي كنت أجده في رأسي.

انظر: الإكمال في رفع الارتباب عن المؤلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب: ابن ماکولا، ٢٢١/٥، دار الكتاب الإسلامي الفارق الحديثة للطباعة والنشر خلف ٦٠ ش راتب حدائق شبرا القاهرة. الإصابة في تمييز الصحابة ٣/ ٣٧٠، تاريخ دمشق لابن عساكر ٢٣/ ٤١٠.

(١) الشريعة: الآجري، تحقيق: عبدالله الدميجي، ص ٤٨٣، ط الثانية، ١٩٩٩م، دار الوطن، الرياض، السعودية.

(٢) الفهرست: ابن النديم، تحقيق: إبراهيم رمضان، ص ٣٠٠، ط الثانية، ١٩٩٧م، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

(٣) عمر بن عبد العزيز: (٦١ - ١٠١هـ) عمر بن عبدالعزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي، أبو حفص: الخليفة الصالح، والملك العادل، وربما قيل له خامس الخلفاء الراشدين تشبيها له بهم. وهو من ملوك الدولة مروانية الأموية بالشام. ولد ونشأ بالمدينة، وولي إمارتها للوليد. ثم استوزره سليمان بن عبد الملك بالشام، وولي الخلافة بعهد منه سنة ٩٩هـ، ومدة خلافته سنتان ونصف.

انظر: فوات الوفيات: ٢/ ١٠٥، تاريخ الطبري: ٨/ ١٣٧، الأعلام للزركلي: ٥٠/ ٥٠.

تختلف عن سياسة الدولة الأموية.

فالدولة الأموية كان يغلب عليها العنصر العربي وكانوا حديثي عهد بالبداءة، بخلاف الدولة العباسية التي هيمن عليها العنصر الفارسي ثم لاحقاً التركي، إضافة إلى أن الكثير من الخلفاء العباسيين كانت نشأتهم غير عربية فكل هذه العوامل أدت إلى طفرة في الترجمة.

وقد برز دور هؤلاء المترجمين فكانت لهم مكانة في قصر الخلفاء العباسيين، خاصة تحت حكم الخلفاء الذين كانوا يشجعون العلم وأنصاره، مما سمح لهؤلاء المترجمين بالتمتع بموقع متميز واستفادة من مكانة سامية إضافة إلى الأجور التي يدرها عليه عمله^(١).

وموقف ابن خلدون من الترجمة إيجابي رغم تحميلها مسؤولية تفشي ظاهرة الضلال.

يقول في أثناء تأريخه للعلوم العقلية وأصنافها:

"ثم جاء الله بالإسلام وكان لأهله الظهور الذي لا كفاء له وابتزوا الروم ملكهم فيما ابتزوه للأمم. وابتدأ أمرهم بالسذاجة والغفلة عن الصنائع، حتى إذا تبجح السلطان والدولة أخذوا من الحضارة بالحظ الذي لم يكن لغيرهم من الأمم، وتفننوا في الصنائع والعلوم، تشوفوا إلى الاطلاع على هذه العلوم الحكيمية بما سمعوا من الأساقفة والأفاسسة المعاهدين بعض ذكر منها وبما تسمو إليه أفكار الإنسان فيها، فبعث أبو جعفر^(٢) المنصور إلى ملك الروم، أن يبعث إليهم بكتب التعاليم مترجمة،

(١) انظر: الترجمة في العصر العباسي مدرسة حنين بن إسحاق وأهميتها في الترجمة: مريم سلامة، كار، ترجمة د/ نجيب غزاوي، ص ٣٦، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، دمشق، ١٩٩٨م.

(٢) أبو جعفر المنصور: (٩٥ - ١٥٨هـ) عبدالله بن محمد بن علي بن العباس، المنصور: ثاني خلفاء بني العباس، وأول من عني بالعلوم من ملوك العرب كان عارفاً بالفقه والادب، مقدماً في الفلسفة والفلك، محباً للعلماء، ولي الخلافة بعد وفاة أخيه السفاح سنة ١٣٦هـ وهو باني مدينة "بغداد، وفي أيامه شرع

فبعثها إليه، فقرأها المسلمون واطلعوا على ما فيها وازدادوا حرصا على الظفر بما بقي فيها وجاء المأمون بعد ذلك، وكانت له رغبة في العلم بما كان ينتحله فانبعث لهم العلوم حرصا، وأوفد

الرسل على ملوك الروم في استخراج علوم اليونانيين وانستساخها بالخط العربي، وبعث المترجمين لذلك فأوعى منه واستوعب وعكف عليها النظر من أهل الإسلام فحذقوا في فنونها، وانتهت إلى الغاية أنظارهم فيها"^(١).

إذا فلم يكن موقف ابن خلدون من الترجمة سلبيا مطلقا.

أما كيف كان عامل الترجمة مهما في ظهور الفرق عند ابن خلدون، فهذا ما سيتبين من خلال رصد ما كتبه وخاصة في المقدمة والتي هي ذروة نتاجه الفكري.

يقول في معرض صدد مناقشته لنشوء الفلسفة وإبطلها وفساد منتحلها ودور الترجمة في حصول ذلك "وذلك أن كتب المتقدمين لما ترجمها الخلفاء من بني العباس من اللسان اليوناني إلى اللسان العربي تصفحها كثير من أهل الملة وأخذ من مذاهبهم من أضله الله من منتحلي العلوم وجادلوا عنها واختلفوا في مسائل من تفاريعها وكان من أشهرهم أبو نصر الفارابي"^(٢).

يتضح من هذا النص تحميل ابن خلدون الترجمة مسؤولية ظهور أمثال الفارابي وأشباهه من الفلاسفة.

= العرب يطلبون علوم اليونانيين والفرس، وعمل أول أسطربلاب في الإسلام، اشتهر بتواقيعه البليغة، وهو والد الخلفاء العباسيين جميعا.

انظر: الأعلام للزركلي: ٤/١١٧. الكامل في التاريخ: ٥/١٧٢، ابن الأثير، راجعه وصححه: محمد يوسف الدقاق، ط الأولى، ١٩٨٧م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. البدء والتأريخ: ٦/٩٠. تاريخ يعقوبي: ٣/١٠٠.

(١) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون، ١/٣٨١.

(٢) المرجع السابق ١/٤٢٩.

كما أن نشأة "علم الكلام" وكل ما يرتبط به من فرق إنما هو من باب محاولة الرد على الفلاسفة بنفس منطقهم وقواعدهم⁽¹⁾.

والحاصل أن ابن خلدون يعقد صلة بين ظهور التشيع وبين اليهودية، كما أنه يثبت الأصول النصرانية للصوفية، في ما يمكن القول إنه يربط وإن لم يكن بطريقة مباشرة بين الفرق الباطنية وبين المجوس، كما أنه يعتبر الترجمة مساعدا على ظهور الفلاسفة والفرق الكلامية ولا سيما وهي مترافقة مع الشبهة.

أما العصبية فتكاد تكون القاسم المشترك في كل آراء ابن خلدون.



(1) انظر: تاريخ ابن خلدون ١/ ٣٥٤

المبحث الرابع: القواعد المنهجية التي اعتمدها في دراسة الفرق

✪ أولاً: دراسة في ملامح المنهج الخلدوني:

البداية أولاً التعريف بالمنهج الخلدوني عموماً، ومن ثم الحديث عن منهجه في دراسة الفرق، لأنه لا يخرج بحال من الأحوال عن النهج الذي رسمه. لقد كتب الكثير عن المنهج الخلدوني في شتى المجالات^(١).

تتفق جل هذه الدراسات على أن ابن خلدون امتاز بمنهج خاص اختطه لنفسه لم يسبق إليه، استطاع فيه الجمع بين السرد التاريخي المحض للوقائع والنقد العقلاني لها، بحيث لا يسلم بصحة الكثير من الروايات، وهذا ما نراه واضحاً في انتقاده لرواية إرم ذات العماد^(٢) وقصة البرامكة^(٣).

وفي هذا يقول عبدالقادر فيدوح^(٤) "إن العقل العملي الذي نلاحظه في استنتاجات ابن خلدون يكمن في انعكاس الخارج في الذهن مما يشكل تصوراً اعتبارياً من حيث كونه لا يتحقق بحصول النظر البدهي، وإنما من خلال اتحاد الصورة الاعتبارية بفعل اتحاد الصورتين معا عن طريق التأمل"^(٥).

(١) ابن خلدون ومنابع الحداثة: فعاليات الندوة العلمية التي أقامها بيت الحكمة بمناسبة مئوية السادسة لوفاته، ١/ ١٩٤، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون بيت الحكمة قرطاج، ٢٠٠٨م.

(٢) انظر: تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون، ١/ ١٤.

(٣) انظر: تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون، ١/ ١٥.

(٤) أكاديمي جزائري معاصر من مواليد مدينة وهران ١٩٤٨ م لديه العديد من الأعمال من أشهرها "الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي".

(٥) ابن خلدون ومنابع الحداثة: فعاليات الندوة العلمية التي أقامها بيت الحكمة بمناسبة مئوية السادسة لوفاته، ١/ ١٩٧.

لقد استوعب ابن خلدون التراث الإسلامي سواء منه ما تعلق بالجانب التاريخي المحض، أو بالناحية الفكرية والتي تندرج تحته ظاهرة الفرق، وكانت طريقة تناوله تتسم بالمنهجية الاستقرائية وعمق الاستنتاج، إضافة إلى مقدرته القوية في التحليل والحدس والمقارنة، كما نرى ذلك واضحا في مقدمته الشهيرة يقول مصطفى الشكعة عن منهج ابن خلدون في المقدمة "إن براعة ابن خلدون في المقدمة لا تقف عند المحتوى وحده، ولكنها تتمثل في المنهج والمحتوى على حد سواء إنه يضمنها كل ما يتصل بال عمران الإنساني من أسس وقواعد وتفريعات وتحليلات واستقرارات ونتائج، الشيء الذي جعل منه الأساس الأول لما قد عرف فيما بعد بعلم الاجتماع، وإن كان لفظ العمران الذي اختاره ابن خلدون يعتبر من وجهة نظرنا أقرب إلى الدقة وأدنى إلى الحقيقة"^(١).

ويواصل الدكتور الشكعة استعراضه للمنهج الخلدوني عامة وفي التاريخ خاصة فيقول: "إن منهج ابن خلدون في نقد التاريخ دقيق، مع استضافة في البيان وثناء في ضرب الأمثال التي يستقيها من الأخبار المسطورة في كتب المؤرخين السابقين ولسبب بعينه يغترف أكثر أمثاله من كتب المسعودي ذلك أن المسعودي ذو مكانة خاصة لديه ويعقد العالم الكبير فصلا طويلا من (فضل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه والإمام لما يعرض للمؤرخين من المغالط وذكر شيء من أسبابها) وهو عنوان طويل ولكنه يتضمن إلى دقة المنهج نفيس القول، ويشتمل على أصول النقد مع وفرة الأمثال التي يخضعها للنقد التطبيقي، فيتهاوى الواحد منها بعد الآخر"^(٢).

(١) الأسس الإسلامية في فكر ابن خلدون ونظرياته: مصطفى الشكعة، ص ٢٧.

(٢) المرجع السابق ص ٤١.

❖ ثانياً: قواعد منهجه العامة:

توطئة:

من خلال قراءة التراث الخلدوني يمكن الجزم بوجود منهج عام يطال كل ما تحدث عنه ابن خلدون في كتاباته.

ويمكن تلخيص منهجه العام في ثلاث قواعد كبرى، ومن ثم الحديث بالتفصيل عن ما يتعلق بالمنهج الذي اختطه في دراسته للفرق، والذي لا يخرج عن النسق العام الذي عرف به ابن خلدون واتسم به منهجه.

أ - التماثل "الطرد" :

والمراد به هنا تماثل أنماط التفكير الإنساني، وطريقة تحليله وتنزيله على الواقع، وأن الاختلاف عادة يحصل عن طريق مؤثرات أخرى، وإلى هذا يشير ابن خلدون بالبَاب الذي عقده في المقدمة وعنوانه بـ "طبيعة العمران في الخليقة"^(١).

وذكر فيها وحدة الاجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم، وأن ما يحصل فيه من تغيرات، ناتج عن الأجواء المحيطة والطارئة.

بل يذهب إلى حد المطابقة إذا توفرت الظروف من تمكين لعصبية على حساب أخرى، فتكون العصبية أو الشعب المغلوب تابعا للعصبية الغالبة، وأن هذا يسير حتى في ما يتعلق بالمعتقد أو ما أسماه النحلة^(٢) وعلل ذلك بقوله "والسبب في ذلك أن النفس أبدا تعتقد الكمال فيمن غلبها وانقادت إليه"^(٣).

ويشير الأستاذ: عبد القادر فيدوح إلى قاعدة المنهج التماثلي عند ابن خلدون أو "مبدأ التماثل" كما أطلق عليه "إن الحديث عن التماثل في منظور ابن خلدون متشعب،

(١) انظر: تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون/١/ ٢٩ .

(٢) المرجع السابق /١/ ١١١ .

(٣) انظر: تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون/١/ ١١١ .

كونه يحمل في سياقه عدة عناصر يمكن الدخول بها إلى هذا الحقل، سواء من حيث تماثل الوحدة العقلية للجنس البشري، أو من حيث ميل الإنسان إلى التقليد، من حيث استدعاء الماضي بوصفه النموذج المثل " (١).

وقدم ابن خلدون في تفسير هذه القاعدة المنهجية، وهي التماثل في تناول الأحوال البشرية العديد من الأمثلة مفسرا ما يراه البعض اختلافا في أنماط الحياة البشرية متحدثا عن تسلسل الأحوال والعوائد وأنه لا يحصل انقطاع كلي، بغض النظر عن تغير الدول أو الحكام، بل عادة تأخذ كل دولة ممن سبقها جل ما عليها وأحيانا من دول سابقة والمحصلة النهائية المماثلة والمطابقة في معظم الأحوال.

يقول ابن خلدون " والسبب الشائع في تبدل الأحوال والعوائد، أن عوائد كل جيل تابعة لعوائد سلطانه، كما يقال في الأمثال الحكمية: الناس على دين الملك، وأهل الملك والسلطان إذا استولوا على الدولة والأمر فلا بد وأن يفزعوا إلى عوائد من قبلهم ويأخذوا الكثير منها ولا يغفلوا عوائد جيلهم مع ذلك، فيقع في عوائد الدولة بعض المخالفة لعوائد الجيل الأول، فإذا جاءت دولة أخرى من بعدهم ومزجت من عوائدهم وعوائدها خالفت أيضا بعض الشيء، وكانت للأولى أشد مخالفة، ثم لا يزال التدرج في المخالفة حتى ينتهي إلى المباينة بالجملة، فما دامت الأمم والأجيال تتعاقب في الملك والسلطان، لا تزال المخالفة في العوائد والأحوال معروفة، والقياس والمحاكاة للإنسان طبيعة معروفة" (٢).

وملخص هذه القاعدة المنهجية هو ربط أحداث الماضي بالمعايشة عبر تصور الواقع، ومن ثم القياس عليها فما لا يمكن تصور حصوله اليوم بناء على معطيات يدركها جل الناس، لا يمكن أن يحصل في الماضي أيضا، فالتركيبة الإنسانية واحدة،

(١) ابن خلدون ومنابع الحداثة: فعاليات الندوة العلمية التي أقامها بيت الحكمة بمناسبة مئوية السادسة لوفاته ٢٠٠٥/١.

(٢) انظر: تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون ٢٥/١.

لذا أخضع ابن خلدون معظم الروايات التاريخية للتمحيص والتدقيق.

وهو دعى إلى تحكيم النظر والبصيرة في الأخبار وردها إلى الأصول^(١).

واشترط المطابقة في قبول الخبر وهو عنده مقدم على تعديل الرواة وفي هذا يقول: "وأما الإخبار عن الوقائع فلا بد في صدقها وصحتها من اعتبار المطابقة، فلذلك وجب أن ينظر فيها في إمكان وقوعه، وصار في ذلك أهم من التعديل ومقدماته عليه، إذ فائدة الإنشاء مقتبسة منه فقط، وفائدة الخبر منه ومن الخارج بالمطابقة، وإذا كان ذلك فالقانون في تمييز الحق من الباطل في الأخبار بالإمكان والاستحالة أن ننظر في الاجتماع البشري الذي هو العمران، ونميز ما يلحقه من الأحوال لذاته وبمقتضى طبعه^(٢).

ب- الاختلاف "التباين" :

هذه القاعدة من الأسس التي قام عليها المنهج الخلدوني، بمعنى أن طبيعة العمران البشري تقتضي الاختلاف لذا لا يمكن فصل أي ظاهرة عن سياقها المكاني والزمني، أو تعميم تفسير معين لعدد من الظواهر حصلت في بيئات ومجتمعات مختلفة، ولم يغفل في هذا الاختلاف حتى العوامل البيئية وخصص لها المقدمة الثالثة والرابعة والخامسة^(٣).

وقدم عبدالقادر فيدوح تصوره لهذه القاعدة فقال " لقد كان الأهم الأكبر لابن خلدون تلمس طبيعة العمران البشري، وفق القوانين الطبيعية التي تخضع لها الظواهر الاجتماعية المتغيرة باستمرار، والضوابط المتحركة في حركته، وكأن نظريته لا تريد تغيير السائد والمألوف من النسق الثقافي فقط، بقدر ماتريد أيضا تغيير النظم والظواهر

(١) المرجع السابق ص ١١.

(٢) انظر: تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون/١/٣٠.

(٣) انظر: تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون/١/٦٣-٦٦-٦٧.

الاجتماعية في علاقتها بالثقافة، والاقتصاد، والسياسة، ومجريات الحياة اليومية، فهي بذلك نقل نوعية على كل ما هو سائد" (١)

وأبرز تطبيقات ابن خلدون لهذه القاعدة المنهجية تجده في ما يتعلق بعمر الدول، حيث اعتبر أن الدول يصيبها الهرم كما يصيب البشر، وبالتالي كل مرحلة يمكن النظر إليها والحكم عليها بطريقة مختلفة عن المرحلة الأخرى.

وأوضح مثال قدمه مايتصل بـ "الحجاب" وهو البطانة أو حاشية الملك أو رأس الدولة.

فقد عقد ابن خلدون فصلا كاملا بين فيه كيف أن الدولة في بداية أمرها تكون بعيدة عن منازع الملك، وكان صاحبها على حال الغضاضة والقرب من الناس وسهولة الإذن، ثم ينتقل إلى مرحلة أخرى يكون الدخول عليه صعبا ولا يكون إلا عبر خاصته، حتى يصبح الأمر في نهاية الأمر حجرا على رأس الدولة وهذا يحصل في حالة شيخوخة الدولة (٢).

وينص ابن خلدون على هذه القاعدة فيقول: "فإن كل حادث من الحوادث ذاتا كان أوفعلا لا بد له من طبيعة تخصه في ذاته وفيما يعرض له من أحواله، فإذا كان السامع عارفا بطبائع الحوادث والأحوال في الوجود، ومقتضياتها، أعانه ذلك في تمحيص الخبر على تمييز الصدق من الكذب، وهذا أبلغ في التمحيص من كل وجه يعرض" (٣).

(١) ابن خلدون ومنابع الحداثة: فعاليات الندوة العلمية التي أقامها بيت الحكمة بمناسبة مئوية السادسة لوفاته ٢١١/١ .

(٢) انظر: تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون ٢١٨/١ .

(٣) المرجع السابق ٢٩/١ .

وواضح أن ابن خلدون انحاز إلى طرح تاريخي مبني على قواعد استقرائية وليس من وجهة السرد التاريخي المحض والذي لا يخلو من الأسطورة.

ج - السببية "العلة" :

والمراد بها ربط الحوادث والظواهر بفعل الأسباب والنتائج وقد نص على هذه القاعدة " اعلم أرشدنا الله وإياك، أنا نشاهد هذا العالم بما فيه من المخلوقات كلها على هيئة من الترتيب والإحكام: وربط الأسباب بالمسببات، واتصال الأكوان بالأكوان، واستحالة بعض الموجودات إلى بعض، لا تنقضي عجائبه في ذلك ولا تنتهي غاياته"^(١)

وابن خلدون يطبق هذه القاعدة في كل مراحل دراسته للظواهر البشرية، فهو عندما يتحدث مثلا عن أن أهل البادية أشجع من أهل الحضرة، يقدم لذلك سببا وهو انغماس أهل المدينة في النعيم وميلهم إلى الدعة والراحة وأنهم أوكلوا أمر حماية أنفسهم وممتلكاتهم إلى الحاكم، بخلاف أهل البادية الذين لبعدهم عن المجتمع وتوحشهم في الضواحي، وبعدهم عن الحماية، أصبحوا أكثر استعدادا للقتال والمناجزة^(٢).

فابن خلدون هنا كما يلاحظ لم يكتف بإيراد المعلومة بل قام بذكر أسبابها من جميع الوجوه.

والأمثلة في هذا الباب أكثر من أن تنحصر وجل ما في المقدمة من نتائج أعاده للأسباب.

(١) انظر: تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون/١/٧٣.

(٢) المرجع السابق/١/٩٥.

بل يرى الأستاذ طه حسين^(١) أن السببية من أهم أركان الفكر الخلدوني^(٢).

يقول الأستاذ عبدالقادر فيدوح: "لقد كان ابن خلدون يربط الواقع والامتداد التاريخي بتعليل الأفعال من العقل المنشئ، لذلك كان يرى أن لكل واقع واقعا آخر، سابقا على الذي نعيشه، واقعا متغيرا بعلّة، وأن على المرء أن يتلون بتلاويين واقعه المعاش، حتى يؤكد ذاته في صورة مغايرة على التي كان عليها أسلافه في السابق، لاختلاف العلة الفاعلة بوصفها عاملا مؤثرا في الواقع، إذ لولا المجتمع المتفاعل مع هذا الواقع الجديد، والغاية التي يسعى إلى تحقيقها والرغبة في إثبات الوجود، والخوافز التي تدفع به للوصول إلى هدف ما، لولا كل هذا لما وجد هذا الواقع بهذه الصورة وفق قانون الملاءمة بين الحي والبيئة الخارجية من خلال العلة التي تتعاضد مع الارتباط والتواصل التي استنتجها ابن خلدون بالاستقراء عن طريق القياس"^(٣).

والمحصل أن ابن خلدون لا يأتي بحادثة أو نتيجة دون ربطها بأسبابها.

إذا ما سبق يتعلق بالقواعد المنهجية العامة التي تميز بها ابن خلدون في كل إنتاجه المعرفي، وفي مايلي استنباط للقواعد التي سار عليها فيما يتعلق بدراسته للفرق خاصة.

(١) (١٣٠٦-١٣٩٣هـ) طه بن حسين بن علي بن سلامة، الدكتور في الأدب: من كبار المحاضرين جدد مناهج، وأحدث ضجة في عالم الأدب العربي. بدأ حياته في الأزهر ثم بالجامعة المصرية القديمة. وهو أول من نال شهادة (الدكتوراة) منها من مؤلفاته: (في الأدب الجاهلي) و(في الشعر الجاهلي) و(حديث الأربعاء) ثلاثة مجلدات، و(قادة الفكر) و(على هامش السيرة) ثلاثة أجزاء، وله (فلسفة ابن خلدون) وهو رسالة الدكتوراة بالفرنسية، إلى السوربون.

انظر: الأعلام للزركلي (٣/ ٢٣١).

(٢) انظر: فلسفة ابن خلدون الاجتماعية: طه حسين، ترجمة: محمد عبدالله عنان، ص ٤١، القاهرة، ١٤٢٥هـ.

(٣) ابن خلدون ومنابع الحداثة: فعاليات الندوة العلمية التي أقامها بيت الحكمة بمناسبة مئوية السادسة لوفاته ١/ ٢٢٤.

ثالثاً: قواعده المنهجية في دراسة الفرق.

أ - الجمع بين النظر الشرعي وبين القواعد التي ابتكرها في تفسير الظواهر.

فهو حينما يتحدث عن الخوارج، ويعلل أسباب عدم تمكنهم بناء على نظريته في "العمران البشري" لا يهمل الجانب الشرعي فيصف خروجهم بالبدعة^(١)

وفي نفس السياق بعد أن علل قيام الدول الشيعية بافتراق عصبية العرب، وأن أهل البيت يرون أنهم أحق بالأمر^(٢) لم يهمل النظر الشرعي حين وصف تأويلاتهم بالفاسدة^(٣).

وعلى هذه القاعدة سار في تناوله للفلسفة والفلاسفة فلم يكتف بتدوين الأسباب التي جعلت الفلسفة منتشرة في العالم الإسلامي، محملاً الترجمة المسؤولية عنها، بل وضح حكم الشرع فيها، وأن ضررها في الدين كثير فوجب أن يصدع بشأنها، ويكشف عن المعتقد الحق فيها.^(٤)

ويمضي في نفس الطريقة عند تناوله للصوفية رغم أنه كان مهادناً لها ومدافعاً عنها، وخاصة صوفية الأوائل والتي قال^(٥) عنها إنها كانت عند سلف الأمة من الصحابة والتابعين، فبعد أن قسم الصوفية إلى قسمين وعلل أسباب ظهور القسم الثاني بتداخلهم مع الإسماعيلية الباطنية والفلاسفة^(٦)، وصف كلام هذا القسم بأنه غاية في السقوط، وأنه أدى بهم إلى الحلول والوحدة "ثم إن هؤلاء المتأخرة من

(١) نظر: تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون، ٢١٩/١.

(٢) انظر: تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون، ١١١١/٢.

(٣) نفس المرجع ١/١٤٨.

(٤) انظر: تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون، ٤٢٧/١.

(٥) نفس المرجع ١/٣٦٨.

(٦) انظر: تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون، ٣٧٤/١.

المتصوفة المتكلمين في الكشف وفيما وراء الحس توغلوا في ذلك، فذهب كثير منهم إلى الحلول والوحدة"^(١)

ب- الحياد والسرد التاريخي.

تعمدت الإتيان بهذه القاعدة بعد الأولى "الجمع بين النظر الشرعي، وبين القواعد التي ابتكرها في تفسير الظواهر" حتى لا يتوهم القارئ بأن الأصل في المنهج الخلدوني في تناوله للفرق هو الحكم أو النظر الشرعي، بل الغالب الأعم في منهجه هو السرد التاريخي المحض والحياد في ما يتعلق بالحكم الشرعي، والتفسير بناء على قواعده في العمران البشري، ولا يتدخل إلا قليلا فيما يتعلق بالحكم الشرعي أو العقدي، فهو عندما تحدث عن الخوارج في فصل طويل^(٢) وبإسهاب اكتفى بذكر وقائعهم ومعاركهم ولم يعرج على ذكر معتقداتهم أو الحكم عليهم إلا لماما، ولم يذكر أمرا يهم دارس الفرق من جانب عقدي إلا تقسيمه لفرق الخوارج^(٣) ورأيها في عموم المسلمين.

وهو ينتهج الطريقة نفسها في تعاطيه مع الشيعة فيستعرض أقوالهم في الإمامة دون تدخل منه كأنه أحد الدارسين المستشرقين، ولا تكاد تجد له وصفا أو حكما شرعيا ضد الشيعة إلا بتكلف، وربما إذا أخذت العبارة في سياقها العام كانت ضعيفة ولا تؤدي أي معنى، فأشد عبارة في الفصل الذي عقده عن الشيعة كان قوله بعد أن تحدث عن وجوب تعيين الإمام عند الشيعة "وأن عليا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو الذي عينه صلوات الله وسلامه عليه بنصوص ينقلونها ويؤولونها على مقتضى مذهبهم، لا يعرفها جهابذة السنة ولا نقلة الشريعة، بل أكثرها موضوع أو مطعون في طريقه

(١) المرجع السابق ١/٣٧٣.

(٢) انظر: تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون ٢/١٠٨٧-١١١١.

(٣) نفس المرجع ٢/١٠٩٠.

أو بعيد عن تأويلاتهم الفاسدة"^(١).

وعندما يتطرق إلى الإسماعيلية يتبع نفس الطريقة المحايدة ويعيد تسميتهم بذلك إلى قولهم بإمامة إسماعيل^(٢) وبالباطنية نسبة إلى قولهم بالإمام الباطن أي المستور، ويحكي عن تسميتهم بالملاحدة لما في ضمن مقالاتهم من الإلحاد.

حيث يقول: "ويسمى هؤلاء الإسماعيلية نسبة إلى القول بإمامة إسماعيل، ويسمون أيضا بالباطنية نسبة إلى قولهم بالإمام الباطن أي المستور، ويسمون أيضا الملاحدة لما في ضمن مقالاتهم من الإلحاد"^(٣).

فواضح من سياق هذا النص الدور الحيادي الذي يتناول به ابن خلدون موضوع الفرق مع شناعة وضلال مذهب "الإسماعيلية".

وموضوع الحياد في مسألة تناول الفرق هو السائد في معظم إنتاجه إلا إذا استثنينا الصوفية، فهو واضح الانحياز إليهم، وخاصة القسم الأول منهم، والفلاسفة في الجهة الأخرى وتميز تعاطيه معهم بالهجوم والحدة.

وستكون هناك وقفات إن شاء الله مع الموضوع بمزيد من الإيضاح في القسم المخصص للدراسات التطبيقية وتناول كل فرقة.

(١) انظر: تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون ١/١٤٨.

(٢) إسماعيل بن جعفر بن الصادق: (٠٠٠ - ١٤٣هـ) إسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب فإنه الغرض، وإليه ينسب الخلفاء الفاطميون بناه القاهرة، لذا سموا بالإسماعيلية.. مات في حياة أبيه جعفر سنة ثمان وثلاثين ومائة، وخلف من الأولاد محمدا، وعليها وفاطمة. فأما محمد بن إسماعيل فإنه الذي إليه الدعوى؛ وكان له من الولد جعفر، وإسماعيل فقط، أمهما أم ولد: فولد جعفر بن محمد بن إسماعيل محمدا، وأحمد؛ أما أحمد فلا عقب له. وأما محمد فولد جعفرا، وإسماعيل، وأحمد، والحسن.

انظر: الأعلام: ١/٣١١.

(٣) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون ١/١٥٢.

ج - عدم الاعتماد على البراهين العقلية وحدها وتقديمه للنقل على العقل .

وهذه القاعدة فصل فيها الباحث: عبدالله عبدالرشيد فقال " ومن أهم ما تميز به ابن خلدون في دراسة مسائل الاعتقاد تقديمه النقل على العقل، وهذا ظاهر في تناوله للمسائل المختلفة، لا سيما في مسائل السمعيات مع أنه يعتقد بمذهب الأشاعرة وهذا خلاف ما يذهب إليه أكثر المتكلمين وأيضا عدم اعتماده على البراهين العقلية وحدها لأن العقل له إدراك محدود ففكره أيضا محدود فالعقل المجرد في مباحث التوحيد يؤدي بصاحبه إلى الخروج عن الصراط المستقيم"^(١).

ونص ابن خلدون على هذه القاعدة الجليلة في التعامل مع العقائد والفرق فقال "ولا تثقن بما يزعم لك الفكر من أنه مقتدر على الإحاطة بالكائنات وأسبابها، والوقوف على تفصيل الوجود كله، وسفه رأيه في ذلك، واعلم أن الوجود عند كل مدرك في بادئ رأيه أنه منحصر في مداركه لا يعدوها، والأمر في نفسه بخلاف ذلك، ألا ترى الأصم كيف ينحصر الوجود عنده في المحسوسات الأربع والمعقولات، ويسقط من الوجود عنده صنف المسموعات، وكذلك الأعمى يسقط من الوجود عنده صنف المرئيات، ولولا ما يردهم إلى ذلك تقليد الآباء والمشايخ من أهل عصرهم والكافة، لما أقروا به، لكنهم يتبعون الكافة في إثبات هذه الأصناف، لا بمقتضى فطرتهم وطبيعة إدراكهم، ولو سئل الحيوان الأعجم ونطق، لوجدناه منكرا للمعقولات وساقطة لديه بالكلية، فإذا علمت هذه فلعل هناك ضربا من الإدراك غير مدركاتنا، لأن إدراكنا مخلوقة محدثة، وخلق الله أكبر من خلق الناس والخصر مجهول والوجود أوسع نطاقا من ذلك، والله من ورائهم محيط، فاتهم إدراكك ومدركاتك في الخصر، واتبع ما أمرك به الشارع في اعتقادك وعملك، فهو أحرص على سعادتك وأعلم بما ينفعك، لأنه من طور فوق إدراكك، ومن نطاق أوسع من نطاق عقلك، وليس ذلك بقادح في العقل ومداركه، بل العقل ميزان صحيح، فأحكامه يقينية

(١) ابن خلدون وآرؤه الاعتقادية: عبدالله عبدالرشيد ص ١٦١، مخطوطة، رسائل علمية، جامعة أم القرى .

لا كذب فيها، غير أنك لا تطمع أن تزن به أمور التوحيد والآخرة وحقيقة النبوة، وحقائق الصفات الإلهية، وكل ما وراء طوره، فإن ذلك طمع في محال ومثال ذلك مثال رجل رأى الميزان الذي يوزن به الذهب، فطمع أن يزن به الجبال وهذا لا يدرك، على أن الميزان في أحكامه غير صادق، لكن للعقل حد يقف عنده ولا يتعدى طوره، حتى يكون له أن يحيط بالله وبصفاته، فإنه ذرة من ذرات الوجود الحاصل منه، وتفطن من هذا الغلط من يقدم العقل على السمع في أمثال هذه القضايا، وقصور فيه واضمحلال رأي، فقد تبين لك الحق من ذلك، وإذا تبين ذلك، فلعل الأسباب إذا تجاوزت في الارتقاء نطاق إدراكنا ووجودنا، خرجت عن كونها مدركة فيضل العقل في ببداء الأوهام ويحار وينقطع، فإذا: التوحيد هو العجز عن إدراك الأسباب وكيفيات تأثيراتها، وتفويض ذلك إلى خالقها المحيط بها، إذا لا فاعل غيره وكلها ترتقي إليه وترجع إلى قدرته، وعلمنا به إنما هو من حيث صدرونا عنه لا غير"^(١).

ويستشف من هذا النص أن ابن خلدون لا يرى إعمال الفكر في كل مناحي الحياة أو تفسير الظواهر وخاصة ما وراء الغيب، مما يعني أنه يميل إلى الجانب النقلي والسمعي في مثل هذه المسائل، إلا أن هذا ليس مطردا كما سوف يتبين في المباحث اللاحقة إن شاء الله عند تناول موقفه من الفرق وخاصة الكلامية، والتي يعتبر ابن خلدون أشهر مدارسها الأشاعرة.

(١) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون /١ /٣٥٢.

المبحث الخامس خصائص منهج ابن خلدون ومميزاته

❖ أولاً : معالم المنهج الخلدوني :

المنهج الخلدوني أثار الكثير من القراءات والتفسيرات وتعددت الآراء في سبر منهجه وخصائصه، وهو بنفسه من بدأ بذكر معالمه عند حديثه عن فضل علم التاريخ، وتحقيق مذاهبه فهو وضع ملامح لهذا المنهج، وبين الخصائص التي ينبغي أن يكون عليها الدارس والباحث في التاريخ والأخبار، ومن أهم الخصائص والميزات التي رأى أنه على صاحب الفن أن يكون ملماً بها:

- ١- العلم بقواعد السياسة وطبائع الموجودات.
 - ٢- معرفة اختلاف الأمم في الأخلاق والعوائد والنحل والمذاهب وسائر الأحوال.
 - ٣- الإحاطة بالواقع أو الحاضر.
 - ٤- المماثلة بينه وبين الغائب من الوفاق أو بون ما بينهما من الخلاف "المطابقة"
 - ٥- تعليل المتفق منه والمختلف.
 - ٦- والقيام على أصول الدول والملل ومبادئ ظهورها وأسباب حدوثها.
 - ٧- معرفة كل حادثة وأسباب وقوعها والوقوف على أصول كل خبر.
 - ٨- التحاكم إلى القواعد والأصول وقوانين العمران البشري^(١).
- كما أنه شدد في أكثر من موضع في مقدمته على التمحيص وتحكيم النظر

(١) انظر: تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون ١/ ٢٤.

والبصيرة عند تناول المسائل العلمية، والقضايا التاريخية بصفة أخص^(١).

يقول الأستاذ: عبدالعزيز الدولاتي^(٢) عن المنهج العلمي الخلدوني " التاريخ بفضل ابن خلدون أصبح علما له قوانينه الثابتة ويخضع لمبدأ السببية والنقد والتمحيص وهو يستند إلى علم العمران كما يستند علم العمران إليه"^(٣).

ونظرا لمحورية شخصية ابن خلدون فقد تشعبت الاتجاهات في تقييم منهجه وإبراز خصائصه وميزاته، ولعل من أبرز من أفردها هذه الخصائص بدراسة وإن كانت مقتضبة هو الأستاذ: عبدالرزاق قسوم^(٤) الذي قدم تلخيصا رائعا لما كتب في هذا المضمار سواء كانوا من المشاركة أمثال علي عبد الواحد الوافي^(٥)، وساطع الحصري^(٦)

(١) انظر: المرجع السابق ١١/١ - ٢٩.

(٢) أكاديمي تونسي معاصر.

(٣) ابن خلدون ومنابع الحدائثة: ١/٩٩.

(٤) عبدالرزاق عبدالله قسوم من مواليد سنة ١٩٣٣م ولاية الوادي، الجزائر، حاصل على دكتوراة دولة في الفلسفة من جامعة السوربون، وأستاذ كرسي بقسم الفلسفة جامعة الجزائر وعضو اتحاد الكتاب الجزائريين ورئيس جمعية علماء المسلمين الجزائريين من أشهر مؤلفاته: عبدالرحمن الثعالبي والتصوف، مفهوم الزمن في فلسفة أبي الوليد بن رشد، مدارس الفكر العربي الإسلامي، مفهوم الزمن في الفكر العربي الإسلامي المعاصر - باللغة الفرنسية -، فلسفة التاريخ - قراءة إسلامية معاصرة.

انظر: عبدالرزاق قسوم هبة الله للجزائر: الشيخ: محمد هادي الحسني، ط الثالثة، ١٤٣٠هـ، معهد المناهج، الجزائر.

(٥) علي عبد الواحد وافي رائد من رواد علم الاجتماع العربي، مصري الجنسية، ولد في أم درمان عام ١٩٠١ بالسودان، درس الفلسفة وعلم الاجتماع بجامعة السوربون في باريس، فحصل على البكالوريوس عام ١٩٢٨م، ثم درجة الدكتوراة في علم الاجتماع من الجامعة نفسها عام ١٩٣١.

انظر: الموسوعة العربية: ٢٢/١٠٩.

(٦) ساطع بن محمد هلال الحصري، أبو خلدون: كاتب باحث، ولد سنة ١٨٨٣م من علماء التربية. ترك ثم تعرب. حلبي الأصل. ولد بصنعاء. صنف أكثر من ٥٠ كتابا عربيا منها: (مبادئ القراءة الخلدونية) و(دراسات عن مقدمة ابن خلدون)، و(آراء في التاريخ والاجتماع) و(آراء في التربية والتعليم)

ونصيف نصار^(١) وعلي الوردي أو مدرسته من المغاربة أمثال: محمد عابد الجابري، وعلي أو مليل^(٢).

يرى الأستاذ: عبد الرزاق قسوم^(٣) أن أهم ما يتميز به المنهج الخلدوني يرتكز على ثلاث عناصر:

١- العامل الديني ٢- قوانين التاريخ وقوانين المجتمع ٣- المنهج الفلسفي والتي اعتبرها أيضا بمثابة المنابع للمنهج الخلدوني^(٤).

ولعل هذه المرتكزات التي أكد الأستاذ: عبد الرزاق قسوم عليها تعتبر أبرز خصائص المنهج الخلدوني، وأهم ما يتميز به، مع عدم إغفال ما يمكن استنباطه عن طريق استقراء الإنتاج المعرفي لابن خلدون كما سيأتي إن شاء الله.

= توفي عام: ١٩٦٨ م .

انظر: الأعلام للزركلي ٧٠/٣.

(١) ولد في لبنان عام ١٩٤٠. نال إجازة تعليمية في الفلسفة والعلوم الاجتماعية من الجامعة اللبنانية، نال شهادة دكتوراة الدولة في الآداب من جامعة باريس (السوربون) ١٩٦٧ م وكان موضوع أطروحته الكبرى (الفكر الواقعي عند ابن خلدون). له العديد من الإسهامات الفكرية والعلمية ومن أهم مؤلفاته: الفكر الواقعي عند ابن خلدون، نحو مجتمع جديد، مفهوم الأمة بين الدين والتاريخ، إسهام في النقد الكلي.

انظر: نصيف نصار علم الاستقلال الفلسفي: مجموعة من المؤلفين، ط ٢٠٠٨ م، الجامعة الأنطوانية، بيروت .

(٢) مفكر وكاتب ودبلوماسي مغربي معاصر، له العديد من المؤلفات والدراسات الفكرية والثقافية، منها: الخطاب التاريخي "دراسة في منهجية ابن خلدون" وفي "شرعية الاختلاف" و"موقف الفكر العربي من المتغيرات"، و"السلطة الثقافية والسلطة السياسية" و"الإصلاحية العربية والدولة الوطنية"، والتراث والتجاوز" و"التكامل الثقافي العربي في عصر العولمة" و"سؤال الثقافة: الثقافة العربية في عالم متحول". انظر: الخطاب التاريخي: دراسة لمنهجية ابن خلدون: علي أو مليل، معهد الانماء العربي، ١٩٧٧ .

(٣) ابن خلدون ومنابع الحداثة: ورقة عبد الرزاق قسوم ١٣٦/١ .

(٤) المرجع السابق ١٣٦/١ .

❖ ثانياً: خصائص المنهج الخلدوني:

أ- المعرفة الشرعية:

لا شك أن ابن خلدون ينطلق قبل كل شيء من خلفيته الشرعية وكونه فقيها مالكياً قبل أي شيء آخر فهو كما يقول: محمد آيت حمو^(١) "يتعامل مع كل القضايا انطلاقاً من عقيدته المذهبية المالكية، ومن ميوله السنية الأشعرية"^(٢).

وليس المميز هنا معرفته بالعلوم الشرعية، فهذه ميزة يشترك فيها مع غيره وخاصة في تلك العصور، بل الميزة تكمن في توظيف معرفته الشرعية لمعالجة قضايا بعيدة عن الاختصاص الشرعي وهذا ما سنحاول رصده من خلال نظرياته التي اعتمدها في المقدمة، فعندما يتناول ابن خلدون عمر الدول يتكئ على روح نص قرآني قَالَ تَعَالَى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ [الأحقاف: ١٥].

وتجده في موضع آخر:^(٣) يستدل بالآية الكريمة ﴿قَالُوا لَئِن آكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَّخَسِرُونَ﴾ [يوسف: ١٤] على مفهوم العصبية، وأنه حيوي في تقديم الحماية للشخص وأنه لا يتوهم العدوان على أحد مع وجود العصبية له.

وفي الفصل: الذي عقده وعنون له "في أن الغاية التي تجري إليها العصبية هي الملك"^(٤).

يدعم هذه النظرية ويحتج لها بقوله تعالى ﴿وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١].

(١) باحث مغربي معاصر

(٢) ابن خلدون بين نقد الفلسفة والانفتاح على التصوف: محمد آيت حمو، ص ٤٩، ط الأولى، ٢٠١٠م، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت.

(٣) انظر: تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون، ١/ ٩٦.

(٤) المرجع السابق ١/ ١٠٥.

وملخصها كما يقول: "فلا بد من عصبية تكون أقوى من جميعها، تغلبها وتستتبعها، وتلتحم جميع العصبية فيها، وتصير كأنها عصبية واحدة كبرى، وإلا وقع الافتراق المفضي إلى الاختلاف والتنازع"^(١).

وفي معرض حديثه عن الدول وأسباب قيامها، وأن الدول العظيمة والكثيرة الانتشار والقوية، لا بد أن يكون أصلها من نبوة أو دعوة حق، معللا ذلك بأن الملك إنما يحصل بالتغلب، والتغلب إنما يكون بالعصبية واتفاق الأهواء على المطالبة، وجمع القلوب وتأييدها ولا يكون ذلك إلا بمعونة من الله في إقامة دينه ختم ذلك كله بقوله تعالى ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٣] مستشهدا على أن التأييف بين العصبية المختلفة الأهواء لا يكون إلا بمعونة ربانية^(٢).

أما استشهاده الحديثية فهي أيضا متعددة وفي مايلي: نموذجاً عن كيفية تأثير العامل الشرعي أو الديني على المنهج الخلدوني، وكيف أضاف له ميزة خاصة به. ففي الفصل الذي قرر فيه "أن أهل البدو أقرب إلى الخير من أهل الحضرة"^(٣).

كان دليله الأول قول النبي ﷺ "كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه"^(٤).

(١) المرجع السابق نفس الصفحة .

(٢) انظر: تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون/١/١١٩ .

(٣) المرجع السابق ص ٩٢ .

(٤) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء»، ثم يقول: {فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم} [الروم: ٣٠] صحيح البخاري باب ما قيل في أولاد المشركين (٦/ ١١٤ حديث رقم ٤٧٧٥)

الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري، محمد بن

وختام هذه الجزئية بما قاله الأستاذ: عبدالرزاق قسوم " مهما ألبس ابن خلدون من عباات إديولوجية، فستظل العباة الدينية التي يتوشى بها هي أهم العباات التي يحلو له أن يزين بها مقولاته.

إن القراءة الفلسفية لمنهج ابن خلدون الاجتماعي، تسلمنا إلى حقيقة هي أنه يتخذ من الدين عموما ومن القرآن بصفة أخص، السند الذي يتكئ عليه في صياغة مفاهيمه"^(١).

ب- قوانين التاريخ والمجتمع "العمران البشري":

وهذا هو أهم ما تميز به ابن خلدون، وفاق فيه أقرانه فهو المبتكر لهذا العلم، فهو يغوص في أعماق التاريخ البشري، ويحاول إيجاد قوانين وقواعد ناظمة لسيره، ولا يسمح بسررد الحوادث هكذا دون تعليل، ومعظم ما ورد في المقدمة يتناول هذا المنهج إن صحت التسمية، الذي تميز به ابن خلدون.

يقول ناصيف نصار "فالوجهة المناسبة لدراسة المقدمة هي الوجهة النظامية، إن الطابع الفذ المفاجئ الذي تتسم به المقدمة بالنسبة إلى حياة ابن خلدون، وإلى مجمل الثقافة العربية الإسلامية، مضافا إليها الأحكام في تأليفها يدعو مؤرخ الفكر إلى الاهتمام رأسا بوحدة الأفكار التي تشتمل عليها من وجهة حركتها الداخلية"^(٢).

= إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط الأولى، ١٤٢٢ هـ.

ومسلم في كتاب الأداب باب كل مولود يولد على الفطرة (٨ / ٥٢ حديث رقم ٦٨٤٩) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ: لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري المتوفى: ٢٦١ هـ، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الجيل، بيروت، ط مصورة من الطبعة التركية المطبوعة في استانبول سنة ١٣٣٤ هـ.

(١) ابن خلدون ومنايع الحداثة: ورقة عبد الرزاق قسوم / ١٣٧.

(٢) الفكر الواقعي عند ابن خلدون: ناصيف نصار، ص ١٤، ط الثالثة، ١٩٩٤ م، دار الطليعة للنشر والتوزيع.

فالمنهج الخلدوني أساسا يتميز باستخدامه لهذه القوانين والقواعد التي أرساها في ما أسماه "علم العمران البشري" وقد وصفه بأنه علم مستقل بنفسه لم يسبقه إليه أحد وجعله غرضا لتأليف^(١) مقدمة كتابه التاريخي العبر وقال "وكأن هذا العلم مستقل بنفسه، فإنه ذو موضوع وهو العمران البشري والاجتماعي الإنساني، وذو مسائل، وهي بيان ما يخلقه من العوارض والأحوال لذاته واحدة بعد أخرى، وهذا شأن كل من العلوم وضعيا كان أو عقليا. واعلم أن هذا الكلام في هذا الغرض مستحدث الصنعة غريبة النزعة، غزير الفائدة، أعثر عليه البحث وأدى إليه الغوص، وليس من علم الخطابة الذي هو أحد العلوم المنطقية، فإن موضوع الخطابة إنما هو من الأقوال المقنعة النافعة في استمالة الجمهور إلى رأي أو صدهم عنه، ولا هو أيضا من علم السياسة المدنية، إذا السياسة المدنية هي تدبير المنزل أو المدينة يجب بمقتضى الأخلاق والحكمة، ليحمل الجمهور على منهاج يكون فيه حفظ النوع وبقاؤه، فقد خالف موضوعه موضوع هذين الفنين اللذين ربما يشبهانه، وكأنه علم مستنبط النشأة، ولعمري لم أقف على الكلام في منحة لأحد من الخليقة"^(٢).

وكمثال على ذلك ننظر كيف علل قصة جرير^(٣) في رئاسة بجيلة^(٤) وتنازعه على الرئاسة وكيف أعاد كل ذلك إلى نظريته في العصية والتي هي محور علم "العمران البشري" الذي أرسى قواعده.

(١) انظر: تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون / ٣١.

(٢) المرجع السابق / ٣١.

(٣) جرير بن عبدالله بن جابر بن مالك البجلي، بن نصر بن ثعلبة بن جشم بن عوف، الأمير، النبيل، الجميل، أبو عمرو، من أعيان الصحابة، روي عنه أنه قال: (قال ما حججني رسول الله منذ أسلمت ولا رأني إلا ضحكك وتبسم وقال فيه رسول الله حين أقبل وافدا عليه: " يطلع عليكم خير ذي يمن كان على وجهه مسحة ملك".

انظر: الإصابة: ٢٣٧ / ١.

(٤) انظر: تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون / ٢٤.

وانطلاقاً من هذا المنهج الذي تميز واختص به ابن خلدون، يعيد اختلاف الأجيال في أحوالهم إلى اختلاف نحلتهن في المعاش^(١) مدشناً بذلك تقسيمه الشهير بين أهل البادية والحاضرة، فابن خلدون يرى أن المجتمع منقسم إلى فئتين هم البدو والحضر، وأن طريقة عيشهما المختلفة تحتم عليهما الصراع.

يقول الدكتور: علي الوردي: "يعتقد ابن خلدون أن تاريخ المجتمع البشري يسير في دورات متتابعة من جراء التصارع بين البدو والحضر، فما دام المجتمع منقسماً إلى فئتين هما البدو والحضر، وما دام كل من هاتين الفئتين ذات صفات مضادة لصفات الفئة الثانية، فلا بد أن يقع الصراع بينهما على وجه من الوجوه.

فالبدو لا يستطيعون أن يشهدوا الحضر منعمين بترف المدينة بينما هم قابعون في باديتهم القاحلة إنهم محاربون أقوياء والحضر تجاههم مترفون جناء، ولا بد أن يأتي اليوم الذي يهجم فيه البدو الشجعان على الحضر المترفين ينهبونهم أو يسيطرون عليهم، حيث يؤسس الدول والأسر الحاكمة، ولكن البدو بعد أن يتنعموا بترف الحضارة يبدؤون بالتدرج يفقدون صفاتهم القوية وحشونتهم وعصبيتهم، وبهذا تضعف الدولة التي يؤسسونها شيئاً فشيئاً، فيغتتم الفرصة أولئك البدو الذين لا يزالون في البادية محافظين على صفاتهم الأصلية، فيهاجمون الدولة التي فقدت قوتها، ويؤسسون مكانها دولة جديدة وهكذا يدور المجتمع في دورة أخرى"^(٢).

ففي النص السابق يحاول الدكتور: علي الوردي تفسير ثنائية البداوة والحضارة عند ابن خلدون رغم ما فيه من المبالغة والتحامل ضد البدو ووصفهم بالنهب والسلب، وهذا ليس المعنى الذي أراده ابن خلدون في هذه الجزئية، بل أراد إبراز الفوارق بين سكان البادية والحاضرة حتى يتمكن من تفسير عوائدهم بناء

(١) المرجع السابق ٩٠/١ .

(٢) منطق ابن خلدون: علي الوردي، ص ٩٦، ط الأولى، ٢٠٠٩م، دار الوراق للنشر المحدودة، بغداد .

على الأحوال التي يعيشونها.

والأمثلة على هذا المنهج الذي تميز به ابن خلدون كثيرة وليس هنا مقام ذكرها جميعاً.

ج- المنهج الفلسفي:

يقول عبدالرزاق قسوم "إن ابن خلدون، لا يغرف في منهجه من ينبوع الدين أو ينبوع القوانين التاريخية فقط ولكنه يستلهم أيضاً من المنبع الفلسفي العقلاني، فتجده أحياناً يستخدم المصطلح الأريسطي كما هو الحال بالنسبة للعمران ومن المفهوم الرشدي كما هو الحال بالنسبة للعصبية والمصطلحات السياسية"^(١).

ويرجع عبدالرزاق قسوم اهتمام ابن خلدون بالمنهج العقلي وتكوينه فيه إلى عاملين هامين:

١- دراسته للعلوم العقلية في سن مبكرة على أستاذه محمد الآبلي.

٢- مطالعاته الخاصة لمؤلفات المفكرين الإسلاميين كالفارابي وابن سينا والغزالي وابن رشد^(٢).

ويواصل عبد الرزاق قسوم مفصلاً منهج ابن خلدون الفلسفي وكيف أنه أدخل تعديلاً جديداً على مذهب العقل "فيتجلى لنا أن ابن خلدون في اعتماده على المنهج العقلي أدخل على مذهب العقل تعديلاً جديداً، هو ما سمي بعنصر التناسب من قوانين العقل وقوانين الكائن على اعتبار أن الوجود أوسع بكثير من العقل مما نتج عنه:

١- الاعتراف بحدود العقل، وهو هنا يلتقي مع "كانط" في قوله بأن العقل

(١) ابن خلدون ومنابع الحدائث: ورقة عبد الرزاق قسوم ١/١٣٩.

(٢) ابن خلدون ومنابع الحدائث: ورقة عبد الرزاق قسوم، ١/١٤٠.

مقدود على قد الطبيعة، كما يذهب بأن الإيمان مقدرة تفوق العقل، وبالتالي اللجوء إلى قوة تفوق العقل كالحدس وهو ما ذهب إليه الغزالي.

٢- الاعتماد على المجال المشروع للعقل من أجل بناء معرفة أكيدة، وبعبارة ابن خلدون نفسه فإن "العقل ميزان صحيح، وأحكامه يقينية لا كذب فيها"^(١).

ومن هذا يتضح أن ابن خلدون لم يكن يأخذ من مصدر واحد عند صياغته لمنهجه، بل كان يمزج بين الشرع وعلم العمران البشري وبين العلوم العقلية، وإن كان الشرع في النهاية هو الحاكم على رؤيته النهائية.

د- التمحيص:

هذه الخصيصة ابن خلدون هو من فرضها شرطا على إنتاجه المعرفي فبعد أن ذكر الأسباب التي تجعل الكذب يتطرق للأخبار كالتشيع للآراء والمذاهب، والثقة في الناقلين، والتقرب لأصحاب الجاه، والأهم من هذا كله الجهل بطبائع الأحوال في العمران، اشترط لمعرفة حقائق الأمور التمحيص في جميع وجوه الخبر^(٢).

وقد قدم ابن خلدون نماذج تطبيقية على هذا المنهج الذي تميز به حيث فند قصة العباسة^(٣) أخت الرشيد^(٤)، وأنها كانت وراء نكبة البرامكة مستبعدا

(١) المرجع السابق ١/١٤١ .

(٢) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون، ١/٢٩ .

(٣) العباسة: (١٦٠ - ٢١٠هـ) علية بنت المهدي بن المنصور، من بني العباس: أخت هارون الرشيد. أديبة شاعرة، تحسن صناعة الغناء. من أجمل النساء وأظرفهن وأكملهن فضلا وعقلا وصيانة. انظر: الأعلام: ٥/٣٥ .

(٤) هارون (الرشيد) بن محمد (المهدي) ابن المنصور العباسي، أبو جعفر: خامس خلفاء الدولة العباسية في العراق، وأشهرهم. ولد بالري، لما كان أبوه أميرا عليها وعلى خراسان. ونشأ في دار الخلافة ببغداد، وبويع بالخلافة بعد وفاة أخيه الهادي (سنة ١٧٠هـ فقام بأعبائها، وازدهرت الدولة في أيامه، يلقب بجبار بني العباس، حازما كريما متواضعا، يحج سنة ويغزو سنة، لم ير خليفة أجود منه، له وقائع كثيرة مع ملوك

ذلك لأسباب شرفية لا تليق بحفيدة عبدالله بن عباس^(١).

وأعاد السبب الحقيقي للنكبة إلى التنافس على السلطة ثم قال "ومن تأمل أخبارهم واستقصى سير الدولة وسيرهم وجد ذلك محقق الأثر مهد الأسباب"^(٢).

ونجده ينفي ما تناوله ضعفة الرأي من فقهاء المغرب بحسب وصفه من القدرح في الإمام المهدي^(٣) صاحب دولة الموحدين، ونسبته إلى الشعوذة والتلبيس، وعلل رفضهم لنسبه بما كمن في نفوسهم من حسده على شأنه^(٤).

وأوضح مثال ذكره في ما يتعلق بالتمحيص في الأخبار عبر التدقيق في تفاصيلها تعليقا على ما ذكره -بعض- المؤرخين كالمسعودي أن موسى عليه السلام أحصى بني إسرائيل في التيه، فبلغ عدد الذين وصلوا إلى سن العشرين، ويطلق حمل السلاح إلى ستائة ألف أو يزيدون.

= الروم، ولم تنزل جزيتهم تحمل إليه من القسطنطينية طول حياته. وهو صاحب وقعة البرامكة توفي سنة ١٩٣هـ.

انظر: الأعلام للزركلي: ٦٢ / ٨.

(١) ابن عباس: (٣ ق - ٦٧ هـ) عبدالله بن عباس البحر أبو العباس الهاشمي، حبر الأمة، وفقه العصر، وإمام التفسير، أبو العباس، ابن عم رسول الله ﷺ، مولده: بشعب بني هاشم، وكان وسيما، جميلا، مديد القامة، مهيبا، كامل العقل، ذكي النفس، من رجال الكمال، وهو من المكثرين في رواية الحديث.

انظر: سير أعلام النبلاء: ٣ / ٣٣١، الأعلام للزركلي: ٤ / ٩٥، الإصابة: ٤ / ١٤٨.

(٢) تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون ١٦ / ١.

(٣) المهدي ابن تومرت: (٤٨٥ - ٥٢٤ هـ) محمد بن عبدالله بن تومرت المصمودي البربري، أبو عبدالله، الملقب بالمهدي، ويقال له مهدي الموحدين: صاحب دعوة السلطان عبد المؤمن بن علي ملك المغرب، وواضع أسس الدولة المؤمنية الكومية. له كتاب (كنز العلوم) و(أعز ما يطلب) مشتمل على تعليقاته، أملاه عبد المؤمن بن علي.

انظر: وفيات الأعيان: ٥ / ٤٥، الأعلام للزركلي ٦ / ٢٢٨.

(٤) انظر: تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون، ١ / ٢٤.

ويبدو أن هذه الرواية كانت مستفزة لابن خلدون فقام بحشد الأدلة، والقرائن التي تثبت كذبها ومن أهمها:

١- أن دولة الفرس كانت أعظم من ملك بني إسرائيل بكثير، ومع ذلك لم تبلغ جيوشهم قط مثل هذا العدد ولا قريبا منه، وأعظم ما كانت جموعهم بالقادسية مائة وعشرون ألفا.

٢- الذي بين موسى وإسرائيل إنما هو أربعة آباء على ما ذكره المحققون ولا يتشعب النسل في هذه المدة القصيرة إلى هذا العدد^(١).

هـ- التلخص من الأحكام المسبقة:

وهذا أمر سار عليه في العديد من النتائج التي توصل إليها.

وأحيانا يجازف بآراء تخالف السائد في الأوساط التي ينتمي إليها.

ولعل أوضح مثال على ذلك إثباته نسب الفاطميين إلى علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ليس بناء على روايات علمية بل بناء على نظريته بأن الغلبة التي حصلت للفاطميين، لا تكون إلا لأهل العصبية، وهي أدلة عقلية اعتمد فيها على المنطق والحجة أكثر من اعتماده على الحقائق العلمية في إثبات نسبهم^(٢).

وضاربا بمثال آخر وهو حال القرمطي^(٣) وكيف تلاشت دعوته لأنه كان دعيا

(١) المرجع السابق ص ١٢ .

(٢) انظر: دراسة لآراء ابن خلدون في الدولة الأموية: فوزية الفوزان، ص ٥٧، مخطوطة رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، جامعة أم القرى، ١٤١٥هـ .

(٣) قرمط: رأس " القرامطة " من الباطنية. وإليه نسبتهم. اختلف في اسمه وأصله. قيل: اسمه " حمدان " أو " الفرج بن عثمان " أو الفرج بن يحيى " وقرمط لقبه. والنسابون يضبطونه بكسر القاف والميم، بينهما راء ساكنة، واللغويون يفتحون القاف والميم، أصله من خوزستان. وعرف في سواد الكوفة (سنة ٢٥٨هـ فكان يظهر الزهد والتقشف واستمال إليه بعض الناس، وكثر أتباعه والساكنون سبيله، وتداخلت كتب

في نسبه ولا يمتلك العصبية^(١).

ليس من السهل حصر المنهج الخلدوني وميزاته وخاصة أن القراءات في فكره متعددة وأحيانا متضاربة، إلا أن الشيء الذي يسلم به معظم من تناول شخصية ابن خلدون، أنه علامة متميزة في تاريخ الفكر الإسلامي والإنساني معا.



= التاريخ، بأخبار دعائه. والأرجح أنه هو الذي قبض عليه عامل "الرحبة" سنة ٢٩٣ وقاتله المكتفي بالله العباسي.

انظر: الأعلام للزركلي: ١٩٤/٥، المنتظم: ١١٢/٥، الكامل لابن الأثير: ١٤٧/٧.

(١) انظر: تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون ٢٠/١.

الفصل الثاني

الفصل الثاني

الفرق التي تناولها ابن خلدون بالدراسة (دراسة تطبيقية)

وفيه خمسة مباحث:

- ✿ المبحث الأول: دراسته لفرقة الخوارج.
- ✿ المبحث الثاني: دراسته لفرقة الشيعة.
- ✿ المبحث الثالث: دراسته لفرق الكلامية.
- ✿ المبحث الرابع: دراسته للتصوف والصوفية.
- ✿ المبحث الخامس: دراسته لفرق الباطنية والفلاسفة.

المبحث الأول دراسته لفرقة الخوارج

❖ أولاً: تعريف الخوارج:

أ- الخوارج لغة:

خرج خروجاً وخراجاً وهو الأجر وخراجاً غلة العبد، والخرج والخراج شيء يخرج القوم في السنة من ما لهم بقدر معلوم، والخروج اسم من أسماء يوم القيامة والخارجي الذي يخرج ويشرف بنفسه من غير أن يكون له قديم والخوارج قوم من الأهواء لهم مقالة على حدة^(١).

ب- اصطلاحاً:

الخوارج هم كل من خرج عن الإمام الحق، الذي اتفقت عليه جماعة المسلمين في أي عصر كان، وأطلق هذا الاسم بداية على طائفة معينة خرجت على الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ويلحق بهم كل من شاركهم في آرائهم من إنكار التحكيم، وتكفير أصحاب الكبائر، والقول بالخروج على أئمة الجور، وأن أصحاب الكبائر مخلدون في النار^(٢).

❖ ثانياً: نشأة الخوارج:

يعتبر الخوارج أول فرقة ظهرت في الإسلام بشكل علني واضح وله شوكة، وكانت بداية أمرهم في السنة السابعة والثلاثين للهجرة بعد حادثة رفع المصاحف من

(١) تهذيب اللغة: ٢٧/٧

(٢) انظر: مقالات الإسلاميين ١/٢٠٧، الفرق بين الفرق: ص ٧٢، الفصل في الملل والأهواء والنحل: ابن حزم، تحقيق: محمد إبراهيم نصر - عبدالرحمن عميرة ٥/٥١ ط غير مذكورة، دار الجيل، بيروت، الملل والنحل: ١/١٣٢.

قبل أهل الشام في معركة صفين، يقول ابن جرير الطبري:

"وفي هذه السنة اعتزل الخوارج علياً وأصحابه وحكموا ثم كلمهم علي فرجعوا ودخلوا الكوفة"^(١).

وهذا هو الرأي الشائع في نشأة الخوارج أنهم انشقوا بعد معركة صفين، إلا أن هناك اتجاه آخر يرى أن البذرة الأولى للخوارج بدأت في عهد النبوة على يد عبدالله ذي الخويصرة التميمي^(٢) الذي طعن في عدالة النبي ﷺ، وتقسيمه للغنائم بالجرعانة يوم حنين^(٣)، وهو ما أسماه أحمد محمد

(١) تاريخ الأمم والملوك: ابن جرير الطبري، ٣/١٠٩، ط الأولى، ١٤٠٧هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) ذو الخويصرة واسمه حرقوص وقيل مانع التميمي وقيل إنه عبدالله. انظر: غوامض الأسماء المهمة ٢/٥٤٤.

وهو بضم أوله وسكون الراء والقاف بعدها واو ساكنة ثم صاد مهملة- ابن زهير السعدي . قال ابن الأثير: بقي حرقوص إلى أيام علي، وشهد معه صفين، ثم صار من الخوارج، ومن أشدهم على علي بن أبي طالب، وكان مع الخوارج لما قاتلهم علي، فقتل يومئذ سنة سبع وثلاثين. وقال الزركلي: حرقوص بن زهير بن السعدي، الملقب بذي الخويصرة: صحابي، من بني تميم. خاصم الزبير فأمر النبي ﷺ باستيفاء حقه منه. وأمره عمر بن الخطاب بقتال (المهرمان) فاستولى على سوق الأهواز ونزل بها. ثم شهد صفين مع علي. وبعد الحكمين صار من أشد الخوارج على علي، فقتل فيمن قتل بالنهروان.

انظر: أسد الغابة (١/٤٧٥)، الإصابة في تمييز الصحابة (٢/٤٩)، الأعلام للزركلي (٢/١٧٣).

(٣) خبره أخرجه البخاري في صحيحه، عن أبي سعيد، قال: بينا النبي ﷺ يقسم، جاء عبدالله بن ذي الخويصرة التميمي، فقال: اعدل يا رسول الله، فقال: «ويلك، ومن يعدل إذا لم أعدل» قال عمر بن الخطاب: دعني أضرب عنقه، قال: "دعه، فإن له أصحابا، يحقر أحدكم صلاته مع صلاته، وصيامه مع صيامه، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ينظر في قذذه فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر في نصله فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر في رصافه فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر في نضيه فلا يوجد فيه شيء، قد سبق الفرث والدم، آيتهم رجل إحدى يديه، أو قال: ثدييه، مثل ثدي المرأة، أو قال: مثل البضعة تدردر، يخرجون على حين فرقة من الناس" قال أبو سعيد: أشهد سمعت من النبي ﷺ، وأشهد أن علياً، قتلهم، وأنا معه، جيء بالرجل على النعت الذي نعته النبي ﷺ، قال: فنزلت فيه: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي

جلي^(١) "الاتجاه الخارجي الذي مثله هؤلاء قد وردت الإشارة إليه في أحاديث عديدة"^(٢).

ويقدم الشهرستاني روايته لبداية الخوارج فيقول: "اعلم أن أول من خرج على أمير المؤمنين علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جماعة ممن كان معه في حرب صفين، وأشدّهم خروجاً عليه، ومروقا من الدين: الأشعث بن قيس^(٣) الكندي ومسعر بن فدكي التميمي^(٤)، وزيد بن حصين الطائي^(٥) حين قالوا: القوم يدعوننا إلى كتاب الله، وأنت تدعوننا إلى السيف! حتى قال: أنا أعلم بما في كتاب الله! انفروا إلى بقية الأحزاب! انفروا إلى من يقول: كذب الله ورسوله وأنتم تقولون: صدق الله ورسوله. قالوا لترجعن الأثرت^(٦)

= أَلْصَدَقَتْ ﴿التوبة: ٥٨﴾.

صحيح البخاري، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم (٩/ ١٨ حديث رقم ٦٩٣٣) باب من ترك قتال الخوارج للتألف، وأن لا ينفّر الناس عنه.

- (١) باحث معاصر، من أشهر كتبه: دراسات عن الفرق وتاريخ المسلمين "الخوارج والشيعة".
- (٢) دراسات عن الفرق وتاريخ المسلمين "الخوارج والشيعة": أحمد محمد جلي، ص ٥٢، ط الثانية، ١٩٨٨م، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات، الرياض، المملكة العربية السعودية .
- (٣) اسمه معدي كرب. له صحبة ورواية عن النبي ﷺ وهو ممن سكن الكوفة من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وكنيته أبو محمد ويقال إنه مات في سنة أربعين بعد قتل علي بن أبي طالب كرم الله وجهه بأربعين ليلة وهو ابن ثلاث وستين سنة. قدم على رسول الله ﷺ في وفد كندة.
- انظر: أسد الغابة ١/ ١١٨، سير أعلام النبلاء: ٣٧/ ٢، الإصابة: ٢٣٩/ ١.
- (٤) مسعر بن فدكي: أحد قادة خوارج البصرة، له صولات وجولات، لم أجد ذكرا لسنة وفاته.
- انظر: تاريخ الطبري: ٩٦/ ٥، الملل والنحل: ١٣٢/ ١.
- (٥) زيد بن حصين بن وبرة، صاحب الخوارج يوم النهروان، وكان من عباد أهل الكوفة. الاشتقاق: ص: ٣٩١، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، دار الجليل، بيروت، لبنان، ط الأولى، ١٤١١هـ، ١٩٩١م.
- (٦) اسمه مالك بن الحارث بن عبد يغوث بن مسلمة بن ربيعة بن الحارث بن جذيمة بن سعد بن مالك بن النخع من مذحج. روى عن خالد بن الوليد أنه كان يضرب الناس على الصلاة بعد العصر. وكان الأشتر =

عن قتال المسلمين، وإلا فعلنا بك مثل ما فعلنا بعثمان فاضطر إلى رد الأشر بعد أن هزم الجمع، وولوا مدبرين ومابقي منهم إلا شذمة قليلة فيهم حشاشة قوة فامثل الأشر أمره" (١).

إلا أن هناك رأياً آخر يمثله الدكتور: محمد أبو سعدة (٢) ينتقد ما ذهب إليه جمهور المؤرخين والباحثين "أن الخوارج لم يظهروا إلا بعد معركة صفين وحادثة التحكيم التي أعقبت رفع المصاحف من قبل أهل الشام"

ويعتبر أن نشأة الخوارج ليست كما هو مشهور وشائع، ويدافع محمد أبو سعدة عن هذا الرأي منتقدا الرواية المشهورة عن بدايتهم فيقول بعد أن استعرض أقوال المؤرخين والباحثين عن نشأة الخوارج، وشبه إجماعهم أنه كان بعد معركة صفين ويرى "أن واقعة التحكيم سنة ٣٧هـ تمثل حداً تاريخياً فاصلاً بين مرحلتين هامتين في تاريخ الخوارج هما: مرحلة ما قبل التحكيم وهي مرحلة الوجود الكامن المستتر للخوارج كجماعة من القراء، ومرحلة ما بعد التحكيم، وهي مرحلة الظهور والإعلان للخوارج كفرقة دينية لها مذهبها الخاص ولها توجهاتها الدينية والسياسية الخاصة" (٣).

= من أصحاب علي بن أبي طالب وشهد معه الجمل وصفين ومشاهده كلها. وولاه علي. على مصر فخرج إليها. فلما كان بالعريش شرب شربة عسل فمات.

انظر: سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٤، الكامل لابن الأثير ٢/ ٣٢٧.

(١) الملل والنحل: الشهرستاني ١/ ١٣٢.

(٢) الدكتور محمد أبو سعدة أكاديمي مصري وأستاذ في كلية الآداب جامعة حلوان لديه العديد من المؤلفات: المنهج النقدي عند الباقلاني، النفس وخلودها عند فخر الدين الرازي، حقيقة المعادين الدين والفلسفة، الاستشراق في الفلسفة الإسلامية:

انظر: الخوارج في ميزان الفكر الإسلامي، محمد أبو سعدة، القاهرة، ١٩٩٥ م.

(٣) الخوارج في ميزان الفكر الإسلامي: محمد أبو سعدة، ص ٣٢، ط الثانية، القاهرة، ٢٠٠٨ م.

وهذا الرأي بعيد جدا لأمرين:

١- أنه يخالف ما يكاد تواتر بين المؤرخين والباحثين عن بداية أمر الخوارج وأنه كان بعد معركة بعد صفين.

٢- أن ما ذهب إليه أبو سعدة من كونهم أي الخوارج كانت لهم نواة منظمة وسرية، وأنهم فقط اختاروا ما بعد صفين للظهور يخالف طبيعة العرب، وخاصة في تلك الفترة، والتي هي أقرب ما تكون للفطرة والتلقائية ولا مكان فيها للتنظيمات السرية التي يتحدث عنها الدكتور.

❖ ثالثاً: فرق الخوارج:

كثيرة هي الروايات والأقوال في عدد فرق الخوارج فهي بحسب عبدالقاهر البغدادي^(١) في "الفرق بين الفرق" عشرون فرقة^(٢).

أما الشهرستاني فلا تزيد عنده عن ثمانية^(٣) وبقية الفرق متفرعة عنها، وهي:
١- المحكمة^(٤).

(١) الأستاذ: أبو منصور عبدالقاهر بن محمد البغدادي الفقيه الشافعي الأصولي الأديب كان ماهراً في فنون عديدة، وكان ذا مال وثورة ينفقه على أهل العلم والحديث، نفقه على أبي إسحاق الإسفرايني، فاق أقرانه ودرس في سبعة عشر فناً: قال أبو عثمان الصابوني كان الأستاذ: أبو منصور من أئمة الأصول، وصدور الإسلام بإجماع أهل الفضل وله تصانيف في النظر والعقليات ومن أشهر كتبه: الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم، توفي: ٤٢٩ هـ.

انظر: وفيات الأعيان: ابن خلكان ٣/ ٢٠٣. الوافي بالوفيات: الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى ٣١/ ١٩، ط دار إحياء التراث، بيروت، ١٣٢٠ هـ.

(٢) الفرق بين الفرق: ص ٧٢.

(٣) الملل والنحل: الشهرستاني، ١/ ١٣٣.

(٤) هم الذين خرجوا على أمير المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين جرى أمر الحكمين واجتمعوا بحروراء من ناحية الكوفة

٢- الأزارقة^(١).

٣- النجدات^(٢).

٤- البهيسة^(٣).

= ورئيسهم عبدالله بن الكواء وسبب تسميتهم بهذا الاسم أنه قالوا لا حكم إلا لله وهؤلاء هم سلف الخوارج.

انظر: مقالات الإسلاميين: الأشعري ١/ ١٠٣، علي بن إسماعيل الأشعري أبو الحسن، تحقيق: هلموت ريتز، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط الثالثة. الفرق بين الفرق: البغدادي ص ٧٣، الملل والنحل: الشهرستاني ١/ ١١٤.

(١) الأزارقة: إحدى أشهر الفرق وأكثرها شراسة ودموية، وأشدّها شوكة.

والأزارقة نسبة إلى نافع بن الأزرق الحنفي وكان أول خروجهم من البصرة أيام سيطرة عبدالله بن الزبير ٦٥هـ على العراق واشتدت شوكتهم وكثر أتباعهم من آرائهم: إسقاط حد الرجم عن الزاني لأنه لم يرد في القرآن الكريم، كفروا القعدة، أباحوا قتل أطفال المخالفين

انظر: مقالات الإسلاميين: الأشعري ١/ ٨٩، الفرق بين الفرق: البغدادي ص ٧٨، الملل والنحل: الشهرستاني ١/ ١١٧.

(٢) النجدات نسبة إلى نجدة بن عامر الحنفي قويت شوكتهم سنة ست وسبعين كان مركز قوتهم في اليمامة واستولى على أجزاء وسعة من الجزيرة العربية قتل نجدة على يد أصحابه ٦٩هـ، من آرائهم: أن التقية جائزة في العمل والقول كله حتى لو وصل الأمر إلى قتل النفوس، لا يرون الحاجة إلى الإمام.

انظر: مقالات الإسلاميين: الأشعري ١/ ٨٦، الفرق بين الفرق: البغدادي ص ٨١، الملل والنحل: الشهرستاني، ١/ ١٢١.

(٣) أصحاب أبي بيهس الهيصم بن جابر وكان الحجاج طلبه أيام الوليد فهرب إلى المدينة فطلبه به عثمان بن حيان المزني فظفر به وحبسه وكان يسامره إلى أن ورد كتاب الوليد بأن يقطع يديه ورجليه ثم يقتله ففعل به ذلك من آرائهم: تكفير الواقفية، أنه لا يسلم أحد حتى يقر بمعرفة الله ومعرفة رسله ومعرفة ما جاء به النبي ﷺ والولاية لأولياء الله والبراء من أعداء الله

انظر: مقالات الإسلاميين ١/ ١٢٦، الفرق بين الفرق ص ١٠٠، الملل والنحل ١/ ١٢٥.

٥- العجاردة^(١).

٦- الثعالبة^(٢).

٧- الإباضية^(٣).

٨- الصفرية^(٤).

(١) العجاردة: أصحاب عبد الكريم بن عجرد، وافق النجدات في بدعهم. وقيل: إنه كان من أصحاب أبي بيهس، ثم خالفه وتفرد بقوله: تجب البراءة عن الطفل حتى يدعى إلى الإسلام، ويجب دعاؤه إذا بلغ، وأطفال المشركين في النار مع آبائهم، ولا يرى المال فيئا حتى يقتل صاحبه، وهم يتولون القعدة إذا عرفوهم بالديانة، ويرون الهجرة فضيلة لا فريضة، ويكفرون بالكبائر، ويحكي عنهم أنهم ينكرون كون سورة يوسف من القرآن، ويزعمون أنها قصة من القصص. قالوا: ولا يجوز أن تكون قصة العشق من القرآن.

انظر: الفرق بين الفرق: البغدادي ص ٨٧، الملل والنحل ١/ ١٤٨.

(٢) أصحاب ثعلبة بن عامر. كان مع عبد الكريم بن عجرد يدا واحدة إلى أن اختلفا في أمر الأطفال فقال ثعلبة: إنا على ولايتهم صغارا وكبارا حتى نرى منهم إنكارا للحق ورضا بالجور. فبرأت العجاردة من ثعلبة. ونقل عنه أيضا أنه قال: ليس له حكم في حال الطفولة من ولاية وعداوة، حتى يدركوا ويدعوا، فإن قبلوا فذاك، وإن أنكروا كفروا. وكان يرى أخذ الزكاة من عبيدهم إذا استغنوا، وإعطاءهم منها إذا افتقروا.

انظر: الفرق بين الفرق: البغدادي ص ٩٣، الملل والنحل ١/ ١٥٢.

(٣) أصحاب عبدالله بن إباض الذي خرج في أيام مروان بن محمد. وقالوا: إن دار مخالفيهم من أهل الإسلام دار توحيد، إلا معسكر السلطان فإنه دار بغي. وأجازوا شهادة مخالفيهم على أوليائهم. وقالوا في مرتكبي الكبائر: إنهم موحدون لا مؤمنون.

وحكى الكعبي عنهم: أن الاستطاعة عرض من الأعراض، وهي قبل الفعل، بها يحصل الفعل، وأفعال العباد مخلوقة لله تعالى: إحداثا وإبداعا، ومكتسبة للعبد حقيقة، لا مجازا. ولا يسمون إمامهم أمير المؤمنين، ولا أنفسهم مهاجرين. وقالوا: العالم يفنى كله.

انظر: الفرق بين الفرق: البغدادي ص ٩٥، الملل والنحل ١/ ١٥٦.

(٤) أصحاب زياد بن الأصفر، خالفوا الأزارقة، والنجدات، والإباضية في أمور منها: أنهم لم يكفروا القعدة

ويختار الأستاذ: أحمد محمد أحمد جلي خمسة ويعتبرها الأهم وهي:

١- المحكمة الأولى ٢- الأزارقة ٣- النجدات ٤- الصفرية ٥- الإباضية^(١).

ويرى ابن خلدون أنها أربعة والباقي متفرع عنها^(٢).

وهي: الأزارقة، النجدات، الصفرية، الإباضية.

ويعيد غالب عواجي^(٣) هذا التباين في عدد فرق الخوارج إلى كونهم مضطهدين، من عامة الناس وأيضاً من الدولة، نظراً لكونهم دوماً من الثائرين، إضافة إلى قلة التدوين عندهم وخوفهم من اطلاع أعدائهم على القليل مما كتبوه، وهذا أمر يعود إلى طبيعة وضعهم غير المستقر والمائل دوماً إلى الحروب وكثرة التشطي والانشقاق^(٤).

= عن القتال، إذا كانوا موافقين في الدين والاعتقاد، ولم يسقطوا الرجم، ولم يحكموا بقتل أطفال المشركين وتكفيرهم وتخليدهم في النار. وقالوا: التقية جائزة في القول دون العمل. وقالوا: ما كان من الأعمال عليه حد وقاع فلا يتعدى بأهله الاسم الذي لزمه به الحد كالزنا، والسرقه، والقذف، فيسمى زانياً، سارقاً، قاذفاً، لا كافراً مشركاً.

وما كان من الكبائر مما ليس فيه حد لعظم قدره مثل ترك الصلاة، والفرار من الزحف، فإنه يكفر بذلك.

انظر: الفرق بين الفرق ص ٨٤، الملل والنحل ١/ ١٥٩.

(١) دراسات عن الفرق وتاريخ المسلمين "الخوارج والشيعة": أحمد محمد جلي، ص ٦٦، ط الثانية، ١٩٨٨م، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات، الرياض، المملكة العربية السعودية.

(٢) انظر: تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون ٢/ ١٠٩٠.

(٣) د. غالب بن علي عواجي: أكاديمي سعودي، له: فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، والمذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها.

(٤) انظر: الخوارج تاريخهم وآراءهم الاعتقادية: غالب علي عواجي، ص ١٧١، رسالة ماجستير، قسم المخطوطات، عمادة شؤون المكتبات، جامعة أم القرى.

واشتهر الخوارج بعدة أسماء وألقاب على مر التاريخ:

١- الخوارج: وهي أشهر هذه الألقاب، وسموا بها لخروجهم على الأئمة والحكام. (١)

٢- الحرورية: وسموا بذلك اجتماعهم ببلدة حروراء بعد خروجهم على علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. (٢)

٣- الشراة: (٣) سمو بذلك لأنهم قالوا: شربنا أنفسنا من الله، نقاتل في سبيل الله وذهبوا في ذلك إلى قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقْنَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ١١١].

٤- المارقة: وهذا اللقب مشتق من قوله ﷺ: "يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية" (٤) وقد اعتبر الشهرستاني أن أولهم ذوالخويصرة وآخرهم ذو الشثية (٥).

٥- المحكمة: وسموا بذلك لقولهم بعد التحكيم: لا حكم إلا لله، بدعوة أن الحكم الذي صدر من الحكمين إنما هو حكم رجال (٦).

(١) الملل والنحل: الشهرستاني، ١/ ١٣٢ .

(٢) تاريخ الأمم والملوك: ابن جرير الطبري ٣/ ١٠٥، ط الأولى، ١٤٠٧هـ، دار الكتب العلمية، بيروت .

(٣) المرجع السابق: ص ١٩٣ .

انظر أيضا: الفرق بين الفرق: عبد القاهر البغدادي ص ٧٣.

(٤) أخرجه البخاري - ٤/ ٢٤٣ برقم: (٣٦١٠)، أخرجه مسلم ٣/ ١٠٩، برقم: (٢٤٩٦) .

(٥) الملل والنحل: الشهرستاني ١/ ١٣٤ .

(٦) انظر: ابن أبي زيد القيرواني عقيدته وموقفه من الفرق ومقاومته للبدع: محيي الدين سليمان إمام مديلي، ص ٤٧٥، رسالة دكتوراة، مخطوطة، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى .

❖ رابعاً: أهم معتقداتهم:

هناك اختلاف كبير في القواسم المشتركة بين الخوارج، فيما يتعلق بالمعتقدات على افتراق مذاهبهم، وتعدد فرقهم إلا أن القواسم الكبرى بين مذاهبهم يمكن حصرها في التالي:

تكفير علي، وعثمان، والحكمين، وأصحاب الجمل، وكل من رضي بتحكيم الحكمين والخروج على السلطان الجائر.^(١)

قال: أبو الحسن الأشعري^(٢) "أجمعت الخوارج على كفر علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وهم مختلفون: هل كفره شرك أم لا؟

وأجمعوا على أن كل كبيرة كفر إلا (النجيدات) فإنها لا تقول ذلك."^(٣)

ويخلص غالب العواجي في دراسته للخوارج إلى نقاط تشكل أهم المرتكزات التي يقوم عليها المذهب الخارجي بتعدد أطيافه، ومن أبرز هذه النقاط:

- أن الخوارج يقولون بالتحسين والتقبيح العقليين، وأنهم لم يكونوا سواء في تمسكهم بظاهر النص، أو في أخذهم بمبدأ التأويل، ولم يلتزموا بأحد هذين، بل أخذوا بكل منهما حسب ما يقتضيه تحقيق أهدافهم.

- أنهم ينكرون زيادة الصفات على الذات الإلهية، ويؤولون الصفات الخبرية،

(١) انظر: الفرق بين الفرق: عبد القاهر البغدادي، ص ٧٣ .

(٢) أبو الحسن، علي بن إسماعيل بن إسحاق، من نسل الصحابي أبي موسى الأشعري: مؤسس مذهب الأشاعرة. كان من الأئمة المتكلمين المجتهدين. ولد في البصرة. وتلقى مذهب المعتزلة وتقدم فيهم ثم رجع وجاهر بخلافهم. وتوفي ببغداد سنة ٣٢٤هـ. قيل: بلغت مصنفاته ثلاثمائة كتاب، منها "إمامة الصديق" و"الرد على المجسمة" و"مقالات الإسلاميين"، و"الابانة عن أصول الديانة".

انظر: الأعلام للزركلي: ٤/٢٦٣، سير أعلام النبلاء: ١٥/٨٥، وفيات الأعيان: ٣/٢٨٤.

(٣) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين: أبو الحسن الأشعري ١/١٦٨ .

وينكرون الرؤية ويختلفون في القول بالقدر، وأنهم ينكرون وجود الجنة والنار الآن، وكذلك ينكرون عذاب القبر والشفاعة وينكرون الحقائق الشرعية للصراط والميزان ويؤلونها.

- الخوارج يعتبرون أن العمل جزء من حقيقة الإيمان فلا يتم إلا به، وأن الإسلام والإيمان عندهم بمعنى واحد، وأن الإيمان لا يزيد ولا ينقص إلا عند الإباضية، وأنهم وإن اتفقوا مع السلف في اعتبار العمل جزءاً من الإيمان إلا أنهم اختلفوا في النتائج المترتبة على ذلك فيما يتعلق بحكم مرتكب الكبيرة.

- أنهم يقولون بضرورة الإمامة العظمى^(١).

ويقرر الشيخ عبدالله القرني^(٢) أن مذهب الخوارج يقوم على ثلاثة أصول:
أولها: دعواهم أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، وأنه إذا ذهب بعضه انتفى بالكلية.

ثانيها: أن العمل من الإيمان.

ثالثها: تكفيرهم لمرتكب الكبيرة^(٣).

وينفردون بالأصل الثالث وهو تكفير مرتكب الكبيرة إلا النجدات كما حكى ذلك^(٤) أبو الحسن الأشعري

والحاصل أن الخوارج متفقون على ثلاثة مبادئ:

(١) انظر: الخوارج تاريخهم وآرؤهم الاعتقادية: ص ٥١١ .

(٢) عبدالله محمد القرني، الأستاذ المشارك بكلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى بمكة، له: المعرفه في الإسلام مصادرها ومجالاتها، وضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة، الخلاف العقدي في باب القدر.

(٣) أصول المخالفين لأهل السنة في الإيمان: عبدالله محمد القرني، ص ٧٧، ط الأولى، ١٤٣٢ هـ، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية .

(٤) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين: أبو الحسن الأشعري ١/ ١٦٨ .

أولاً: تكفير علي وعثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وأصحاب الجمل والحكمين وكل من رضي بالتحكيم.

ثانياً: تكفير مرتكب الذنوب والحكم عليه بالخلود في النار إلا النجدات.
ثالثاً: وجوب الخروج على الإمام الجائر.

❖ خامساً: ابن خلدون والخوارج "دراسة تطبيقية":

أ - بداية الخوارج:

أطال ابن خلدون النفس في استعراض تاريخ الخوارج، وعقد باباً طويلاً "الخبر عن الخوارج وذكر أوليتهم وتكرار خروجهم في الملة الإسلامية"^(١). فصل فيه أخبارهم على طريقة المؤرخين، تحدث فيه وبإسهاب عن معاركهم وأمرائهم، وكل من تولى حربهم من قادة الدولة المركزية سواء كانت في الكوفة أو دمشق أو بغداد.

يذهب ابن خلدون إلى الرأي الأكثرى، والذي يقول بأن بداية أمر الخوارج كان بعد معركة صفين، ويسميهم بالقراء، وأنهم من أصبح فيما بعد خوارج، ويكرر هذه العبارة في أكثر من موضع من تاريخه^(٢).

ويتحدث ابن خلدون عن بداية الخوارج بعد حادثة رفع المصاحف من قبل أهل الشام فيقول: "فقال له مسعر بن فدك التميمي وزيد بن حصين الطائي^(٣) في

(١) انظر: تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون، ٢/ ١٠٧٨ .

(٢) انظر: تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون، ٢/ ٩٥٨ .

(٣) زيد بن حصن الطائي ثم السنبي ذكره الهيثم بن عدي عن يونس بن أبي إسحاق عن أبي السفر الهمداني أنه كان عامل عمر بن الخطاب على حدود الكوفة أخرجه محمد بن قدامة في أخبار الخوارج له قلت وقد قدمت غير مرة أنهم كانوا لا يؤمرون في ذلك الزمان إلا الصحابة .

انظر: الإصابة: ٢/ ٦٠٣ .

عصابة من القراء الذين صاروا بعد ذلك يا علي: أجب إلى كتاب الله وإلا دفعنا برمتك إلى القوم أو فعلنا بك ما فعلنا بابن عفان" (١).

وكانت بداية انحيازهم إلى معسكر مستقل عن بقية جيش الخلافة بقيادة علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، حصلت بعد كتابة المسودة التي بموجبها سيلتقي الحكمان في دومة الجندل لاحقاً، وتوافق الناس على النزول عند حكمهم ورأيهم، وبعد أن قفل علي راجعاً إلى الكوفة تخلف عنه من أنكر التحكيم، والذين أصبحوا فيما بعد خوارج.

ويروي ابن خلدون هذه الحادثة " ثم رجع الناس عن صفين ورجع علي وخالفت الحرورية وأنكروا تحكيم الرجال، ورجعوا على غير الطريق الذي جاؤوا فيها حتى جاوزوا النخيلة ورأوا بيوت الكوفة، فسمع رجة البكاء في الدور فقبل: يبكين على القتلى فترحم لهم ولم يزل يذكر الله حتى دخل القصر، فلم تدخل الخوارج معه، وأتوا حروراء فنزلوا بها في اثني عشر ألفاً، فقدموا شيبث بن عمر التميمي (١) أمير القتال، وعبيدالله بن الكوي الشكري (١) أمير الصلاة" (١).

ثم تطرق بعد ذلك إلى مناظرة عبدالله بن عباس لهم ومقابلة علي بن أبي طالب رضى الله عنه لبعضهم وعودة معظمهم إلى الطاعة" (١).

(١) المرجع السابق ٢/٩٥٨.

(٢) : شيبث بفتح أوله والموحدة ثم مثلثة بن ربيعي التميمي اليربوعي أبو عبد القدوس له إدراك ورواية، عن حذيفة وعلي. قال الدارقطني يقال إنه كان مؤذن سجاح التي ادعت النبوة ثم راجع الإسلام. . ومات شيبث في حدود السبعين.

انظر: الإصابة في تمييز الصحابة: ٣/٣٧٦، سير أعلام النبلاء: ٤/١٥٠، الأعلام للزركلي: ٣/١٥٤ .

(٣) عبيدالله بن الكوي الشكري البكري عينه الخوارج أميرا لهم في الصلاة في حروراء وقتل في معركة النهروان على الأرجح

انظر: تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون ٢/٩٥٩ .

(٤) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون ٢/٩٥٩ .

(٥) انظر: المرجع السابق ٢/٩٦٠ .

ب- قتال الخوارج:

استفحل أمر الخوارج وبالغوا في إساءة الأدب مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وطالبوه بالتوبة من خطيئته، وبعد أن أكثر الاستعراض والقتل من قبل الخوارج وبقرهم لبطن زوجة عبدالله بن خباب^(١) بعد قتله، كان لا بد من ردعهم فحصلت معركة النهروان، والتي قادها علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ومن طرف الخوارج عبدالله بن وهب الراسبي^(٢) الذي نصبوه أميراً لهم، وانتهت هذه المعركة بهزيمة ساحقة للخوارج يقول في وصفها ابن خلدون " ثم استقبلهم الرماة، وعظفت عليهم الخيل من المجنبتين، ونهض إليهم الرجال بالسلاح فهلكوا كلهم في ساعة واحدة كأنما قيل لهم موتوا"^(٣).

وانحسر أمر الخوارج بعد معركة النهروان وتفرق شملهم، وكان ذلك سبباً رئيسياً في اغتيال الخليفة علي بن أبي طالب على يد أحدهم وهو عبدالرحمن بن ملجم المرادي^(٤) كما يقول ابن خلدون " وكان سبب قتله أن عبدالرحمن بن ملجم المرادي

(١) عبدالله بن خباب بن الأرت التميمي ذكره الطبراني وغيره في الصحابة، روي أن النبي ﷺ سباه عبدالله وقال لخباب أنت أبو عبدالله، من كبار التابعين، ثقة، قتله الحرورية، أرسله إليهم علي، فقتلوه، فأرسل إليهم: أقيدونا بعبدالله بن خباب، فقالوا: كيف نقيدك به، وكلنا قتله؟ فنهد إليهم فقتلهم.

انظر: الإصابة: ٧٣/٤، تهذيب الكمال: ٤٤٧/١٤.

(٢) عبدالله بن وهب الراسبي من بني راسب قبيلة معروفة وهو أمير الخوارج يوم النهروان وقتل في المعركة. وذكره الجوزجاني في كتابه أحوال الرجال باسم عبدالله بن راسب وقال: إنه قد أدرك الجاهلية. قال ابن حجر: ولا أعلم له رواية.

انظر: أحوال الرجال: ص ٣٤، الإصابة في تمييز الصحابة: ١٠٠/٥، الأعلام ١٤٣/٤.

(٣) انظر: تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون ٩٦٣/٢، ط الأولى، ١٩١١م، دار ابن حزم، بيروت، لبنان.

(٤) عبدالرحمن بن ملجم المرادي قاتل علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -خارجي وهو عندهم من أفضل الأمة، وكان ممن شهد فتح مصر وهو ممن كان يشايح علياً في الكوفة وشهد معه صفين. قتل سنة ٤٠هـ.

انظر: تاريخ الإسلام: ٣٧٣/٢، الإصابة: ١٠٩/٥، الأعلام للزركلي ٣٣٩/٣.

والبرك بن عبدالله التميمي^(١) الصريمي واسمه الحجاج، وعمرو بن بكر التميمي السعدي^(٢): ثلاثتهم من الخوارج لحقوا من فلهم بالحجاز واجتمعوا فتذاكروا ما فيه الناس وعابوا الولاية وترحموا على قتل النهروان وقالوا: ما نصنع بالبقاء بعدهم فلو شرينا أنفسنا وقتلنا أئمة الضلال وأرحنا منهم الناس^(٣).

ج- الكروالضر.

افترق شمل الخوارج بعد معركة النهروان - كما سبق - إلا أنهم استطاعوا تجميع صفوفهم بعد ذلك.

وخاضوا معارك دامية ضد الدولة الأموية استنزفت الكثير من الموارد والجهود. وقدم ابن خلدون تفصيلاً وافياً عن هذه المعارك والمواجهات، والمراحل التي مر عليها الخوارج وهي بين مد وجزر وصلت في بعض الأحيان إلى السيطرة على مناطق واسعة، كما حصل مع نجدة بن عامر الحنفي، الذي تمكن من فرض سلطته على أجزاء واسعة من الجزيرة العربية^(٤).

وفي مرات أخرى قاموا بتهديد المركز الرئيسي للحكم في العراق، وهو الكوفة،

(١) لبرك بن عبدالله الذي ضرب معاوية ففلق أليته ليلة مقتل علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو البرك الصريمي اسمه الحجاج ولقبه البرك. وقدم البرك الصريمي على معاوية بدمشق فضربه فجرح أليته، وهو في الصلاة، ويقال إنه قطع عرق النسل، فما أحبل بعدها.

انظر: توضيح المشتبه: ١/ ١٩٤، توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم: ابن ناصر الدين شمس الدين محمد بن عبدالله بن محمد القيسي الدمشقي، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الأولى، ١٩٩٣ م. وفيات الأعيان: ٧ / ٢١٨.

(٢) عمرو بن بكر التميمي: أحد الثلاثة الذين ائتمروا بعلي ومعاوية وعمرو بن العاص ليقتلوهم ليلة ١٧ رمضان سنة ٤٠ هـ.

انظر: الأعلام: ٥ / ٧٤.

(٣) انظر: تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون ٢ / ٩٦٦.

(٤) المرجع السابق ٢ / ١٠٩٢.

فسيطروا على بلدات حولها، ودخلوا أطراف المدينة وكان ذلك أيام تولي الحجاج لولاية العراق.

وتمكنوا من هزيمة العديد من الجيوش التي أرسلها الحجاج، وكان يقود الخوارج في هذه المعارك الضارية شبيب بن يزيد بن نعمان الشيباني^(١)

وكانت آخر هذه المعارك حصلت أيام الخليفة العباسي هارون الرشيد وكانت المناوشات محدودة انتهت بمقتل قائدهم طريف^(٢) من بني تغلب^(٣).

د - اضمحلال أمر الخوارج.

تراجع دور الخوارج وخاصة في المشرق بل انقرض أمرهم فيه كما يقول ابن خلدون، وبقيت لهم جماعات متفرقة وخاصة في بلاد المغرب ومعظمهم من البربر^(٤).

ولا زال أمرهم في تناقص إلى أن اضمحلت ديانتهم يقول ابن خلدون " ثم لم

(١) انظر: تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون ٢/١٠٩٦ .

(٢) أبو الضحاك، شبيب بن يزيد بن أبي نعيم الشيباني، رأس الخوارج بالجزيرة، وفارس زمانه، بعث لحربه الحجاج خمسة قواد، فقتلهم واحدا بعد واحدا، ثم سار إلى الكوفة، وحاصر الحجاج، وكانت زوجته غزاة عديمة النظر في الشجاعة، ولما غرق سنة ٧٧هـ، قيل لأمه، فقالت: لما ولدته، رأيت كأنه خرج مني شهاب نار، فعلمت أنه لا يطفئه إلا الماء. وإليه نسبة الفرقة الشيبانية من فرق النواصب.

انظر: سير أعلام النبلاء: ٤/١٤٦، الأعلام للزركلي: ٣/١٥٦، وفيات الأعيان: ٢/٤٥٤ .

(٣) هو الوليد بن طريف الشاري التغلبي الوائلي ملك الخوارج، الذي يضرب بشجاعته المثل وأكبر الثائرين على دولة بني العباس أيام حكم (هارون الرشيد) وقد اشتدت شوكته وكثر أتباعه فأرسل إليه الرشيد القواد والجيوش فهزمهم وقل جمعهم، فسير إليه الرشيد جيشا كثيفا مقدمه يزيد بن مزيد الشيباني، ثم ظهر عليه يزيد، فقتله بعد حرب شديدة، وذلك سنة ١٧٩هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء: ٧/٤٦٢، الأعلام للزركلي: ٨/١٢٠، وفيات الأعيان: ٦/٣١ .

(٤) انظر: المرجع السابق: ٢/١١١٠ .

(٥) انظر: تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون ٢/١١١٠ .

يزل أمرهم في تناقص إلى أن اضمحلت ديانتهم وافتقرت جماعتهم، وبقيت آثار نحلتهم في أعقاب البربر الذين دانوا بها أول الأمر، ففي بلاد زناتة بالصحراء منها أثر باق لهذا العهد في قصور ربيع وواديه، وفي مغراوة من شعوب زناتة يسمون الراهبية نسبة إلى عبدالله بن وهب الراهبي، أول من بويع منهم أيام علي بن أبي طالب وهم في قصور هنالك مظهرين لبدعتهم لبعدهم عن مقال أهل السنة والجماعة وكذلك في جبال طرابلس وزناتة أثر باق من تلك النحلة التي يدين بها أولئك البربر في المجاورة لهم مثل ذلك" (١).

هـ - فرقهم وعقائدهم:

يذهب ابن خلدون أن بداية الخوارج، كان مع معركة صفين وحادثة رفع المصاحف.

وكان أمر الخوارج واحداً ولم يكن بينهم اختلاف إلا في الشاذ من الفروع، حتى حصلت خلافات بين قادتهم بعد تشديد ابن زياد الخنق عليهم في العراق، وقتل قادتهم ومن ضمنهم أبو بلال بن مرداس (٢) مما حمل نافع بن الأزرق (٣) على دعوتهم أي الخوارج إلى اللحاق بابن الزبير لجهاد عساكر يزيد إلا أنهم مالبثوا أن فارقوا ابن

(١) المرجع السابق: ١١١١/٢ .

(٢) أبو بلال الخارجي مرداس بن أدية أحد أئمة الخوارج (الشرأة) وخطبائهم المشهورين، وأبوه حدير بن عامر الربيعي الحنظلي من تميم، وقد نسب إلى أدية أمه أو جدته. كان أبو بلال من أنصار علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، شهد معه معركة صفين سنة ٣٦هـ، قال ابن حزم: وله عقب كثير بإصطخر، وهو أخو (عروة بن حدير)، قتل سنة ٦١هـ .

انظر: سير أعلام النبلاء: ١٤/٥٠٨، الأعلام للزركلي: ٧/٢٠٢ .

(٣) نافع بن الأزرق الحروري من رؤوس الخوارج ذكره الجوزجاني في كتاب الضعفاء انتهى وكان نافع هذا من رؤوس الخوارج وإليه تنسب الطائفة الأزارقة وكان قد خرج في أواخر دولة يزيد بن معاوية. قتل في جمادى الآخرة، سنة خمس وستين.

انظر: الأعلام للزركلي ٧/٣٥١، ميزان الاعتدال ٤/٢٤١ .

الزبير، وذلك بعد موت يزيد بن معاوية فانشطروا إلى قسمين: قسم توجه إلى البصرة، وقسم إلى اليمامة، وهناك بايعوا نجدة بن عامر الحنفي^(١) أميراً عليهم، وكان هذا أول انشقاق بينهم^(٢).

يقول ابن خلدون "ومن هنا افتقرت الخوارج على أربع فرق: الأزارقة أصحاب نافع بن الأزرق الحنفي وكان رأيه البراءة من سائر المسلمين وتكفيرهم، والاستعراض وقتل الأطفال واستحلال الأمانة لأنه يراهم كفاراً. الفرقة الثانية: النجدية وهم بخلاف الأزارقة في ذلك كله.

الفرقة الثالثة: الإباضية أصحاب عبدالله بن إباح المري^(٣)، وهم يرون أن المسلمين كلهم يحكم لهم بحكم المنافقين، فلا ينتهون إلى الرأي الأول، ولا يقفون عند الثاني، ولا يجرمون مناكحة المسلمين، ولا موارثتهم، ولا المنافقين فيهم، وهم عندهم كالمنافقين، وقول هؤلاء أقرب إلى السنة، ومن هؤلاء البيهسية أصحاب أبي بيهس^(٤)

(١) هو بفتح النون، نجدة بن عامر الحنفي الحروري الخارجي من رؤوس الخوارج. مال عليه أصحاب ابن الزبير فقتلوه بالجمار. وقيل: اختلف عليه أصحابه فقتلوه في سنة تسع وستين.

انظر: ميزان الاعتدال ٤ / ٢٤٥، توضيح المشتبه ٣ / ١١٤، الأعلام للزركلي ٨ / ١٠.

(٢) انظر: تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون ٢ / ١٠٩٠.

(٣) عبدالله بن إباح المقاعسي المري التميمي، من بني مرة بن عبيد بن مقاعس: رأس الإباضية، وإليه نسبتهم وتوفي في منتصف السبعينيات من القرن الهجري الأول على أشهر الأقول.

انظر: الأعلام: ٤ / ٦١.

(٤) هيصم بن جابر الضبعي، أبوبيهس، من بني سعد بن ضبيعة: رأس الفرقة "البيهسية" من الخوارج. كان فقيهاً متكلماً، من الأزارقة، وكفر أبوبيهس نافع بن الأزرق وعبدالله بن إباح فيما ذهباً إليه، وتبعته جماعة. وكان ذلك في أيام الوليد الأموي. وطلب الحجاج أبابيهس، فهرب إلى المدينة. وظفر به واليها "عثمان بن حيان المري" فاعتقله. ولم يشتد عليه، إلى أن ورد كتاب من الوليد بقطع يديه ورجليه وصلبه، قال المقرئزي، قتل بالمدينة وصلب، سنة ٩٤ هـ.

انظر: الأعلام للزركلي: ٨ / ١٠٥، الملل والنحل للشهرستاني: ١ / ١٢٤.

هيصم بن جابر الضبيعي.

الفرقة الرابعة: الصفيرية وهم موافقون للإباضية إلا في "العقدة"^(١) فإن الإباضية أشد على "العقدة" منهم"^(٢).

سادساً: تحليل ومناقشة:

يمكن إجمال ما ذكره ابن خلدون عن الخوارج وله صلة مباشرة بالفرق من ناحية عقدية بما يلي:

١- اعتباره فرق الخوارج الكبرى أربعة وذكر مقالتهم في ما يتعلق بموقفهم من المسلمين ومن قضية التكفير.

٢- التفريق بين هذه الفرق الكبرى وفرزها من حيث الاعتقاد.

٣- اعتباره أن الإباضية هم أقرب إلى أهل السنة بناء على قولهم في مخالفهم.

يلاحظ من خلال رصد ما كتبه ابن خلدون عن الخوارج رغم وفرته من حيث الكم، أنه يتناوله من جانب تاريخي، ولا يهتم كثيراً بذكر عقائدهم وهو قليل التدخل فيما يتعلق بالحكم عليهم من حيث صحة المذهب أو فساده، فتناوله لهم من الناحية العقدية على قلته يكتفي فيه عادة بالعرض كما رأينا في تفصيله لفرق الخوارج، وكان نادراً ما يعطي حكماً حول قضية تتعلق بمعتقدهم وموقفه منه، وإذا حصل فبطريقة غير جازمة أو صارمة إن صحت العبارة.

ولا تجد له ما يمكن أن يعتبر حكماً أو نقداً لمسألة عقدية إلا في ثلاث حالات:

الأولى: اعتباره الإباضية: هم أقرب إلى مذهب أهل السنة "وقول هؤلاء هم

(١) هكذا ضبطه في النسخ التي وقفت عليها ولعله يقصد "القعدة" الذين لا يرون القتال وهو مصطلح

شائع في التفريق بين فئات الخوارج.

(٢) المرجع السابق: ٢/١٠٩٠.

أقرب إلى السنة"^(١).

وكما ترى لم يذكر أو يفصل في أدلة القول الذي ذهب إليه من أن الإباضية هم الأقرب إلى السنة.

ثانياً: وصفه ما دون في كتبهم من فقه بأنه مباين لأهل السنة وأن أصولهم فاسدة" وتطير إلينا هذا العهد من تلك البلاد دواوين ومجلدات من كلامهم في فقه الدين، وتمهيد عقائده وفروعه مباينة لمناحي السنة وطرقها بالكلية، إلا إنها ضاربة بسهم في إجادة التأليف والترتيب وبناء الفروع على أصولهم الفاسدة"^(٢).

وهو أيضاً في النص السابق لم يذكر أو يبين كيف وصل إلى هذه النتيجة

ثالثاً: حكمه على من قال بعدم وجوب منصب الإمام لا بالعقل وبالشرع بأن قولهم شذوذاً، وأن من القائلين به بعض الخوارج " وقد شذ بعض الناس فقال: بعدم وجوب هذا المنصب رأساً لا بالعقل ولا بالشرع، منهم الأصم من المعتزلة وبعض الخوارج"^(٣)

وكما يلاحظ فإن النص لم يتضمن أي تفاصيل عن من يكون هؤلاء الخوارج، لكنه اعتذر لهم بأن ما حمله على هذا المذهب، إنما هو الفرار عن الملك ومذاهبه من الاستطالة والتغلب والاستمتاع بالدنيا، لما رأوا الشريعة ممتلئة بدم ذلك"^(٤).

وملخص هذا المبحث أن تناول ابن خلدون للخوارج في معظمه كان عرضاً تاريخياً ولم يتطرق إلى القضايا العقدية إلا قليلاً، ومن أهم ما يمكن استخلاصه من هذا المبحث:

(١) انظر: تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون ٢/ ١٠٩٠ .

(٢) انظر: تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون ٢/ ١١١١ .

(٣) المرجع السابق ١/ ١٤٥ .

(٤) انظر: تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون ١/ ١٤٥ .

١- الخوارج كانت بدايتهم بعد حادثة التحكيم.

٢- فرق الخوارج الكبرى أربعة: الأزارقة، النجدية، الصفرية، الإباضية وبقية الفرق متفرعة عنها، وأن أقرب فرقة منهم إلى أهل السنة والجماعة هم الإباضية.

٣- عقائدهم وفروع مذهبهم مباينة لمناحي السنة وطرقها بالكلية هذا على العموم.



المبحث الثاني دراسته لفرقة الشيعة

❖ أولاً: التعريف بالشيعة:

أ - الشيعة لغةً: ترد بمعاني منها الظهور والتفرق والشيعة الذي يتبع بعضهم بعضاً أو الفرق كل فرقة منهم يتبع بعضهم بعضاً. (١)

قال ابن خلدون: الشيعة لغة هم الصحب والأتباع (٢)

ب- اصطلاحاً:

الذين شايعوا علياً على وجه الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصية، إما جلياً وإما خفياً، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج عن واحد من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره أو بتقية من عنده، ويجمع فرق الشيعة قولهم بوجوب التعيين وثبوت عصمة الأنبياء. (٣)

يقول ابن خلدون: ويطلق في عرف الفقهاء والمتكلمين من الخلف والسلف، على أتباع علي وبنيه رضي الله عنهم، ومذهبهم جميعاً متفقون عليه أن الإمامة ليست من المصالح العامة التي تفوض إلى نظر الأمة ويتعين القائم بها بتعيينهم، بل هي ركن الدين وقاعدة الإسلام ولا يجوز لنبي إغفاله ولا تفويضه إلى الأمة (٤)

(١) تهذيب اللغة ٤٠/٣

(٢) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون ١٤٨/١

(٣) انظر: مقالات الإسلاميين ٦٦/١، الملل والنحل: ١٦٩/١

(٤) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون ١٤٨/١

❖ ثانياً: نشأة الشيعة ومراحلهم:

أ - بداية الشيعة.

يعتبر الشيعة وخاصة الإمامية وهم من ينصرف إليهم النظر عند ذكر "الشيعة" من أهم الفرق في تاريخ الإسلام وأكثرها عدداً، أضف إلى ذلك اهتمام أصحاب هذه النحلة بنشر مذهبهم حتى أصبح ذلك ظاهرة مقلقة لكل مهتم بصفاء الإسلام ونقاء صورته، والتي يمثلها أهل السنة والجماعة المتمسكين بمنهج السلف الصالح رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وتعتبر الإمامة أحد أركان هذه النحلة، وركنا من أركان الإيمان، وأهم المطالب في أحكام الدين^(١)، في ما يعتبرها أبو الحسن الأشعري السبب في أول خلاف حصل بين المسلمين حيث يقول: "وأول ما حدث من الاختلاف بين المسلمين بعد نبينهم ﷺ اختلافهم في الإمامة، وذلك أن رسول الله ﷺ لما قبضه الله ﷻ، ونقل إلى جنته ودار كرامته واجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة بمدينة الرسول ﷺ، وأرادوا عقد الإمامة لسعد بن عباد^(٢)، وبلغ ذلك أبابكر وعمر رضوان الله عليهما - فقصدنا نحو مجتمع من الأنصار في رجال من المهاجرين، فأعلمهم أبوبكر أن الإمامة لا تكون إلا في قريش، واحتج عليهم بقول النبي ﷺ "الإمامة في قريش"^(٣) فأذعنوا لذلك منقادين،

(١) انظر: منهاج السنة: ابن تيمية ١ / ٧٤.

(٢) سعد بن عباد بن دليم بن حارثة، الأنصاري سيد الخزرج يكنى أبا ثابت وأبا قيس، شهد سعد العقبة وكان أحد النقباء واختلف في شهوده بدر، قال بن سعد وكان يكتب بالعربية ويحسن العوم والرمي فكان يقال له الكامل، وكانت جفنة سعد تدور مع النبي ﷺ في بيوت أزواجه، وقصته في تخلفه عن بيعة أبي بكر مشهورة وخرج إلى الشام فمات بحوران سنة ١٥ هـ وقيل سنة ١٦ هـ.

انظر: الإصابة: ٣ / ٦٥، الاستيعاب: ٢ / ٥٩٦، سير أعلام النبلاء: ٣ / ٨٥.

(٣) (الإمامة في قريش) لم أجد هذا اللفظ.

ولكن عند أحمد وغيره من حديث أنس بن مالك أحدثك حديثاً ما أحدثه كل أحد إن رسول الله ﷺ قام على باب البيت ونحن فيه فقال الأئمة من قريش إن لهم عليكم حقاً ولكم عليهم حقاً مثل ذلك ما إن استرحوا فرحموا وإن عاهدوا وفوا وإن حكموا عدلوا فمن لم يفعل ذلك منهم فعليه لعنة الله والملائكة

ورجعوا إلى الحق طائعين" (١).

أما بداية نشوء الظاهرة الشيعية فهذا محل خلاف بين مؤرخي الفرق والمقالات. فابن جرير الطبري يورد مقالة لابن سبأ هي البذرة الأولى للتشيع، وهو قوله بالوصية لعلي ابن أبي طالب وبالرجعة (٢) وكان هذا في أحداث السنة الخامسة والثلاثين، وقبل ذلك يورد نصا في أحداث السنة الثلاثين للهجرة يذكر فيها هذه الشخصية التي لعبت دورا محوريا في نشأة التشيع وهو ابن السوداء (عبدالله بن سبأ) وتحريضه لأبي ذر (٣) ضد ولاية عثمان وفي مقدمتهم معاوية في الشام (٤).

= والناس أجمعين".

مسند أحمد ط ٢ الرسالة (١٩ / ٣١٨ / ١٢٣٠٧) حديث رقم (١٢٣٠٧).

النسائي في السنن الكبرى باب الأئمة من قريش (٣ / ٤٦٧ / ٥٩٤٢) حديث رقم (٥٩٤٢).

والحاكم من حديث علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

في المستدرک علی الصحیحین للحاکم (٤ / ٨٥ / ٦٩٦٢) لأبي عبدالله الحاكم محمد بن عبدالله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤١١هـ، ١٩٩٠م.

(١) مقالات الإسلاميين: أبو الحسن الأشعري ٣٩ / ١.

(٢) انظر: تاريخ الأمم والملوك: الطبري ٦٤٧ / ٢.

(٣) الزاهد المشهور الصادق اللهجة مختلف في اسمه واسم أبيه والمشهور أنه جندب بن جنادة بن سكن، وقد روى عنه أنه قال أنا رابع الإسلام وقيل خامس ثم رجع إلى بلاد قومه بعدما أسلم فأقام بها حتى مضت بدر وأحد والخندق ثم قدم على النبي المدينة فصحبه إلى أن مات وخرج بعد وفاة أبي بكر، رضى الله عنه إلى الشام فلم يزل بها حتى ولى عثمان رضى الله عنه ثم استقدمه عثمان لشكوى معاوية به وأسكنه الربذة فمات بها سنة ٣٢هـ. وهو أول من حيا رسول الله ﷺ بتحية الإسلام.

انظر: الإصابة: ١٢٥ / ٧، الاستيعاب: ٢٥٢ / ١، الأعلام للزركلي: ١٤٠ / ٢.

(٤) المرجع السابق ص ٦١٥.

أما ابن النديم^(١) فيميل إلى أن التشيع ظهر حين خالف طلحة^(٢) والزبير^(٣) عليا بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وأبيا إلا الطلب بدم عثمان بن عفان وقصدهما علي ليقاتلهما حتى يفيئا إلى أمر الله وتسمى من اتبعه بعد ذلك بالشيعة^(٤) ويميل أحمد أمين^(٥) إلى أن البذرة الأولى من التشيع بدأت بعد وفاة النبي ﷺ، وهذا قريب من رأي ابن خلدون كما سيأتي لاحقا إن شاء الله يقول أحمد أمين " كانت البذرة الأولى للشيعة الجماعة الذين رأوا بعد وفاة النبي ﷺ أن أهل بيته أولى الناس أن يخلفوه، وأولى أهل البيت العباس عم النبي ﷺ وعلي ابن عمه، وعلي أولى من العباس

(١) محمد بن إسحاق بن محمد بن إسحاق، أبو الفرج بن أبي يعقوب النديم: صاحب كتاب (الفهرست) من أقدم كتب التراجم ومن أفضلها. وهو بغدادى، يظن أنه كان وراقا يبيع الكتب. وكان معتزليا متشيعا، يسمي الأشاعرة (المجبرة) ويسمي كل من لم يكن شيعيا (عاميا)، مات سنة ٤٣٨ هـ.

انظر: الأعلام للزركلي: ٢٩/٦، لسان الميزان: ٧٢/٥ الطبعة الهندية .

(٢) طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو التيمي، القرشي، المكي، أبو محمد، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، له عدة أحاديث عن النبي ﷺ-، ودافع عنه يوم أحد فشلت يده، وقال عنه ﷺ يومئذ: "أوجب طلحة" وقال له أيضا: "أنت طلحة الفياض" توفي سنة ٣٦ هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء: ٢٣/١، الأعلام للزركلي: ٢٢٩/٣ .

(٣) الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزي بن قصي بن كلاب القرشي الأسدي أبو عبد الله حوارى رسول الله ﷺ وابن عمته أمه صفية بنت عبد المطلب وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأحد الستة أصحاب الشورى، قتله بن جرmoz سنة ٣٦ هـ.

انظر: الإصابة: ٥٥٣/٢، سير أعلام النبلاء: ٤١/١، أسد الغابة: ٣٧٧/١، الاستيعاب: ١٥١/١ .

(٤) انظر: الفهرست: ابن النديم: تحقيق: إبراهيم رمضان/١، ط الثانية، ١٩٩٧ م، دار المعرفة، بيروت، لبنان .

(٥) أحمد أمين بن الشيخ إبراهيم الطباخ ولد بالقاهرة عام: ١٨٧٨ م: اشتهر بأنه كان غزير الإطلاع والمعرفة، تولى القضاء في بعض المحاكم الشرعية كان من أعضاء مجمع اللغة العربية في القاهرة ودمشق وبغداد، وهو من أكثر الكتاب المصريين تصنيفا واطلاعا ومن مؤلفاته: فجر الإسلام، ضحى الإسلام، ظهر الإسلام، يوم الإسلام، فيض الخاطر توفي في القاهرة: ١٩٥٤ .

لما بينا من قبل، والعباس نفسه لم ينازع علياً في أولويته للخلافة"^(١)
 أما علي سامي النشار^(٢) فبعد أن استعرض مجمل الآراء والأقوال في نشأة التشيع
 يقول: "من هذا يتضح لنا أن اسم الشيعة كمصطلح ظهر بعد استشهاد الحسين وأن
 الكلمة كانت تطلق في أول الأمر على أية مجموعة تلتف حول صحابي من
 الصحابة"^(٣).

ويوفق الدكتور: ناصر القفاري^(٤) بين هذه الآراء ويرجح أن التشيع لم يولد
 فجأة وإنما ظهوره كان بالتدريج، وتكون عبر مراحل زمنية مختلفة، وإن كان يرجح أن
 طلائع العقيدة الشيعية ظهرت على يد عبدالله بن سبأ، معتمداً في ذلك الاستنتاج على
 كتب الشيعة أنفسهم^(٥).

ب- مراحل التشيع.

لم يكن ظهور الشيعة وتبلورها في صورتها المعروفة في فترة واحدة بل مر
 بمراحل.

ويؤيد الأستاذ: ربيع المسعودي^(٦) فكرة المرحلية والتطور التدريجي في موضوع

انظر: الأعلام للزركلي ١/ ١٠١.

- (١) فجر الإسلام: أحمد أمين، ص ٢٨٨، ط العاشرة، ١٩٦٩م، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
- (٢) النشار (١٣٣٥-١٤٠٠هـ) علي سامي النشار يطلق عليه لقب رائد الفلسفة الإسلامية ورئيس
 الأشاعرة في عصره من أشهر مؤلفاته: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام.
- (٣) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: علي سامي النشار ٢/ ٣٥، ط الثامنة، دار المعارف، القاهرة.
- (٤) الدكتور: ناصر بن عبدالله القفاري أستاذ الدراسات العليا بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة له اهتمام
 واسع بالشيعة لديه العديد من الانتاج العلمي من أشهره: أصول مذهب الشيعة - رسالة دكتوراة.
- (٥) انظر: أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية: عرض ونقد، ص ٦٩، دار الخلفاء الراشدين، ط
 الأولى، ١٤٣٣-٢٠١٢م، الاسكندرية.
- (٦) كاتب معاصر له كتاب: الشيعة الإمامية الإثني عشرية في ميزان الإسلام.

نشأة الشيعة ويرتب هذه المراحل على النحو التالي:

أولاً: الشيعة الأولى:

وهم عبارة عن الذين كانوا في وقت خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وقد عرفوا حقه، وجاهدوا معه، وقد استشهد معه ثلاثمائة في صفين، وحتى من تقاعد عن القتال معه تورعا واحتياطا: كان قائما بطاعته ومحبته وقدم عبدالله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كنموذج عن هؤلاء.

ثانياً: المفضلة.

وهم الذين يفضلون علياً رَضِيَ اللهُ عَنْهُ على سائر الصحابة، من غير إكفار واحد منهم ولا سب ولا بغض، وأعطى نماذج عن المرحلة أو الطائفة من أمثال أبي الأسود الدؤلي^(١)، وعبدالرزاق^(٢) صاحب المصنف.

ثالثاً: السبئية.

وهم الذين يسبون الصحابة إلا قليلاً منهم وقد ظهرت هذه الفرقة على يد عبدالله بن سبأ.

(١) ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل الدؤلي الكناني: واضع علم النحو. كان معدوداً من الفقهاء والأعيان والأمراء والشعراء والفرسان والحاضري الجواب، من التابعين. رسم له علي بن أبي طالب شيئاً من أصول النحو، فكتب فيه أبو الأسود. وأخذ عنه جماعة. سكن البصرة في خلافة عمر، وولي إمارتها في أيام علي، وهو - في أكثر الأقوال - أول من نقط المصحف، توفي سنة ٦٩ هـ.

انظر: الأعلام للزركلي: ٣/٢٣٦، سير أعلام النبلاء: ٤/٨١، وفيات الأعيان: ١/٢٤٠.

(٢) عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري، مولا هم، أبو بكر الصنعاني، الشيعي، من حفاظ الحديث الثقات، من أهل صنعاء، كان يحفظ نحواً من سبعة عشر ألف حديث، قال الذهبي: "وهو خزانة علم" له (الجامع الكبير) في الحديث، و(المصنف في الحديث) توفي سنة ٢١١ هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء: ٩/٥٦٣، وفيات الأعيان: ١/٣٠٣، ميزان الاعتدال: ٢/١٢٦.

رابعاً: غلاة الشيعة.

وهم عبارة عن القائلين بألوهية علي رضى الله عنه.

خامساً: الشيعة الإمامية الإثني عشرية.

وهذه أهم مرحلة في تاريخ التشيع والشيعة وهم القائلون بإمامة علي الرضا^(١) بعد أبيه موسى الكاظم^(٢) ثم إمامة ابنه محمد النقي المعروف بالجواد^(٣)، ثم إمامة ابنه العسكري^(٤)، ثم إمامة ابنه محمد المهدي^(٥) معتقدين أنه المهدي المنتظر^(٦).

(١) (١٥٣-٢٠٣هـ) الإمام علي بن موسى الرضا الإمام الثامن من أئمة الشيعة الإمامية كنيته أبو الحسن، ولقبه الرضا ولد في المدينة، ودفن في خراسان.، ولقب بغريب الغرباء كونه دفن في بلاد فارس بعيداً عن أرض أباؤه العرب. عهد إليه المأمون بالخلافة إلا أنه توفي قبل تحقيق ذلك .

انظر: وفيات الأعيان: ٣/ ٢٦٩، الأعلام: ٥/ ٢٦.

(٢) موسى الكاظم: (١٢٨-١٨٣هـ)

موسى الكاظم، أبو الحسن العلوي، الإمام، القدوة، السيد، أبو الحسن العلوي، الباقر، سابع الأئمة الاثني عشر، عند الإمامية. والدة الإمام علي بن موسى الرضا، ذكره: أبو حاتم، فقال: ثقة، صدوق، إمام من أئمة المسلمين، له (مسند) مطبوع، توفي سنة: ١٨٣هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء ٦/ ٢٧٠، الأعلام ٧/ ٣٢١.

(٣) محمد النقي الجواد (١٩٥-٢٢٠هـ) أبو جعفر محمد بن علي الجواد وهو التاسع من اثني عشر إماماً من أئمة الشيعة الإثني عشرية، وهو الحادي عشر من المعصومين الأربعة عشر، وقد عاصر اثنين من الخلفاء العباسيين هما المأمون، والمعتصم، وتوفي في خلافة الأخير. كما عاصر الفرقة الواقفية التي تعتقد بتوقف الإمامة عند جده موسى الكاظم، ولا تعتقد بإمامة من بعده، استقدمه المأمون من المدينة وزوجه ابنته أم الفضل.

انظر: الأعلام ٦/ ٢٧١.

(٤) علي (الملقب بالهادي) بن محمد الجواد بن علي الرضي بن موسى بن جعفر الحسيني الطالبي: أحد الأئمة الاثني عشر عند الإمامية، وأحد الأتقياء الصالحاء ولد بالمدينة، واستقدمه المتوكل إلى سامراء وتوفي بها، ودفن في بيته سنة ٢٥٤هـ

ويقول الأستاذ: ربيع المسعودي: "من هذا التبع نرى أن الشيعة الإمامية الإثني عشرية ولدت في أحضان الغلو المفرط، وأن هذه مع باقي فرق الشيعة، نسجت خيوط التشيع، وكانت إحدى أرجل الأخطبوط الذي أراد تطويق عقيدة الإسلام الصحيحة"^(١).

❖ ثالثاً: فرق الشيعة:

توطئة:

لا يوجد رقم محدد أو معين لعدد فرق الشيعة أو حتى تصنيفها، فبينما نجد أبو الحسن الأشعري يوصل الرقم إلى خمسة وأربعين فرقة، وبعض هذه الفرق تحتها أقسام أخرى، ويجعلها في المجمل تحت أصناف كبرى وهي:

الغالية: وعددها خمس عشرة فرقة

الرافضة: ٢٤ فرقة

= انظر: وفيات الأعيان ٣/٢٧٣، الأعلام ٤/٣٢٣.

(١) محمد بن الحسن العسكري (الخالص) بن علي الهادي، أبو القاسم: آخر الأئمة الاثني عشر عند الإمامية. وهو المعروف عندهم بالمهدي، وصاحب السرداب. الذي دخل فيه سنة ٢٥٦هـ. كما يزعمون قال ابن خلكان: والشيعة ينتظرون ظهوره في آخر الزمان من السرداب بسر من رأى. فيما يشكك الكثير من المؤرخين والعلماء في هذه الرواية وشيخ الإسلام في منهاج السنة ينفي أن يكون للحسن العسكري نسل.

انظر: وفيات الأعيان ٤/١٧٦، الأعلام ٦/٨٠.

(٢) انظر: الشيعة الإمامية الإثني عشرية في ميزان الإسلام: ربيع بن محمد المسعودي، ص ١١، ط الثانية، ١٤١٤هـ، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، مكتبة العلم بجدة.

(٣) المرجع السابق ص ١١.

الزيدية: ست فرق^(١)

نجد في المقابل البغدادي صاحب "الفرق بين الفرق" لا تزيد عنده فرق الشيعة عن عشرين فرقة واضعا إياها تحت تصنيف آخر

الزيدية: ثلاث فرق.

الكيسانية: فرقتان.

الإمامية: خمس عشرة فرقة^(٢).

وجعلها الشهرستاني: خمس فرق كبرى^(٣).

١ - الكيسانية.

٢ - الزيدية.

٣ - إمامية.

٤ - غلاة.

٥ - إسماعيلية.

ويحصر الدكتور: ناصر القفاري فرق الشيعة في العصر الحالي بثلاث فرق:^(٤)

١ - الاثنا عشرية.

٢ - الزيدية.

٣ - الإسماعيلية.

(١) مقالات الإسلاميين: أبو الحسن الأشعري ١/٦٦ .

(٢) الفرق بين الفرق: البغدادي ص ٤١ .

(٣) الملل والنحل: الشهرستاني ١/١٧٠ .

(٤) انظر: أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية: ص ٨٥ .

والدراسة التطبيقية ستتناول الإمامية والزيدية والباقي سيأتي إن شاء الله في المبحث المخصص لفرق الباطنية والتي في معظمها تندرج تحت مذهب الشيعة^(١) إلا البابكية^(٢).

أ - الإمامية (الإثني عشرية):

وهي أكبر فرق الشيعة دون منازع وانصهر فيها الكثير من الفرق الشيعية، والتي انقرض معظمها وإن بقيت أقوالها موجودة ضمن الإثني عشرية الآن^(٣) واشتهروا أيضا بالرافضة والجعفرية

يقول أبو الحسن الأشعري في تعريف هذه الفرقة "وهم يجمعون على أن النبي ﷺ نص على استخلاف علي بن أبي طالب باسمه، وأظهر ذلك وأعلنه، وأن أكثر الصحابة ضلوا بتركهم الاقتداء به بعد وفاة النبي ﷺ وأن الإمامة لا تكون إلا بنص وتوقيف، وأنها قرابة، وأنه جائز للإمام في حال التقية أن يقول إنه ليس بإمام، وأبطلوا جميعا الاجتهاد في الأحكام"^(٤).

أما الشهرستاني فعرف الإمامية فقال "هم القائلون بإمامة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد النبي ﷺ؛ نصا ظاهرا، وتعيينا صادقا، من غير تعريض بالوصف بل إشارة إليه بالعين، قالوا: وما كان في الدين والإسلام أمر أهم من تعيين الإمام، حتى تكون مفارقتة الدنيا على فراغ قلب من أمر الأمة، فإنه إنما بعث لرفع الخلاف وتقرير الوفاق، فلا يجوز أن يفارق الأمة ويتركهم هملا يرى كل واحد منهم رأيا، ويسلك كل واحد منهم طريقا لا يوافق في ذلك غيره، بل يجب أن يعين شخصا هو المرجوع إليه، وينص

(١) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون ١/١٥٢.

(٢) انظر: مذاهب الإسلاميين: عبدالرحمن بدوي ٢/٧٥٦، ط ١٩٩٧م، دار العلم للملايين، بيروت.

(٣) انظر: أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية ص ٨٧.

(٤) مقالات الإسلاميين: أبو الحسن الأشعري ١/٨٩.

على واحد هو الموثوق به والمعول عليه، وقد عين علياً رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في مواضع تعريضا، وفي مواضع تصریحا^(١).

وتدور معظم تعاليم الشيعة الإمامية وعقائدها حول الإمامة وما يتصل بها من قضايا كعصمة الأئمة، ورجعتهم بعد الغيبة، واستخدام التقية، وقد أدى سعيهم لتثبيت هذه المعتقدات الفاسدة، إلى الطعن في القرآن، والشك في السنة، والطعن في الصحابة وتجريحهم، من أجل لي النصوص وإثبات أن علياً تم تعيينه بالنص من الرسول ﷺ وأنه والأئمة بحسب ما يعتقدون لهم صفات اختصاصا بها دون غيرهم من المسلمين^(٢).

ويجمل الدكتور: صابر عبده أبازيد^(٣) عقائد الإثني عشرية بما يلي:

أولاً: الإمامة وهي أصل من أصول الدين، فهم يزيدون على أركان الإسلام الخمسة ركناً آخر، وهو الاعتقاد بالإمامة بل وعصمته.

ثانياً: الاعتقاد بالمهدي المنتظر وهو الإمام الثاني عشر محمد القائم بالحجة.

ثالثاً: التقية وهي أن يخفي الشخص ما يعتقد توكياً للأذى.

رابعاً: يقولون بالاجتهاد المطلق، ولا يأخذون بالقياس، ولا بالأحاديث التي عند أهل السنة^(٤).

(١) الملل والنحل: الشهرستاني ١/ ١٨٩.

(٢) انظر: دراسات عن الفرق وتاريخ المسلمين "خوارج وشيعة" ص ١٨٢.

(٣) صابر عبده أبازيد: نال الدكتوراه في الآداب تخصص الفلسفة الإسلامية والتصوف، حاصل على درجة الأستاذية في الفلسفة الإسلامية والتصوف فرق ومذاهب، ترأس قسم الفلسفة الإسلامية بكلية الآداب بقنا، له: مناهج أهل السنة في الرد على الشيعة والقدرية: عرض تحليلي نقدي، مآثر علماء العرب والمسلمين في تاريخ العلوم والمناهج، شخصيات وقضايا فلسفية وكلامية: نماذج من السنة والشيعة، وغيرها.

(٤) انظر: مناهج أهل السنة في الرد على الشيعة القدرية: د. صابر عبده أبازيد، ص ٤٣.

ب- الزيدية:

أكثر فرق الشيعة اعتدالا وأقربها لمذهب أهل السنة والجماعة
وسموا زيدية لأنهم لتمسكهم بقول "زيد^(١) بن علي بن الحسين بن علي بن أبي
طالب".

وكان زيد بن علي بويح بالكوفة في أيام هشام بن عبد الملك^(٢) وكان زيد يفضل
علي بن أبي طالب على سائر أصحاب رسول ﷺ ويتولى أبابكر وعمر، ويرى الخروج
على أئمة الجور، فلما ظهر في الكوفة في أصحابه الذين بايعوه سمع من بعضهم الطعن
على أبي بكر وعمر، فأنكر ذلك على من سمعه منه، فتفرق عنه الذين بايعوه، فقال لهم
"رفضتموني" فيقال: إنهم سموا الرافضة لقول زيد لهم "رفضتموني"^(٣).

وعرف الشهرستاني الزيدية بأنهم "أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي
طالب رضى الله عنهم، ساقوا الإمامة في أولاد فاطمة، ولم يجوزوا ثبوت الإمامة في
غيرهم، إلا أنهم جوزوا أن يكون كل فاطمي عالم شجاع سخي خرج بالإمامة، أن
يكون إماما واجب الطاعة، سواء

(١) زيد بن علي: (٧٩ - ١٢٢هـ) زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ويقال له (زيد الشهيد) عده
الجاحظ من خطباء بني هاشم. وقال أبو حنيفة: ما رأيت في زمانه أفقه منه ولا أسرع جوابا ولا أبين
قولا. وأشخص إلى الشام، فضيق عليه هشام بن عبد الملك، وحبس خمسة أشهر. وعاد إلى العراق ثم إلى
المدينة، فلحق به بعض أهل الكوفة يجرضونه على قتال الأمويين، ورجعوا به إلى الكوفة سنة ١٢٠هـ،
قاتله الحكم بن الصلت وهو في الكوفة، ونشبت معارك انتهت بمقتل زيد.

انظر: تاريخ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري ١١ / ٦٤٤، والأعلام: ٣ / ٥٩.

(٢) هشام بن عبد الملك بن مروان: من ملوك الدولة الأموية في الشام، تولى الخلافة بعد أخيه
يزيد، وفي خلافته خرج زيد بن علي بن الحسين في أهل الكوفة ووجه إليه من قتله وفرق جمعه.

انظر: سير أعلام النبلاء ٥ / ٣٥١، الأعلام ٨ / ٨٦.

(٣) انظر: مقالات الإسلاميين: أبو الحسن الأشعري ١ / ١٣٧.

كان من أولاد الحسن، أو من أولاد الحسين.

وجوزوا خروج إمامين في قطرين يستجمعان هذه الخصال، ويكون كل واحد منهما واجب الطاعة"^(١).

وانقسمت الزيدية إلى ثلاث فرق هي باختصار:

١-الجارودية: هم أتباع أبي جارود بن المنذر العبدي^(٢)، وقد قالوا بأن النبي ﷺ نص على إمامة علي على الوصف دون الاسم، وأن الصحابة كفروا بتركهم لبيعة علي، وهم بهذا يفارقون بقية فرق الزيدية وقالوا إن الحسن بن علي كان هو الإمام بعد علي، ثم الحسن نص على إمامة أخيه الحسين، ثم الإمامة شورى في أولاد الحسن والحسين، فمن خرج منهم شاهرا سيفه داعيا إلى دينه، وكان عالما عارفا فهو الإمام والحاصل من هذه الأقوال، أن الجارودية هم غلاة الزيدية وهم قرييون من الإمامية لقولهم بنص النبي ﷺ على إمامة علي وإن كانوا يختلفون في أن ذلك بالوصف لا بالاسم كما ذكرت الإمامية^(٣).

٢-السليمانية: أصحاب سليمان بن جرير الزيدي^(٤)، الذي قال إن الإمامة

(١) الملل والنحل: الشهرستاني ١/ ١٨٠ .

(٢) أبو الجارود: (..-١٥٠هـ) زياد بن المنذر الهمداني أبو الجارود رأس فرقة الجارودية من الزيدية وهو من غلاتهم، اختلف أتباعه بعده له مصنفات منها "التفسير".

انظر: الملل والنحل: ١/ ١٨٣، الأعلام: ٣/ ٥٥.

(٣) انظر: الفرق الكلامية الإسلامية: مدخل ودراسة، د.علي عبدالفتاح المغربي، ص ١٦٣، ط الثانية، ١٩٩٥م، مكتبة وهبة، القاهرة .

(٤) سليمان بن جرير الزيدي إليه تنسب فرقة السليمانية من الزيدية جوز إمامة المفضول، وزعم أن الأمة تركت الأصلاح في استخلافها لأبي بكر وعمر قبل علي، وكفر عثمان، عاش في القرن الثاني الهجري، وظهر بالتحديد في أيام أبي جعفر المنصور:

انظر: الفرق بين الفرق: ص ٤٢، الملل والنحل: ١/ ١٨٦، لسان الميزان: ٣/ ٨٣.

شورى، وأنها تنعقد بعقد رجلين من خيار الأمة، وأجاز إمامة المفضول، وأثبت إمامة أبي بكر وعمر، وقالت إن الأمة تركت الأصلح في البيعة لها، لأن عليا كان أولى بالإمامة، إلا أن الخطأ في بيعتهما لا يوجب كفرا أو فسقا، لكن ابن جرير، كفر عثمان بما حصل له في أيامه من الفتنة وحملوه ما حصل من النعمة عليها، وكذا كفرت هذه الفرقة عائشة والزبير وطلحة لقتالهم عليا^(١).

٣- البترية: وهؤلاء أتباع رجلين أحدهما الحسن بن صالح بن حي^(٢) والآخر كثير النواء الملقب بالأبتر^(٣)، وهم يوافقون السليمانية، إلا أنهم يتوقفون في أمر عثمان، ولم يقدموا على مدحه ولا على ذمه.

والصلة قوية بين آراء الزيدية والمعتزلة، ولم يخالفوهم إلا في أصل المنزلة بين المنزلتين^(٤)

وقد انقرضت هذه الفرق المتطرفة من الزيدية أو ذابت في فرق الشيعة الأخرى، وما بقي من الزيود الآن، فهم متمسكون بعقائد وآراء تلتقي في جملتها مع آراء المعتزلة

(١) انظر: الفرق الكلامية ص ١٦٥ .

وأیضا: الفرق بين الفرق: ص ٤٢

وأیضا: الملل والنحل: الشهرستاني ١/ ١٨٦ .

(٢) ابن حي (١٠٠ - ١٦٨هـ) الحسن بن صالح بن حي الهمداني الثوري الكوفي زعيم فرقة البترية من الزيدية، كان فقيها مجتهدا متكلمًا له كتب منها "التوحيد" و"الجامع"

انظر: الفرق بين الفرق: ص ٤٣، لسان الميزان: ٧/ ١٩٦، الأعلام: ٢/ ١٩٣ .

(٣) كثير النواء توفي في حدود ١٦٩هـ

نسب إليه الشهرستاني فرقة البترية من الزيدية، وأن مقالته لا تختلف عن ماذهب إليه الحسن بن صالح بن حي الذي سمى فرقته الصالحية .

انظر: مقالات الإسلاميين: ١/ ١٤٤، الفرق بين الفرق: ص ٤٤، الملل والنحل: ١/ ١٨٧

(٤) انظر: الفرق الكلامية الإسلامية: ص ١٦٣ .

وأصولهم كما يقول أحمد جلي^(١).

❖ رابعاً: ابن خلدون والشيعة "دراسة تطبيقية":

أ - تعريف ابن خلدون للشيعة والضروقات بينهم.

عرف ابن خلدون الشيعة بأنهم أتباع علي وبنيه ويقول: "اعلم أن الشيعة لغة: هم الصحب والأتباع، ويطلق في عرف الفقهاء والمتكلمين من الخلف والسلف على أتباع علي وبنيه رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، ومذهبهم جميعاً متفقون عليه أن الإمامة ليست من المصالح العامة التي تفوض إلى نظر الأمة ويتعين القائم بها بتعيينهم، بل هي ركن الدين وقاعدة الإسلام ولا يجوز لنبي إغفاله ولا تفويضه إلى الأمة"^(٢).

ثم يواصل ابن خلدون شرحه لأهمية الإمامة عند الشيعة وأنهم اشترطوا أن يكون معصوماً من الكبائر والصغائر^(٣)، مستعرضاً أدلتهم والنصوص التي استدلوها بها ومفندا لها وإن كان ذلك باختصار:

يقول: "وتنقسم هذه النصوص عندهم إلى جلي وخفي: فالجلي مثل قوله "من كنت مولاه فعلي مولاه"^(٤) قالوا: ولم تطرد هذه الولاية إلا في علي ولهذا قال له عمر:

(١) انظر: دراسات عن الفرق وتاريخ المسلمين "خوارج وشيعة": ص ٢٦٢.

(٢) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون ١/١٤٨.

(٣) المرجع السابق ص ١٤٨.

(٤) (من كنت مولاه فعلي مولاه) لم أجده بهذا اللفظ.

ولكن أخرجه أحمد من حديث بريدة، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: من كنت وليه فعلي وليه".

مسند أحمد: ٨ / ١٢٩١ حديث رقم: (٢٣٥٢٤) تحقيق: مكتب البحوث بجمعية المكنز، جمعية المكنز الإسلامي، ط الأولى، ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م.

والحاكم في المستدرک: وزاد فيه (ذهب الذي في نفسي عليه). وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه السياقة، إنما أخرجه البخاري من حديث علي بن سويد بن منجوف عن عبد الله

"أصبحت مولى كل مؤمن ومؤمنة" ومنها قوله "أقضاكم علي" (١)، ولا معنى للإمامة إلا القضاء بأحكام الله وهو المراد بأولي الأمر الواجبة طاعتهم بقوله تعالى ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩].

والمراد الحكم والقضاء، ولهذا كان حكما في قضية الإمامة يوم السقيفة دون غيره، ومنها قوله "من يبايعني على روحه وهو وصي وولي هذا الأمر من بعدي" فلم يبايعه إلا علي

ومن الخفي عندهم بعث النبي ﷺ عليا لقراءة سورة براءة في الموسم حين أنزلت (٢)، فإنه بعث بها أولا أبابكر ثم أوحى إليه ليلغه رجل منك أو من قومك،

= بن بريدة عن أبيه مختصرا وليس في هذا الباب أصح من حديث أبي عوانة هذا عن الأعمش عن سعد بن عبيدة".

المستدرک للحاکم في کتاب قسم الفيء ٢ / ١٢٩ حديث رقم: (٢٥٨٩)، دار المعرفة، بيروت، بإشراف: د. يوسف المرعشلي.

(١) (أقضاكم علي) هو من قول عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بحسب رواية الإمام أحمد - بلفظ - عن ابن عباس قال: قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علي أقضانا وأبي أقرؤنا وإنا لندع كثيرا من لحن أبي وأبي يقول سمعت من رسول الله ﷺ فلا أدعه لشيء والله تبارك وتعالى يقول { ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها } . مسند أحمد: ٣٥ / ١٠ حديث رقم: (٢١٠٨٤).

والمستدرک على الصحيحين للحاکم: ٣ / ٣٤٤.

(٢) (قراءة سورة براءة في الحج وبعث علي لذلك) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة، قال: بعثني أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في تلك الحجّة في المؤذنين، بعثهم يوم النحر يؤذنون بمنى، أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان، قال حميد: ثم «أردف النبي ﷺ بعلي بن أبي طالب فأمره أن يؤذن براءة»، قال أبو هريرة: فأذن معنا علي في أهل منى يوم النحر براءة، «وأن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان».

صحيح البخاري في كتاب التفسير باب قوله: { وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر (٦) / ٦٤ حديث رقم: (٤٦٥٦) .

=

فبعث عليا ليكون القارئ المبلغ، قالوا وهذا يدل على تقديم علي^(١).

ثم يواصل ابن خلدون استعراض أقوال الشيعة في مسألة الإمامة والخلاف الذي حصل بينهم في التعيين، فبينما يرى الإمامية أن النصوص تدل على تعيين علي وتشخيصه، يذهب الزيدية إلى أن التعيين بالوصف وليس بالشخص.

ثم ذكر الفروقات بين الفرقتين الشيعيتين فالإمامية يتبرؤون من الشيخين، فيما الزيدية لا يتبرؤون من الشيخين، ولا يغمصون في إمامتهما، ويجوزون إمامة المفضل مع وجود الفاضل.

ويواصل ابن خلدون ذكر الفروقات بين الإمامية والزيدية وهذه المرة فيما يتعلق بشروط الإمامة، فالشيعة الإمامية يسوقونها في ولد فاطمة بالنص عليهم واحدا بعد واحد، بينما الزيدية اكتفوا بشرط الفاطمية وفتحوا مجال الاختيار على أن يكون الإمام منهم عالما زاهدا، جوادا شجاعا داعيا إلى إمامته^(٢).

ثم عرج ابن خلدون على المناظرة التي جرت بين محمد الباقر^(٣) وأخيه زيد حول شرط الأخير في الإمام أن يكون دعيا إلى إمامته بمعنى الخروج طلبا للإمامة، محتجا

= النسائي: ٢٥ / ٢٠٩ حديث رقم: (٢٩٥٨)، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط الثانية، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

والترمذي في سننه، باب ما جاء في كراهية الطواف عريانا ٣ / ٢٢٢ حديث رقم: (٨٧١)، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(١) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون ١ / ١٤٨.

(٢) المرجع السابق ص ١٤٩.

(٣) محمد الباقر: (٥٧ - ١١٤هـ) محمد بن علي زين العابدين بن الحسين الطالب الهاشمي القرشي، أبو جعفر الباقر: خامس الأئمة الاثني عشر عند الإمامية. كان ناسكا عابدا، له في العلم وتفسير القرآن آراء وأقوال. ولد بالمدينة، وتوفي بالحميمة ودفن بالمدينة.

انظر: الأعلام: ٦ / ٢٧٠.

عليه بكون والدهما زين العابدين^(١) علي بن الحسين لم يخرج ملزماً إياه بناء على هذا الشرط أن لا يكون زين العابدين إماماً، وأنه ينعى عليه ميله لمذهب المعتزلة.^(٢)

ثم بدأ بتفصيل تسلسل الأئمة لدى الفرقتين، فالزيدية ساقوا الإمامة على مذهبهم فقالوا بإمامة علي، ثم ابنه الحسن، ثم أخيه الحسين، ثم ابنه زين العابدين، ثم ابنه زيد بن علي صاحب المذهب ثم ابنه يحيى^(٣) من بعده، ثم محمد بن عبدالله بن حسن بن حسن السبط المشهور بالنفس الزكية^(٤) واختلفوا بعد ذلك فيمن آلت إليه الإمامة.

(١) زين العابدين (٣٣-٩٢هـ) علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب حضر مصرع والده في كربلاء وقدم إلى دمشق ومسجده بها معروف .

كان كثير العبادة .

انظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: ٣ / ٤٢٨، الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط الثانية، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م .

مرآة الجنان وعبرة اليقظان ١ / ١٥١ أبو محمد عفيف الدين عبدالله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي (المتوفى: ٧٦٨هـ)، وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط الأولى، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م .

(٢) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون ١ / ١٤٩ .

(٣) (٩٨-١٢٥هـ) يحيى بن زيد بن علي بن الحسين أحد أئمة الزيدية ثار مع أبيه ضد الخلافة الأموية، تمكن من الفرار بعد صلب والده ثم دعا إلى نفسه سرا فطلبه أمير العراق يوسف بن عمر فقبض عليه نصر بن سيار ثم أمره الخليفة الأموي بأن يخلي سبيله، قتل في معركة ضد الدولة الأموية

انظر: وفيات الأعيان ٥ / ١٢٣، الأعلام ٨ / ١٤٦ .

(٤) (٩٣ - ١٤٥هـ) محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، أبو عبدالله، الملقب بالأرقط وبالمهدي وبالنفس الزكية: أحد الأمراء الأشراف من الطالبين. ولد ونشأ بالمدينة. وكان يقال له صريح قريش، لأن أمه وجداته لم يكن فيهن أم ولد. وسماه أهل بيته بالمهدي.

انظر: الأعلام للزركلي ٦ / ٢٢٠ .

وبعدها انتقل إلى تسلسل الإمامية فهم متفقون حتى زين العابدين علي بن الحسين، وبعده عند الشيعة الإمامية محمد الباقر، ثم ابنه جعفر الصادق ومن هنا يذكر ابن خلدون افتراقهم إلى فرقتين وميلاد الإسماعيلية ثم يمضي في تسلسل الأئمة عند الشيعة الإمامية فبعد جعفر الصادق^(١) يأتي موسى الكاظم إلى نهاية سلسلة الأئمة عند الإثني عشرية^(٢)

أما بقية الفصل فخصصه للشيعة الغالية وسيأتي في المبحث الذي يتناول فرق الباطنية إن شاء الله.

ب- ابن خلدون وبداية الشيعة ومراحلها.

يرى ابن خلدون أن بداية الشيعة يعود لأسباب تتعلق بالإمامة، ويذهب إلى أن هذا الخلاف بدأ عند اللحظة التي توفي فيها رسول الله ﷺ واعتبار أهل البيت أنهم أحق بالأمر ويقول: "اعلم أن مبدأ هذه الدولة أن أهل البيت لما توفي رسول الله ﷺ كانوا يرون أنهم أحق بالأمر، وأن الخلافة لرجالهم دون من سواهم من قريش"^(٣).

ولا ريب أن ابن خلدون يقصد بالتشيع الذي نشأ في تلك الفترة تفضيل علي على عثمان أو أحقية قرابة النبي ﷺ في الخلافة، ويدل على ذلك إيراده لأسماء بعض

(١) (٨٠-١٤٨هـ) جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ويكنى أبا عبدالله وقيل أبا إسماعيل وله القاب أشهرها الصادق وأمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق أم فروة أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر وثمانين يوم الاثنين لثلاث عشرة ليلة بقين من ربيع الأول وتوفي بالمدينة وقبره بالبقيع في قبة العباس.

السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين والمأمون علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، أبو الفرج، نور الدين ابن برهان الدين، ١/ ٣٦٢، ط الثانية ١٤٢٧هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

انظر: الأعلام: ١٢٦/٢

(٢) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون ١/ ١٥١.

(٣) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون ٢/ ١١١١.

الصحابة الذين ذكر أنهم كانوا يتشيعون لعلي ويرون استحقاقه لغيره بعد قصة الشورى وتأفهمهم من اختيار غيره، وذكر نماذج من هؤلاء الصحابة مثل الزبير وعمار بن ياسر والمقداد بن الأسود^(١) وغيرهم، إلا أن القوم وعلل عدم قيامهم بأي معارضة علنية برسوخ الدين في قلوبهم وحرصهم على الألفة^(٢)

أما التشيع الغالي واتخاذهم منحى عقائديا، والذي وصفه ابن خلدون بـ "المذاهب الفاسدة".

فبدايته كانت من عبدالله بن سبأ الذي كان يحرص الناس على عثمان ويطعن فيه، وأنه ولي بغير حق يقول ابن خلدون "ثم لما فشا التكبر على عثمان، والطعن في الآفاق، كان عبدالله بن سبأ ويعرف بابن السوداء، من أشد الناس خوضا في التشنيع لعلي، بما لا يرضاه من الطعن على عثمان وعلى الجماعة، في العدول إليه عن علي، وأنه ولي بغير حق، فأخرجه^(٣) من البصرة، ولحق بمصر فاجتمع إليه جماعة من أمثاله جنحوا إلى الغلو في ذلك، وانتحال المذاهب الفاسدة فيه"^(٤)

يمكن إجمال رأي ابن خلدون في بداية التشيع على ضربين:

(١) المقداد بن الأسود الكندي: (٣٧ ق هـ - ٣٣ هـ)، أسلم قديما وتزوج ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب وهاجر المهجرتين وشهد بدرا والمشاهد بعدها وكان فارسا يوم بدر حتى إنه لم يثبت أنه كان فيها على فرس غيره، سكن المدينة. وتوفي على مقربة منها، فحمل إليها ودفن فيها. له ٤٨ حديثا.

انظر: الإصابة: ٦ / ٢٠٢، الأعلام: ٧ / ٢٨٢.

(٢) انظر: المرجع السابق ص ١١١٢.

(٣) ابن عامر (٤ - ٥٩ هـ) عبدالله بن عامر بن كريز بن ربيعة الأموي

تولى البصرة في أيام عثمان، وشهد وقعة الجمل مع عائشة ولم يحضر وقعة صفين، ولاه معاوية البصرة ثلاث سنين بعد اجتماع الناس على خلافته مات في المدينة .

انظر: سير أعلام النبلاء ٣ / ١٨، الأعلام ٤ / ٩٤.

(٤) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون ٢ / ١١١٢ .

- ١- ما يتعلق بالإمامة هذه إرهابتها كما يعتقد، بدأت بعد وفاة النبي ﷺ مباشرة وهي تتركز في من تحق له الخلافة، وأن أهل البيت يرون أنفسهم أحق بالأمر
- ٢- الشيعة بمفهومها العقدي كانت بدايتها بتحريض من عبدالله بن سبأ ثم بعد ذلك بدأت بالتشكل تدريجياً.
- ج- خروج الحسين.

يعتبر ابن خلدون خروج الحسين بن علي بن أبي طالب غلطا دنيويا بناء على مذهبه في العصبية، وأن عصبية مضر كانت في قريش وعصبية قريش كانت في بني أمية، والذين يمثلهم يزيد بن معاوية، أما الناحية الشرعية فاعتبر ما فعله الحسين اجتهادا فهو أهل لذلك^(١)، وتعرض لموقف جمهور الصحابة الذين قعدوا عن نصرته وحذر من تأييدهم لمخالفتهم الحسين في أمر الخروج.

❖ خامساً : تحليل ومناقشة :

انصب جل اهتمام ابن خلدون في تناوله للشيعة على موضوع الإمامة، وجعله مدخلا للخوض في تفاصيل أقوالهم، وإن كان ذلك ليس بإسهاب.

بل يمكن القول إن حديث ابن خلدون المقتضب إلى حد كبير عن الشيعة، إنما يعود بالدرجة الأولى إلى مفهومه للدولة ومحورية العصبية، ولا أدل على هذا من ترتيب الفصول^(٢) التي قبل الفصل الذي تحدث فيه عن "مذاهب الشيعة في الإمامة". فكان ترتيب الفصول يأتي في هذا النسق.

فهو في الفصل الثالث والعشرين: يتحدث عن "حقيقة الملك وأصنافه" ثم يعقب ذلك مباشرة بفصل: يتناول فيه "الارهاف في الحد وأنه مضر بالملك ومفسد

(١) المرجع السابق ص ١٦٣ .

(٢) انظر: تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون/١-١٤١-١٤٦ .

له " ويخصص الفصل التالي إلى معنى "الخلافة والإمامة" ويعقبه بفصل يتحدث فيه عن "اختلاف الأمة في حكم هذا المنصب وشروطه" وتطرق فيه إلى حيوية هذا المنصب وشروط من يتولاه، فكان لزاما عليه أن يأتي بأهم طائفة تتكلم عن الموضوع وهم الشيعة بكافة فرقهم، وعنوان الفصل الذي عقده لهم غاية الوضوح في التأكيد على ما سبق فقد عنونه بـ "في مذاهب الشيعة في حكم الإمامة"

فابن خلدون أساسا كانت الإمامة مدخله لدراسة الشيعة، ولم يتجاوز مناقشة فكرة الإمامة والقائلين بها من فرق الشيعة، ولم يتطرق إلى بقية معتقدات الشيعة والتي لا علاقة لها بالإمامة، فحديثه عن الفاطمي^(١) أو المهدي المنتظر يدور حول فكرة الإمامة، وعندما أشار إلى الغلاة منهم والحلولية ربط ذلك بكونهم، تجاوزوا حد العقل والإيمان في القول بألوهية هؤلاء الأئمة^(٢).

ويؤيد هذا الاستنتاج أن الإمامة هي محور دراسة ابن خلدون للشيعة أنه أعقب الفصل الذي تناولهم فيه بآخر يشرح فيه انقلاب الخلافة^(٣) إلى الملك، وأورد فيه التسلسل التاريخي لمسألة الإمامة في الإسلام، وكيف انتقلت من الخلافة الراشدة عندما كانت النزعة الدينية قوة، إلى الملك بداية من معاوية بعد خفوت النزعة الدينية قليلا، وعودة أمر العصبية والتي يشكل معاوية وبني أمية الذروة فيها عند العرب. ثم تجده بعد ذلك يخصص فصلين على التوالي الأول في "معنى البيعة"^(٤) والثاني في "ولاية العهد"^(٥).

(١) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون ١/٢٣٦ .

(٢) المرجع السابق ص ١٤٦ .

(٣) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون ١/١٥٢ .

(٤) المرجع السابق ص ١٥٧ .

(٥) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون ١/١٥٨ .

وفيها يورد مقتل الحسين في إشارة واضحة أن سبب مقتل الحسين له علاقة واضحة بمسألة الإمامة والأحقية فيها.

والحاصل أن تناول ابن خلدون للشيعة كان مركزا على مسألة الإمامة، ويلاحظ على ابن خلدون في موضوع تناوله لفرقة الشيعة مايلي:

١- أنه يكتفي عادة بعرض أقوالهم ولا يتدخل كثيرا في تفنيد مزاعمهم، وإن حصل فبعبارة مقتضبة لا تشفي الغليل ولا يزيد على كلمة أو كلمتين، كما في النصوص التالية:

بعد أن قام بالتعريف بالشيعة بطريقة لا تخلو من العرض الذي هو أقرب ما يكون للحياد " اعلم أن الشيعة لغة: هم الصحب والأتباع، ويطلق في عرف الفقهاء والمتكلمين من الخلف والسلف على أتباع علي وبنيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ومذهبهم جميعا متفقون عليه أن الإمامة ليست من المصالح العامة التي تفوض إلى نظر الأمة ويتعين القائم بها بتعيينهم، بل هي ركن الدين وقاعدة الإسلام ولا يجوز لنبي إغفاله ولا تفويضه إلى الأمة بل يجب عليهم تعيين الإمام لهم، ويكون معصوما من الكبائر والصغائر" (١) اكتفى بتعليق بسيط أن النصوص التي يستدلون بها على ذلك "لا يعرفها جهابذة السنة، ولا نقلة الشريعة بل أكثرها موضوع، أو مطعون في طريقه" (٢).

وبعد أن قام باستعراض أدلتهم عقب على ذلك بما يشبه التأييد والاقرار فقال " وهذه كلها أدلة شاهدة بتعين علي للخلافة دون غيره، فمنها ما هو غير معروف ومنها ما هو بعيد عن تأويلهم" (٣).

٢- قوله أن الإمامية لا يقدهون في الشيخين، وهذا خلاف المعروف وأن القدرح

(١) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون/١/١٤٨ .

(٢) المرجع السابق ص ١٤٧ .

(٣) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون/١/١٤٩ .

إنما هو من غلاتهم.

يقول: "ثم منهم من يرى أن هذه النصوص تدل على تعيين علي وتشخيصه، وكذلك تنتقل منه إلى من بعده وهؤلاء هم الإمامية، ويتبرؤون من الشيخين حيث لم يقدموا عليا ويبايعوه بمقتضى هذه النصوص، ويغمضون في إمامتها، ولا يلتفت إلى نقل القدح فيهما من غلاتهم فهو مردود عندنا وعندهم"^(١).

فكما يلاحظ من النقل السابق هو يبرئ الإمامية من القدح في الشيخين، وأن ذلك مما اختص به الغلاة، وهذا مردود عندنا يقصد أهل السنة وعندهم يقصد الإمامية، وهذا قول يخالف جمهور مآذبه إليه أصحاب المقالات والفرق كأبي الحسن الأشعري^(٢) والبغدادي^(٣) والشهرستاني^(٤) بل سبب تسميتهم بالرافضة هو طعنهم في أبي بكر وعمر^(٥).

ويعتذر لابن خلدون بأنه ربما قصد بالإمامية هنا المفضلة الأولى وهم الطور الأول من أطوار التشيع، وإن كان سياق النص لا يساعده على ذلك وخاصة أنه بالكامل أورده، عند حديثه عن الشيعة الإمامية وهم الإثني عشرية أو الرافضة، والتفاصيل التي ذكرها كلها تتجه إلى طائفة معينة هي الإمامية "الإثني عشرية" وهو بنفسه أشار في النص السابق المشكل أنهم الإمامية، وأنهم ينصون على أن تعيين علي بن أبي طالب بشخصه لا بوصفه فقط كما تقول الزيدية.

٣- توقفه في مسألة مقتل الحسين بن علي والحكم فيمن شارك فيها، فهو وإن

(١) المرجع السابق / ١ / ١٤٩ .

(٢) مقالات الإسلاميين: أبي الحسن الأشعري، ص ٨٩ .

(٣) الفرق بين الفرق: البغدادي، ص ٥٦ .

(٤) الملل والنحل: الشهرستاني، ص ١٩٣ .

(٥) انظر: مقالات الإسلاميين: أبو الحسن الأشعري، ص ٩٠ .

كان يرى أن يزيدا فاسق إلا أنه لا يجوز الخروج عليه، وقاتل البغاة وإن كان يراه واجبا إلا أنه لا يصلح إلا مع إمام عادل، وهذا الشرط مفقود عند يزيد، فهو لا يصوب مقتل الحسين ويراه شهيدا، وفي نفس الوقت يعتقد أن ما قام به الحسين بن علي، مخالف لاجتهاد أكثر الصحابة، وقاتله باجتهاد منه فقط ولم يكن عن اجتهاد هؤلاء، وهنا يصدر حكمه " فلا يجوز قتال الحسين مع يزيد ولا ليزيد" (١).

إلا أن التردد والحيرة هو ما يتسم به ابن خلدون في هذه المسألة فهو يرى أن الحسين شهيد ومثاب وهو على حق واجتهاد، والصحابة الذين كانوا مع يزيد على حق أيضا واجتهاد (٢).

وغلط القاضي أبو بكر بن العربي (٣) في ما ذهب إليه " أن الحسين قتل بشرع جده" وأن هذا غلط حمله عليه غفلته عن اشتراط الإمام العادل ثم يعقب ومن أعدل من الحسين في زمانه في إمامته وعدالته في قتال أهل الآراء (٤).

وخلاصة رأي ابن خلدون في هذا الشأن أن الحسين لم يغلط في ثورته على يزيد من الناحية الشرعية، رغم أنه لم يحسن التقدير فيما يتعلق بأمر العصية (٥).

(١) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون ١/ ١٦٤ .

(٢) انظر: المرجع السابق ص ١٦٤ .

(٣) أبو بكر بن العربي: (٤٦٨ - ٤٥٣ هـ) محمد بن عبدالله بن محمد المعافري الإشبيلي المالكي، أبو بكر بن العربي: قاض، من حفاظ الحديث. ولد في إشبيلية، ورحل إلى المشرق، وبرع في الأدب، . وولي قضاء إشبيلية، ومات بقرب فاس، ودفن بها. من كتبه: العواصم من القواصم وعارضة الأحوذ في شرح الترمذي وأحكام القرآن .

انظر: الأعلام: ٦/ ٢٣٠ .

(٤) انظر: تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون ١/ ١٦٤ .

(٥) انظر: منطق ابن خلدون: علي الوردي، ص ٢٦٣ .

ونقل ابن حجر عن أحد شيوخه وهو الحافظ: أبو الحسن^(١) أنه كان يغض من شأن ابن خلدون ويتهمه بالنصب، وأنه كان يقول بعبارة ابن العربي أنفة الذكر " أن الحسين قتل بسيف جده"، ويعقب ابن حجر على ذلك بأنه لم يجده في النسخ الموجودة عندهم في تلك الفكرة، وكأنه كان ذكرها في النسخ التي رجع عنها^(٢).

والغريب أن ابن خلدون لم يتطرق إلى مقتل الحسين في سياق التسلسل الزمني لتاريخه، بل اكتفى بما أورده عنها في الفصول المتعلقة بالإمامة وولاية العهد

ويفسر الدكتور: علي الوردي هذا الاضطراب الخلدوني، في تناول حادثة مهمة في تاريخ الإسلام كمقتل الحسين، بأن ذلك يعود إلى الحيرة التي تملكته فهو لا يدري أيكتب الرأي الذي يؤمن به في قرارة نفسه، أم يكتب الرأي الذي يريده الناس منه^(٣).

وإن كان ابن حجر العسقلاني يتهم ابن خلدون صراحة بالانحراف عن آل علي مستدلاً على ذلك بإثباته لنسب الفاطميين وأنه قام بذلك من أجل تنفير الناس من آل علي^(٤)

ويظهر أن الموضوع كله بناء على أن ابن خلدون لا يجوز الخروج على يزيد دون إجماع أكثرية الصحابة، وفي نفس الوقت يجلب الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لمكانته ونسبه، ويرى أنه ماقام به لا يمكن أن يكون إلا اجتهاداً مقبولاً منه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو أهل لذلك.

ومن خلال ماسبق من المبحث يمكن الخروج بنتيجة واضحة، أن تناول ابن

(١) الهيثمي (٧٣٥-٨٠٨هـ) علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي أبو الحسن حافظ وهو من شيوخ ابن حجر العسقلاني من مصنفاته: "مجمع الزوائد ومنبع الفوائد" و"ترتيب الثقات لابن حبان" وتقريب البغية "

انظر: الضوء اللامع: ٥/٢٠١، الأعلام: ٤/٢٦٦

(٢) انظر: رفع الإصر عن قضاة مصر: ص ٢٣٧

(٣) انظر: منطق ابن خلدون: علي الوردي، ص ٢٦٤، ط الأولى، ٢٠٠٩م، شركة دار الوراق للنشر المحدودة، بغداد.

(٤) انظر: رفع الإصر عن قضاة مصر: ابن حجر العسقلاني، ص ٢٣٧.

خلدون للشيعة يدور كله حول الإمامة وموقفهم منها، والإمامة نفسها استكمال
لنظريات ابن خلدون في العمران البشري، وركيزته العصبية والتي لا يمكن أن تكون
الإمامة إلا بها سواء كانت دينية أو عرقية.



المبحث الثالث: دراسته للفرق الكلامية

أولاً: التعريف وأسباب التسمية:

أ - أشهر التعريفات.

هناك الكثير من التعريفات لعلم الكلام، فالفارابي عرفه بأنه "ملكة يقتدر بها الإنسان على نصره الآراء والأفعال المحمودة التي صرح بها واضع الملة، وتزييف كل ماخالفها بالأقاويل"^(١).

أما الإيجي^(٢) فعرفه بأنه "علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشبه، والمراد بالعقائد ما يقصد به نفس الاعتقاد دون العمل، وبالدينية المنسوبة إلى دين محمد ﷺ"^(٣).

(١) إحصاء العلوم: الفارابي، تحقيق: عثمان أمين، ص ١٣١ .

(٢) الإيجي (٦٨٠-٧٥٦هـ) قاضي قضاة المالكية ببلاد الشرق عضد الدين بن عبدالرحمن بن أحمد بن عبدالغفار بن أحمد الإيجي، وكان إماماً في المعقولات والنحو والبلاغة مشاركاً في الفقه مات مسجوناً من كتبه: "شرح مختصر ابن الحاجب" و"المواقف"

انظر: السلوك لمعرفة دول الملوك: المقرئزي ٤ / ٢١٧، لأحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقرئزي (المتوفى: ٨٤٥هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط الأولى، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م .

طبقات الشافعية: لابن قاضي شهبة ٣ / ٢٧، لأبي بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الأسدي الشهبي الدمشقي، تقي الدين بن قاضي شهبة (المتوفى: ٨٥١هـ)، تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب، بيروت، ط الأولى، ١٤٠٧هـ .

الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: لابن حجر ٣ / ١١٠، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، تحقيق ومراقبة: محمد عبد المعين ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر اباد، الهند، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ، ١٩٧٢م .

(٣) المواقف في علم الكلام: الإيجي، ص ٩، عالم الكتب، بيروت .

ولعل أوسع التعريفات وأشملها ما أورده التهانوي^(١) في "كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم"^(٢).

يقول: "علم الكلام ويسمى بأصول الدين، أيضا، وسماه أبو حنيفة رَحْمَةُ اللَّهِ تعالى بالفقه الأكبر. وفي مجمع السلوك ويسمى بعلم النظر والاستدلال أيضا، ويسمى أيضا، بعلم التوحيد والصفات.

وفي شرح العقائد^(٣) للفتازاني^(٤): "العلم المتعلق بالأحكام الفرعية، أي العملية

(١) التهانوي (١١٥٨-١٠٠هـ) محمد بن علي بن القاضي محمد حامد بن محمد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي: باحث هندي من مصنفاته،
"كشاف اصطلاحات الفنون" و"سبق الغايات في نسق الآيات".
انظر: الأعلام للزركلي ٦ / ٢٩٥.

(٢) وهو عبارة عن "موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم"، لمحمد بن علي بن القاضي محمد حامد بن محمد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (المتوفى: بعد ١١٥٨هـ)، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبدالله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت.

(٣) شرح العقائد النسفية: العلامة سعد الدين التفتازاني، وقد طبعته المكتبة الأزهرية للتراث عام (٢٠٠٠م)، ويقول عنه: "هذا كتاب فيه نور وهدى للناس يرشدك إلى المكامن الخفية من شرح العقائد النسفية أملهته أو ان الدعة والاستراحة عن فتور المطالعة سالكا فيه جادة الإيجاز من غير تعمية وألغاز، وهو حديث حول العقائد الإسلامية والربوبية وكذلك في الفلسفة والمنطق وعلم الكلام، وبعض آيات الكتاب وأحاديث رسول الله عليه الصلاة والسلام وغير هذا من موضوعات الدين والفلسفة والأدب". الطبعة، الأولى عام ٢٠٠٥م لمكتبة دار البيروني، بتحقيق: محمد عدنان درويش.

(٤) التفتازاني: (٧١٢-٧٩١هـ) الإمام العلامة مسعود بن عبدالله التفتازاني الملقب بسعد الدين متفنا في علوم الآلة شافعي مشرقي

من مؤلفاته "شرح العضد" و"حاشية الكشاف" و"شرح العقائد والمقاصد في علم الكلام".
انظر: طبقات المفسرين للأدنهوي ص: ٣٠١، لأحمد بن محمد الأدنهوي من علماء القرن الحادي عشر (المتوفى: ق ١١هـ)، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم، السعودية، ط الأولى،

العملية يسمى علم الشرائع والأحكام، وبالأحكام الأصلية أي الاعتقادية يسمى علم التوحيد والصفات، وهو علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية على الغير بإيراد الحجج ودفع الشبه، فالمراد بالعلم معناه الأعم أو التصديق مطلقاً، ليتناول إدراك المخطئ في العقائد ودلائلها ويمكن أن يراد به المعلوم، لكن بنوع تكلف بأن يقال علم أي معلوم يقتدر معه، أي مع العلم به"^(١).

تعريف ابن خلدون:

يعتبر تعريف ابن خلدون لعلم الكلام أحد أشهر التعريفات وأكثرها شيوعاً حيث عرفه بأنه "علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية، بالأدلة العقلية، والرد على المتبدعة المنحرفين، في الاعتقادات عن مذاهب السلف والسنة"^(٢).

ويلاحظ أن ابن خلدون حصر علم الكلام في نصرة مذاهب السلف والسنة دون بقية الفرق الإسلامية الأخرى، كما يفهم من تعريف الفارابي والإيجي.

ب- سبب تسميته بعلم الكلام.

أما سبب تسميته بعلم الكلام فيحصره التفتازاني في مايلي:

- ١- لأن عنوان مباحثه كان قولهم: الكلام في كذا، وكذا.
- ٢- لأن مسألة الكلام كانت أشهر مباحثه وأكثره نزاعاً وجدالاً، حتى إن بعض

= ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.

وديوان الإسلام: ٣ / ٢٤، لشمس الدين أبو المعالي محمد بن عبد الرحمن بن الغزي (المتوفى: ١١٦٧هـ)، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط الأولى، ١٤١١هـ، ١٩٩٠م.

(١) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: محمد بن علي التهانوي، تقديم ومراجعة: رفيق العجم، تحقيق: علي دحروج، نقل النص الفارسي: عبدالله الخالدي، الترجمة الأجنبية: جورج زيناني ١ / ٢٩، ط الأولى، ١٩٩٦م، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت.

(٢) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون ١ / ٣٥٠.

المتغلبة قتل كثيرا من أهل الحق لعدم قولهم بخلق القرآن.

٣- لأنه يورث قدرة على الكلام في تحقيق الشرعيات وإلزام الخصوم بالمنطق للفلسفة.

٤- لأنه أول ما يجب من العلوم التي تعلم وتتعلم بالكلام، فأطلق عليه هذا الاسم ثم خص به ولم يطلق على غيره تمييزا له.

٥- لأنه إنما يتحقق بالمباحثة وإدراة الكلام بين الجانبين، وغيره قد يتحقق بالتأمل ومطالعة الكتب.

٦- لأنه أكثر العلوم خلافا ونزاعا فيشتد افتقاره إلى الكلام مع المخالفين والرد عليهم.

٧- لأنه لقوة أدلته صار كأنه هو الكلام دون ماعده من العلوم، كما يقال للأقوى من الكلامين: هذا هو الكلام.

٨- لأنه لا يتناهى على الأدلة القطعية المؤيدة أكثرها بالأدلة السمعية، أشد العلوم تأثيرا في القلب وتغلغلا فيه، فسمي بالكلام المشتق من الكلم وهو الجرح^(١).

ويرى ابن خلدون أن سبب التسمية يعود لأمرين:

الأول: لما يتصف به من الحجاج والجدال.

ثانيا: أن أصل طريقتهم نفي صلة الكلام وتنازعهم في إثبات الكلام النفسي^(٢).

ويرجح الدكتور: عبدالرحمن بدوي أن السبب في تسميته بعلم الكلام يعود إلى أن "الكلام أشهر مباحثه وأكثرها إثارة للجدل" ويصف ماسوى هذا الاعتبار

(١) انظر: شرح العقائد النسفية: التفتازاني، تحقيق: أحمد حجازي السقا، ص ١٢، ط الأولى، ١٩٨٧م، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.

(٢) انظر: تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون/١-٣٥٦-٣٦٤.

بالمحاكات اللفظية التي لا معنى لها^(١).

وكما رأينا من التعريف فإن موضوع علم الكلام هو مسائل الاعتقاد والحجاج عنها والتي هي أصول الدين.

❖ ثانياً: نشأة علم الكلام:

لم يكن علم الكلام بمفهومه الذي استقر عليه موجوداً في الصدر الأول من الإسلام، بل نشأ نتيجة لعوامل متعددة بعضها داخلي والآخر خارجي، فمنذ بداية ظهور أول خلاف وهو كان في الإمامة كما يقول أبو الحسن الأشعري^(٢).

بدأت النواة الأولى للخوض في المسائل الخلافية، والتي ستتحول فيما بعد إلى علم الكلام، ثم مالبت أن حصلت الفتنة الكبرى، ومقتل عثمان بن عفان ونشوء فرقتي الخوارج والشيعة، والتي استقلت كل منهما برأي بنيت عليه فيما بعد، الكثير من الآراء الكلامية وخاصة في مسائل الإيمان.

وفي آخر عصر الصحابة ظهرت القدرية وكان متزعم هذه الفكرة معبد الجهني^(٣)، وتزامن ذلك تقريباً مع ظهور الأرجاء^(٤)، وكان للخلاف السياسي حول الدولة الأموية سواء من قبل الخوارج أو المرجئة دور في ظهور النواة الأهم للمدارس الكلامية، وهم المعتزلة^(٥)، وتزامن ذلك مع ظهور رجل كان له تأثير كبير في كافة

(١) انظر: مذاهب الإسلاميين: عبدالرحمن بدوي، ص ٣٥.

(٢) انظر: مقالات الإسلاميين: ص ٣٩.

(٣) انظر: كتاب القدر: أبوبكر جعفر بن محمد الفريابي، ص ١٧٧، تحقيق: عبدالله بن حمد المنصور، ط الأولى، ١٤١٨هـ، أضواء السلف.

(٤) انظر: التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع: محمد بن أحمد الملطي العسقلاني، تحقيق: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، ص ١٤٥، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر.

(٥) انظر: في علم الكلام: د. أحمد محمود صبحي، ١/٣٨، ط الخامسة، ١٩٨٥م، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان.

الفرق الكلامية بعده وهو الجهم بن صفوان، الذي تنسب إليه الجهمية والتي أصبحت وصفا لكل من قال بالتعطيل كالمعتزلة، والماتريدية، ومتأخري الأشاعرة، وكان أصل آرائه مأخوذة^(١) من الجعد بن درهم.

وبنفس القدر الذي ساهمت فيه العوامل الداخلية، وخاصة ما يتعلق بفتنة الخوارج والإمامة، وقيام الدولة الأموية في ظهور الفرق الكلامية، كان العامل الأجنبي حاضرا أيضا من خلال الترجمة والتأثر بالديانات والأمم الأخرى، فأصل هذه المقالات يعود في معظمه إلى أصول أجنبية يقول شيخ الإسلام ابن تيمية " وأصل مقالة الجهمية مأخوذ من المشركين والصابئين من البراهمة والمتفلسفة، ومبتدعة أهل الكتاب الذين يزعمون أن الرب ليس له صفة ثبوتية أصلا، وهؤلاء أعداء ابراهيم الخليل، وهم يعبدون الكواكب"^(٢).

ويلخص الدكتور: علي عبدالفتاح المغربي^(٣) تأثير العوامل الخارجية في نشأة علم الكلام، وكيف أثرت على كل جزئية يتناولها المتكلمون في دراساتهم ومقالاتهم يقول

المغربي " لقد افتتح المتكلمون مصنفاتهم بالحديث عن المعرفة وطريقها ابتداء من الماتريدي في كتابه التوحيد والباقلاني في التمهيد وغيرهما، وذلك ليؤكدوا صدق المعرفة الخبرية خاصة التي تأتي عن طريق الرسل، وذلك للرد على السمنية الذين ينكرون المعرفة الخبرية والشكاك والسوفسطائية، واهتم المتكلمون بإثبات حدوث العالم لأن الحدوث عندهم أساس إثبات المحدث للعالم وهو الله تعالى.. وهم في هذا

(١) انظر: بيان تلبس الجهمية: ابن تيمية، تصحيح وتعليق: محمد بن قاسم، ص ٨، ط الأولى، ١٣٩١هـ، مطابع الحكومة، مكة المكرمة.

(٢) المرجع السابق ص ٩.

(٣) باحث معاصر، له مؤلفات منها: الفرق الكلامية الإسلامية: مدخل ودراسة، الفكر الديني الشرقي القديم وموقف المتكلمين، النبوة والأنبياء في الفكر الإسلامي وغيرها.

يردون على القائلين بقدوم العالم أو المنكرين لخلق الله تعالى للعالم من الدهرية، ولقد قام المتكلمون بالرد على أهل الطبائع لإثبات حدوث العالم وإثبات الصانع له، وكان إثبات الوحداية لله تعالى موجهة للشثوية على اختلاف فرقها، والبحث في إثبات التنزيه لله تعالى ونفي التشبيه أو التجسيم أو ما يوحى بذلك كان فعلا لصورة الإله كما قال به اليهود وإضافتهم لله تعالى صورة بشرية، وقد كان البحث في صفات الله تعالى وعلاقتها بذاته تعالى هل هي عين الذات أم غير الذات كانت نتيجة لأصول العقيدة المسيحية في القول بالجوهريّة والأقنومية"^(١).

فالعامل الخارجي كان المشكل الأساس للمباحث الكلامية، فمبحث النبوة وإثباتها إنما هو للرد على منكريها من الصابئة واليهود، وإثبات نبوة محمد ﷺ يأتي في سياق الرد على المنكرين لنبوته من اليهود والنصارى، وقل مثل في ذلك في عصمة الأنبياء، فهو يأتي للرد على ما أضافه اليهود للأنبياء من عيوب ونقائص، وكان البحث في مسألة المعاد للرد على القائلين بالتناسخ من أصحاب الديانات الشرقية^(٢).

ووجود العامل الخارجي لا يتعارض مع كون علماء الكلام بصفة عامة مرجعيتهم النهائية هي الإسلام ومصادره الأصيلة من الكتاب والسنة.

ويرى ابن خلدون أن السبب في نشوء علم الكلام هو الشبه التي أثارها المبتدعة والتي أدت إلى الخصام والتناظر والاستدلال بالعقل زيادة على النقل^(٣).

كما سيأتي لاحقا إن شاء الله في العرض

(١) الفرق الكلامية: مدخل ودراسة، دكتور: علي عبدالفتاح المغربي، ص ١٠١، ط الثانية، ١٩٩٥م، مكتبة وهبة، عابدين، القاهرة .

(٢) المرجع السابق ص ١٠٢ .

(٣) انظر: تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون/١/ ٣٥٤ .

✽ ثالثاً: أهم الفرق الكلامية:

توطئة:

يمكن القول إن معظم الفرق الإسلامية أو المنتسبة، تأثرت بالجانب الكلامي، سواء كانت من الشيعة أو الخوارج أو الفرق الباطنية، على اختلاف في مدى قوة هذا التأثير وحيويته، وفي مايلي نبذة يسيرة عن أهم هذه الفرق وهي المعتزلة وإن لم تعد موجودة اليوم إلا أنها تبقى الفرقة الأكثر تأثيراً، وعلم الكلام تأسس على يد رجالها، وأصبح لديها نسق متكامل^(١).

ورغم أن هذا المسمى غير موجود في العصر الحاضر إلا أن آراء هذا المذهب الكلامي، تشكل عصباً مهماً في مذاهب وفرق أخرى، كالزيدية والإباضية ناهيك عن الأشاعرة والماتريدية.

أما الفرقة الثانية التي سوف تتناولها الدراسة فهي الأشاعرة وهي الفرقة الكلامية الكبرى، والتي ورثت الكلامية وورثت الأصول الفلسفية والكلامية عن الجهمية والمعتزلة، وأمرها قد يلتبس على كثير من المسلمين، وخاصة حين تدعي أنها تمثل أهل السنة والجماعة، ويزيد الأمر التباساً أنه وقع في بعض مقالاتها من جهة تأويل الصفات علماء كبار من أئمة الحديث كالخطابي^(٢)، والبيهقي^(٣)،

(١) انظر: الفرق الكلامية: د. عبدالفتاح المغربي، ص ٨.

(٢) الخطابي: (٣١٣ - ٣٨٨هـ) الإمام، العلامة، الحافظ، اللغوي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي، الخطابي، صاحب التصانيف، كان فقيهاً أديباً محدثاً له التصانيف البديعة منها "غريب الحديث" و"معالم السنن في شرح سنن أبي داود" و"أعلام السنن في شرح البخاري" و"كتاب الشحاح" و"كتاب شأن الدعاء" و"كتاب إصلاح غلط المحدثين" وغير ذلك. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء ١٧ / ٢٣، ٢٥، وفيات الأعيان: ٢ / ٢١٤، الأعلام: ٢ / ٢٧٣.

(٣) البيهقي: (٣٨٤ - ٤٥٨هـ) أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسر وجردي الخراساني، أبو بكر البيهقي. نشأ في بيهق ورحل إلى بغداد ثم إلى الكوفة ومكة وغيرهما، وطلب إلى نيسابور، فلم يزل فيها إلى

والنووي^(١)، وابن حجر العسقلاني^(٢).

والفرقة الثالثة هي الماتريدية وهي واسعة الانتشار وخاصة في بلاد العجم والمشرق بصفة عامة، وأصبحت في الآونة الأخيرة متلازمة مع المذهب الحنفي في الغالب الأعم، فهذه الفرق الكلامية الثلاث تشكل الفرق الأبرز والأكبر من حيث الانتشار والتأثير^(٣).

أ - المعتزلة:

ليست المعتزلة أول فرقة كلامية فقد سبقتها، في النشأة فرق كالجهمية والقدرية، إلا أن المعتزلة يعتبرون أهم فرقة عرضت موضوعات علم الكلام في نسق مذهبي متكامل، بل لقد أصبحت مسائل علم الكلام تناقش في إطار الحدود التي وضعها

= أن مات. له مصنفات جليلة منها: السنن الكبرى والصغرى، دلائل النبوة، شعب الإيمان، مناقب الشافعي، وفضائل الصحابة وغيرها.

انظر: الأعلام/١/١١٦، سير أعلام النبلاء ١٨/١٦٣.

(١) النووي: (٦٣١هـ - ٦٧٦هـ) يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحوراني، النووي، الشافعي، أبو زكريا، محيي الدين: علامة بالفقه والحديث. مولده ووفاته في نوا (من قرى حوران، بسورية) وإليها نسبتة. من كتبه "تهذيب الأسماء واللغات" و"منهاج الطالبين" و"الدقائق" و"تصحيح التنبيه" و"المنهاج في شرح صحيح مسلم"

انظر ترجمته في: تذكرة الحفاظ: طبقات الحفاظ للذهبي ٤/ ١٧٤ لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط الأولى، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م. فوات الوفيات: ٤/ ٢٦٤، لمحمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر الملقب بصلاح الدين (المتوفى: ٧٦٤هـ)، إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط الأولى، ١٩٧٣م. الأعلام للزركلي ٨/ ١٤٩.

(٢) انظر: الفرق الكلامية: المشبهة، الأشاعرة، الماتريدية، ناصر عبد الكريم العقل، ص ٦، ط الأولى، ١٤٢٢هـ، دار الوطن للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية.

(٣) انظر: الفرق الكلامية: ص ٨.

رجال المعتزلة^(١).

ولعل من أهم الأمور التي جعلت المعتزلة يتسيدون الواجهة الكلامية هو سيطرتهم على مراكز دينية مهمة، وخاصة في زمن المأمون والمعتصم في أوج قوة الدولة العباسية، واستقطاب الخلفاء للتيار الكلامي إن صح التعبير.

تسمية المعتزلة:

١- الرأي الشائع: أن سبب تسميتهم بالمعتزلة هو انفصالهم عن عموم أهل السنة والجماعة وأوردوا قصة تدل على ذلك وملخصها " أن رجلا دخل على الحسن البصري^(١) وقال: يا إمام الدين لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم كفر يخرج عن الملة، وهم وعيدية والخوارج، وجماعة يرجئون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم لا تضر مع الإيمان بل العمل على مذهبهم ليس ركنا من الإيمان، فلا يضر مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة، وهم مرجئة الأمة، فكيف تحكم لنا في ذلك اعتقادا؟ ففكر الحسن في ذلك وقبل أن يجيب قال واصل بن عطاء^(٢): أنا لا أقول أن صاحب الكبيرة مؤمن مطلقا، ولا كافر مطلقا؟ بل

(١) انظر: في علم الكلام: دراسة فلسفية لآراء الفرق الإسلامية في أصول الدين، د. أحمد محمود صبحي، ١٠٧/١، ط الخامسة، ١٩٨٥م، بيروت، لبنان.

(٢) أبو سعيد (٢١-١١٠هـ) الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد: تابعي، كان إمام أهل البصرة، وخبير الأمة في زمنه. أحد سادة التابعين جمع العلم والزهد واشتهر بالفصاحة.

انظر: وفيات الأعيان ٢/٧٠، سير أعلام النبلاء ٤/٥٦٣، الأعلام ٢/٢٢٦.

(٣) واصل بن عطاء: (٨٠-١٣١هـ) الغزال، أبو حذيفة، من موالي بني ضبة أو بني مخزوم: إليه تنسب المعتزلة لاعتزاله مجلس الحسن البصري بعد أن طرده لقوله: الفاسق لا مؤمن ولا كافر، والواصلية، وهو من أئمة البلغاء والمتكلمين.

كان أثلغ بيدل الرأ غينا، ويتجنب النطق بها، وله في ذلك قصص طريفة تدل على اقتداره وملكته. سمي غزالا لملازمته للغزالين ليعرف المتعففات من النساء فيتصدق عليهن. له تصانيف منها: أصناف المرجئة والمنزلة بين المنزلتين ومعاني القرآن وطبقات أهل العلم والجهل وغيرها.

هو في منزلة بين المنزلتين، لا مؤمن ولا كافر، ثم قام واعتزل إلى إسطوانة من إسطوانات المسجد يقرر ما أجاب به على جماعة من أصحاب الحسن. فقال الحسن: اعتزلنا واصل، فسمي هو وأصحابه المعتزلة"^(١).

فالشهرستاني^(٢) يعيد تسميتهم بالمعتزلة إلى قولهم في المنزلة بين المنزلتين، وأن ذلك سبب اعتزالهم لعموم المسلمين، وقريبا من هذا كان رأي البغدادي، وأن واصل بن عطاء زعم أن الفاسق من هذه الأمة لا يوصف بكفر ولا إيمان، بل هو في منزلة بين المنزلتين وانضم إليه عمرو بن عبيد^(٣) في تقرير ذلك عند سارية من سواري المسجد فسموا بذلك معتزلة^(٤).

إلا أن ابن خلكان^(٥) له رأي آخر في من ساهم بالمعتزلة، وإن كان السياق العام وهو مفارقتهم لعموم المسلمين يبقى هو نفسه، فابن خلكان أورد في ترجمة قتادة بن

= انظر: شذرات الذهب ٢/١٣٦، سير أعلام النبلاء ٥/٤٦٤، الأعلام ٨/١٠٨، وفيات الأعيان ٦/٧.

(١) انظر: الملل والنحل: الشهرستاني ١/٦١.

(٢) المرجع السابق: نفس الصفحة.

(٣) عمرو بن عبيد: (٨٠ - ١٤٤هـ) عمرو بن عبيد التيمي بالولاء أبو عثمان البصري شيخ المعتزلة في زمانه ومفتيها، اشتهر بعلمه وزهده. قال ابن عليّة: أول من تكلم في الاعتزال واصل الغزال فدخل معه عمرو بن عبيد فأعجب به وزوجه أخته. له مصنفات منها: "التفسير" و"الرد على القدرية".

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء ٦/١٠٤، الأعلام ٥/٨١، شذرات الذهب ٢/١٩٦، وفيات الأعيان ٣/٤٦٠.

(٥) ابن خلكان: (٦٠٨ - ٦٨١هـ) قاضي القضاة شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خلكان قاضي القضاة شمس الدين أبو العباس البرمكي الإربلي الشافعي، ولد بإربل سنة ثمان وستمئة وسمع بها "صحيح البخاري" من أبي محمد بن هبة الله بن مكرم الصوفي وأجاز له المؤيد الطوسي وعبد المعز الهروي وزينب الشعرية. روى عنه المزي والبرزالي والطبقة، وكان فاضلا بارعا متفنا عارفا بالمذهب حسن الفتاوي جيد القريحة بصيرا بالعربية علامة في الأدب والشعر وأيام الناس، كثير الاطلاع حلو المذاكرة". انظر: فوات الوفيات: ١/١١٠، الأعلام ١/٢٢٠.

دعامة السدوسي^(١) أنه هو صاحب القصة التي بسببها سميت مجموعة عمرو بن عبيد بالمعتزلة^(٢).

ويلاحظ أن من تدور عليه القصة هو، عمرو بن عبيد وليس عطاء بن واصل وهذا يجعل الرواية بمجملها فيها نوع من الاضطراب، إضافة إلى أن الروايات كلها من خصوم المعتزلة تقريبا.

٢- أن هذه الفرقة الكلامية ولدت من نزعة ورعة، وهذا رأي المستشرق جولد تسيهر^(٣)، وعزا ذلك إلى أن مفردة الاعتزال كانت مقترنة بالزهد والعبادة.

وأيد ذلك بأن بعض المصادر الأدبية استخدمت فيها كلمة معتزلي كمرادف

(١) - قتادة بن دعامة: قتادة بن دعامة السدوسي أبو الخطاب البصري الأكمه أحد الأئمة الأعلام حافظ مدلس توفي سنة سبع عشرة ومائة

انظر: الكاشف ٢ / ١٣٤، لشمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، تحقيق: محمد عوامة، أحمد محمد نمر الخطيب، دار القبلة للثقافة الإسلامية، مؤسسة علوم القرآن، جدة، ط الأولى، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م.

تهذيب التهذيب: ٨ / ٣٥١، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ط الأولى، ١٣٢٦هـ.

خلاصة تذهيب تهذيب الكمال: ص: ٣١٥، الحافظ الفقيه صفى الدين أحمد بن عبدالله الخزرجي الأنصاري اليمني، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية، دار البشائر، ١٤١٦هـ، حلب، بيروت.

(٢) انظر: وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان: ابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس ٤ / ٨٥، ط الأولى، ١٩٧١م، دار صادر، بيروت، لبنان.

(٣) جولد تسيهر (١٢٦٦-١٣٤٠هـ) مستشرق مجري سافر إلى الشرق ولازم بعض علماء الأزهر له العديد من المؤلفات باللغات الأوروبية ترجم بعضها ومما نشره بالعربية "ديوان الخطيئة" و"فضائح الباطنية" انظر: الأعلام: ١ / ٨٤.

للزاهد أو العابد، وما عرف عن أوائلهم من العبادة والزهد^(١).

وإعادة تسمية المعتزلة إلى عامل الزهد والعبادة فيه ضعف لأن الورع والزهد قاسم مشترك في ذلك العصر، ولو كان الأمر كذلك لكان الصوفية الأوائل أولى به من المعتزلة.

٣- التفسير السياسي: أن اسم المعتزلة لا يخرج عن كونه استمراراً لحالة الحياد السياسي، والذي ظهر جلياً في أيام الفتنة بين علي ومعاوية، وسار عليه جمع من الصحابة اختاروا اعتزال الفتنة.

ويؤيد هذا التفسير الأستاذ عبدالرحمن بدوي حيث أنه لم يقدم أي سبب آخر لتسميتهم بالمعتزلة، بل اكتفى بذكر هذا التفسير، وتفنيد ما سواه وتبني النتائج التي توصل إليها المستشرق الإيطالي نلينو^(٢).

ويرى عبد الرحمن بدوي بناء على هذا النتائج التي توصل إليها نلينو، والتي لم يعثر بعد البحث الشامل والمستقصي كما يقول على ما يخالفها

" أن اسم المعتزلة ليس مأخوذاً عن فكرة الانفصال عن مذهب أهل السنة والجماعة، وبالتالي لم يكن من وضع أهل السنة بقصد الذم أو السخرية من المعتزلة بوصفهم خارجين على مذهب الجماعة الإسلامية ومنشقين عنها" وإنما اختار المعتزلة الأولون هذا الاسم، أو على الأقل قبلوه بمعنى "المحايدين" أو "الذين لا ينصرون أحد الفريقين المتنازعين (أهل السنة، والخوارج) على الآخر في المسألة السياسية الدينية

(١) انظر: المعتزلة وأصولهم الخمسة: عواد بن عبدالله المعتق، ص ١٧، ط الثانية، ١٤١٦هـ، مكتبة الرشد، الرياض.

(٢) نلينو (١٢٨٨-١٣٥٧هـ): كارلو ألفونسو نلينو الإيطالي: مستشرق - من كبارهم. غزير العلم بالجغرافية والفلك عند العرب، مهتماً بالإسلام ومذاهبه، كثير التبع لتاريخ اليمن القديم وخطوطه ولهجاته. من كتبه: "علم الفلك، تاريخه عند العرب في القرون الوسطى".

انظر: الأعلام للزركلي ٥ / ٢١٣.

الخطيرة، مسألة "الفاسق" ما حكمه: هل هو كافر مخلد في النار كما يقول الخوارج، أو هو مؤمن يعاقب على الكبيرة بقدرها، أو هو في منزلة بين المنزلتين وهو ماسيقول به المعتزلة"^(١).

وقريب من هذا القول يذهب أحمد أمين مرجحاً أنهم سموا معتزلة لاعتزالهم قول الأمة، يعنون بذلك أنهم شقوا لأنفسهم طريقاً جديداً ساروا فيه وخالفوا فيه غيرهم، وليس تحولهم من سارية جديدة إلى أخرى إلا رمزا لهذا التحول، ونوه الأستاذ أحمد أمين بأنه اطلع بعد أن أصدر كتابه على النتائج التي توصل إليها المستشرق الايطالي نلينو وأنه وافقه في ما ذكر^(٢).

وهذا الرأي مردود في رأي - بعض - الباحثين لأسباب منها:

١- أن أقوال المعتزلة الكلامية ليس فيها ما يثبت الأصل السياسي لنشأتهم.
٢- لو صح أن هؤلاء الصحابة المعتزلين للفتنة، لوجب اتفاقهم معهم في أصول مذهبهم، فعدم اتفاقهم يدل على بطلان هذا التفسير^(٣).

والحاصل: أن كثرة الأقوال وخاصة من أصحاب المقالات والمؤرخين، وهي في معظمها تشير إلى حادثة معينة تجعلها محور بداية هذا الاسم وهو "الاعتزال" يقود إلى نتيجة واضحة، أن هذا الاسم يعود فعلاً إلى الحادثة التي حصلت في حلقة الحسن البصري بدون أخذ تفصيل أو رواية معينة في حصول تلك الحادثة، بل الأخذ بمجموع السياق النهائي لتلك الروايات، والتي تذهب في اتجاه معين أن واصل بن عطاء أو عمرو بن عبيد أو كليهما معا خرجا عن الحلقة التي كان يلقي فيها التابعي الجليل الحسن البصري دروسه، واعتزلوا بقية القوم الذين يشكلون بمجموعهم

(١) مذاهب الإسلاميين: عبدالرحمن بدوي، ص ٤٠.

(٢) انظر: فجر الإسلام: أحمد أمين، ص ٢٩١ - ٢٩٥.

(٣) انظر: المعتزلة وأصولهم الخمسة: عواد بن عبدالله المعتق، ص ٢٠.

مفهوم الأمة، أو سما كان عليه الصحابة والتابعين.

إذا المعتزلة: "اسم يطلق على فرقة ظهرت في أوائل القرن الثاني، وسلكت منهجا عقليا متطرفا في بحث العقائد الإسلامية، وهم أصحاب واصل بن عطاء الغزال الذي اعتزل عن مجلس الحسن البصري"^(١) ويسمون أصحاب العدل والتوحيد ويلقبون بالقدرية والعدلية^(٢).

عقائد المعتزلة:

يكاد مؤرخوا الفرق وأصحاب المقالات يجمعون على أن للمعتزلة أصولا خمسة^(٣):

الأصل الأول: التوحيد.

وهذا الأصل يدور حول ما يثبت لله وما ينفي عنه من الصفات، فقالوا إن الله واحد أحد ليس بجسم، ولا شبح، ولا جثة، ولا صورة، ولا لحم، ولا دم ولا شخص، ولا جوهر ولا عرض..^(٤) وهذه السلسلة من التركيبات والتصورات العقلية أدت بهم إلى عدد من النتائج من التعطيل، ونفي رؤية الخالق في الآخرة، وأن القرآن مخلوق^(٥).

الأصل الثاني: العدل.

(١) انظر: المعتزلة وأصولهم الخمسة: عواد بن عبدالله المعتق، ص ١٣.

(٢) انظر: الملل والنحل: الشهرستاني ١/٥٦.

(٣) انظر: مقالات الإسلاميين: أبي الحسن الأشعري ١/٢٣٥، الفرق بين الفرق: البغدادي، ص ١٠٤، الملل والنحل: الشهرستاني ١/٥٦، مذاهب الإسلاميين: عبدالرحمن بدوي، ص ٥٨.

(٤) انظر: مقالات الإسلاميين: أبي الحسن الأشعري ١/٢٣٥.

(٥) انظر: المعتزلة بين القديم والحديث: محمد العبد وطارق عبدالحليم، ص ٤٦-٥٥، ط الأولى، ١٩٨٧م، دار الأرقم، برمنغهام.

ومعناه عند المعتزلة أنه تعالى عدل وأن أفعاله كله حسنة، وأنه لا يفعل القبيح، ولا يخل بما هو واجب عليه^(١).

وهم بهذا الأصل وكأنهم قد ردوا على الجبرية الذين قالوا إن العبد في أفعاله غير مختار، فعدوا العقاب على ذلك ظلماً إذا لا معنى لأمر الشخص بأمر هو مضطر إلى مخالفته، ونهيه عن أمر هو مضطر إلى فعله^(٢).

وقد جرهم هذا الأصل إلى لوازم باطلة مثل نفي القدر، خلق أفعال العباد، التولد، الصلح والأصلح، التحسين والتقيح العقلان^(٣).

الأصل الثالث: الوعد والوعيد.

فهو أن الله لا يغفر لمرتكب الكبائر إلا بالتوبة، وإنه لصادق في وعده ووعيده، لا مبدل لكلماته^(٤).

فهم يعتقدون: أن الوعد والوعيد نازلان لا محالة، فوعده بالثواب واقع، ووعيده بالعقاب واقع أيضاً، فمن أحسن يجازي بالإحسان إحساناً، ومن أساء يجازي بالإساءة، ولا عفو عن كبيرة من غير توبة، إذ لو صح هذا لكان وعيد الله تعالى في مقام اللغو تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً^(٥).

الأصل الرابع: المنزلة بين المنزلتين.

(١) انظر: مذاهب الإسلاميين: عبدالرحمن بدوي، ص ٦٣.

(٢) انظر: دراسات في الفرق والمذاهب القديمة المعاصرة: عبدالله الأمين، ص ٣١٩، ط الثانية، ١٩٩١ م، دار الحقيقة، بيروت.

(٣) انظر: المعتزلة بين القديم والحديث: محمد العبد وطارق عبدالحليم، ص ٥٧.

(٤) مروج الذهب ومعادن الجوهر: المسعودي ٢/ ٢٠٥، ط الثانية، ١٩٩٠ م، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، لبنان.

(٥) انظر: دراسات في الفرق والمذاهب القديمة المعاصرة: عبدالله الأمين، ص ٣١٩.

إن الإيمان عبارة عن خصال خير إذا اجتمعت سمي المرء مؤمنا وهو اسم مدح. والفاسق لم يستجمع خصال الخير وما استحق اسم المدح، فلا يسمى مؤمنا، وليس هو بكافر مطلقا أيضا، لأن الشهادة وسائر أعمال الخير موجودة فيه، لا وجه لإنكارها، لكنه إذا خرج من الدنيا على كبيرة من غير توبة، فهو من أهل النار خالد فيها، إذ ليس في الآخرة إلا فريقان: فريق في الجنة، وفريق في السعير، لكنه يخفف عنه العذاب وتكون درك فوق درك الكفار.^(١)

وعن هذا الرابع: يقول الشيخ عبدالله القرني إنه حاصل حيرة واضطراب، بين معاندهم من ضرورات متناقضة، مع أن الضرورات لا تتناقض.^(٢)

الأصل الخامس: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ومقصودهم به أن لا يضيع المعروف ولا يقع المنكر، فإذا ارتفع ببعض المكلفين سقط عن الباقي، فهو فرض كفائي حسب الاستطاعة بالسيف فما دونه، وإن كان الجهاد ولا فرق بين مجاهدة الكافر أو الفاسق.^(٣)

ومن مسائل هذا الأصل نفي اشتراط القرشية وإيجاب الخروج على السلطان الجائر حال القدرة، ومن الأمور الموجبة للخروج عليه أن لا يكون معتقدا بأصولهم. والحديث عن المعتزلة وعقائدهم يحتاج إلى فصول ولا يكفيه تمهيد كهذا.

(١) الملل والنحل: الشهرستاني ٦٢/١ .

(٢) انظر: أصول المخالفين لأهل السنة في الإيمان: عبدالله القرني، ص ١٠٤، ط الأولى، ١٤٣٢ هـ، دار ابن الجوزي، الرياض، المملكة العربية السعودية .

(٣) انظر: مذاهب الإسلاميين: عبدالرحمن بدوي، ص ٧٢ .

وأیضا: مروج الذهب ومعادن الجوهر: المسعودي ٢/٢٠٥، ط الثانية، ١٩٩٠ م، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، لبنان .

ب- الأشاعرة:

الفرقة الكلامية الكبرى تأسست على يد أبي الحسن الأشعري في القرن الرابع الهجري، ويمثل نقطة تحول هامة في الفكر الإسلامي بعامة وعلم الكلام خاصة، فهو أصبح معترفاً به كعلم من علوم الدين، بعد أن تبناه العديد من الفقهاء والأصوليين بعد أن كانوا يمتنعون الخوض فيه، وتزامن ذلك مع تراجع دور المعتزلة، وخاصة بعد عصر المتوكل الذي قرب أهل الحديث وقضى على فتنة "خلق القرآن" والامتحان^(١).

مراحل الأشعرية:

مرت الأشعرية سواء من حيث الأصول أو المناهج بأطوار، ومراحل كثيرة يصل ما بينها إلى حد التباين أحيانا، وهذه المراحل يعتمد تقييمها على الجانب الفكري والزمني، إضافة إلى أمر مهم أن مرحلة الفكر الأشعري كما درج عليه بعض الدارسين - تنقصبها الدقة من حيث التصنيف العقدي. فالأصل في الأشعري هو الاضطراب، وأتيت بهذه المرحلة من باب النمذجة لامن باب الإقرار لهذا التقسيم المرحلي:

المرحلة الأولى: بداية الأصول الكلامية التي انحرف بها المذهب عن نهج السلف^(٢)، ويمثل ذلك مقولات ابن كلاب^(٣) والقلاسي^(٤) والمحاسبي^(٥)

(١) انظر: في علم الكلام: دراسة فلسفية لآراء الفرق الإسلامية في أصول الدين، د. أحمد محمود صبحي ٤٣/٢.

(٢) انظر: النبوات: ابن تيمية، تحقيق: عبدالعزيز بن صالح الطويان ١/٢٧١، ط الأولى، ١٤٢٠هـ، أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية.

(٣) عبدالله بن سعيد بن كلاب، أبو محمد القطان. من كتبه: الصفات وخلق الأفعال والرد على المعتزلة عالم متكلم، توفي سنة ٢٤٥هـ.

انظر: الأعلام ٩٠/٤.

(٤) محمد بن الحسين بن بندار، أبو العز القلاسي الواسطي، ولد سنة ٤٣٥هـ، مقرئ العراق في عصره، مولده ووفاته بواسط. له تصانيف في القراءات، منها: إرشاد المبتدي وتذكرة المنتهى، أحد الأئمة الأعيان، بارع

وتقوم أسس المذهب في هذه المرحلة على:

١- نفي أفعال الله الاختيارية "وهو مايسمونه (قيام الأفعال به) كالكلام والنزول والمجيء ونحوها، حيث نفوا أن يفعل الله ذلك متى شاء كما يشاء، أي أنكروا تعلق أفعال الله تعالى بمشيئته.

٢- قولهم: إن كلام الله تعالى معنى قائم بذاته، أزلي، وأنكروا أن يتكلم الله تعالى متى شاء^(١).

المرحلة الثانية: آراء أبي الحسن الأشعري ومقالاته.

وهي البداية الحقيقية للأشعرية وتبدأ من أول القرن الرابع، وتتمثل هذه المرحلة بنفس أصول ومراحل تقلبات أبي الحسن الأشعري والتي يمكن رصدها في مايلي:

١- متابعة ابن كلاب في مسألة أفعال الله الاختيارية عموماً، وفي مسألة كلام الله تعالى على الخصوص، والقول بأنه معنى قائم بالذات.

٢- مخالفة السلف في الصفات الفعلية حيث قال إنها أزلية قديمة لا تتعلق بالمشيئة والإرادة.

٣- قوله بالكسب والاستطاعة أي اقتران فعل العبد بفعل الله من غير أن يكون للعبد أثر، ونفي التعليل في أفعال الله تعالى وأقداره^(١).

= في القراءات. كان عابدا ناسكا. قال الذهبي: كان يأخذ الذهب على إقراء العشرة، توفي في شوال سنة ٥٢١هـ.

انظر: الأعلام للزركلي ٦/ ١٠١، الوافي بالوفيات ٣/ ٦، سير أعلام النبلاء ١٩/ ٤٩٦.

(١) انظر: تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون ١/ ٣٦٤، ط الأولى، ٢٠١١م، دار ابن حزم، بيروت، لبنان.

(٢) انظر: الفرق الكلامية: د. ناصر عبد الكريم العقل، ص ٥١.

(٣) انظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة: عبد الرحمن المحمود ١/ ٣٩٢، ط الأولى، ١٤١٥هـ، مكتبة الرشد، الرياض.

المرحلة الثالثة: مرحلة الأخذ بتأويلات الجهمية في الصفات.

وتبدأ هذه المرحلة في أواخر القرن الرابع الهجري، وأبرز رجالاتها الباقلاني^(١) وابن فورك^(٢) وعبدالقاهر البغدادي، وتميزت هذه المرحلة بظهور التوسع في تأويلات نصوص الصفات، مع البقاء في كثير من الأصول على نهج الأشعري والسلف في هذه المرحلة^(٣).

وفي هذه الفترة بدأ المذهب الأشعري في الانتشار، وارتبط إلى حد كبير بالمذاهب الفقهية

المرحلة الرابعة: التوسع في الأخذ بالأصل الجهمي والفلسفي ودخول التصوف البدعي.

بداية هذا الاتجاه وظهوره في القرن الخامس الهجري، وكان رائد هذا الاتجاه فيما يتعلق في التوسع في إدخال الأصول والقواعد الفلسفية والكلامية الخالصة هو أبو المعالي الجويني^(٤)، وفي جانب السلوك التصوفي القشيري^(٥).

(١) محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر، أبو بكر القاضي الباقلاني، ولد بالبصرة سنة ٣٣٨هـ. سكن بغداد، وتوفي بها، من كبار علماء الكلام. له تصانيف، منها إعجاز القرآن والإنصاف ودقائق الكلام والملل وغيرها، قال ابن خلكان: كان في علمه أوحده زمانه، وانتهت إليه الرئاسة في مذهبه -الأشعري-، وكان جيد الاستنباط سريع الجواب. وقال البغدادي: كان ثقة. توفي في بغداد سنة ٤٠٣هـ.

انظر: الأعلام للزركلي ١٧٦/٦.

وفيات الأعيان ٢٦٩/٤.

(٢) ابن فورك (٤٠٦-..هـ) محمد بن الحسن بن فورك الأديب أبوبكر الأصبهاني المتكلم الأصولي

بلغت تصانيفه قريبا من المئة منها "التفسير" و"غريب القرآن" و"مشكل الحديث وغريبه"

انظر: وفيات الأعيان: ٢٧٢/٤، الأعلام: ٨٣/٦.

(٣) انظر: الفرق الكلامية: د. ناصر عبدالكريم العقل، ص ٥٣.

(٤) أبو المعالي الجويني: (٤١٩ - ٤٧٨هـ) أبو المعالي عبد الملك ابن الإمام أبي محمد عبدالله بن يوسف

الجويني، الشافعي، صاحب التصانيف.

وجمع بين الأمرين الغزالي^(١).

المرحلة الخامسة: امتزاج آراء الأشاعرة بالفلسفة

وتبدأ هذه المرحلة من نهاية القرن السادس إلى القرن الثامن والذي بدأ بعده المذهب مرحلة الجمود، ويمثل أوج هذه المرحلة الرازي والآمدي والإيجي، وفي هذه المرحلة ظهر شيخ الإسلام بن تيمية، والذي أبرز عقائد السلف، وأبطل دعوى الأشعرية أنهم مذهب أهل السنة والجماعة، وأكد الانفصال بين آراء السلف والخلف^(٢).

أهم معتقداتهم:

كما سبق فإن المذهب الأشعري مر بمراحل متعددة، انتقل فيها من طور إلى طور، اختلفت فيه كل مرحلة عن سابقتها في ما يتعلق بالأصول أو المعتقدات، وحيث أن عضد الدين الإيجي المتوفى ٧٥٦هـ يمثل المراحل الأخيرة من هذا المذهب، واستقراره على أصول وقواعد معينة اعتمدت في معظمها على كتابه "المواقف" سنكتفي بإيراد ما ذكره في نهاية كتابه المواقف، بعد أن استعرض آراء الفرق الأخرى،

= له مصنفات كثيرة، منها "غيث الأمم والتهياث الظلم، والعقيدة النظامية في الأركان الإسلامية والبرهان في أصول الفقه، ونهاية المطلب في دراية المذهب. وغيرها. توفي بنيسابور.

انظر: سير أعلام النبلاء: ١٨ / ٤٦٨، الأعلام: ٤ / ١٦٠.

(١) القشيري (٣٧٦-٤٦٥هـ) عبدالكريم بن عبدالمملك بن طلحة النيسابوري

كان علامة في الفقه والتفسير والأصول وعلم التصوف.

له تصانيف منها "التفسير ولطائف الإشارات" و"الرسالة القشيرية"

انظر: وفيات الأعيان ٣ / ٢٠٥، الأعلام ٤ / ٥٧.

(٢) انظر: المرجع السابق ص ٥٥.

(٣) انظر: في علم الكلام: دراسة فلسفية لآراء الفرق الإسلامية في أصول الدين، د. أحمد محمود صبحي

. ١٩ / ٢

وادعى أن الأشاعرة هم الفرقة الناجية، وأنهم امتداد للسلف والمحدثين، وهم أهل السنة والجماعة يقول: " وقد أجمعوا على حدوث العلم خلافا لبعض الغلاة القائلين بقدمه ووجود الباري تعالى خلافا للحابطية حيث قالوا لا موجود ولا معدوم، وأنه لا خالق سواه خلافا للقدرية، وأنه قديم خلافا للمعمرية القائلين بأنه لا يوصف بالقدم، متصف بالعلم والقدرة وسائر صفات الجلال، خلافا لنفاة الصفات لا شبيه له خلافا للمشبهة، ولا ضد ولا ند خلافا للحابطية حيث أثبتوا إلهين، ولا يحل في شيء خلافا لبعض الغلاة، ولا يقوم بذاته حادث خلافا للكرامية ليس في حيز ولا جهة ولا يصح عليه الحركة والانتقال، ولا الجهل ولا الكذب ولا شيء من صفات النقص خلافا لمن جوزها عليه كما تقدم مرئي للمؤمنين في الآخرة بلا انطباع ولا شعاع، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن غني لا يحتاج في شيء إلى شيء، ولا يجب عليه شيء إن أثاب فبفضله، وإن عاقب فبعده لا غرض لفعله ولا حاكم سواه لا يوصف فيما يفعل أو يحكم بجور ولا ظلم وهو غير متبعض ولا له حد ولا نهاية وله الزيادة والنقصان في مخلوقاته، والمعاد الجسماني حق وكذا المجازاة والمحاسبة والصراط والميزان وخلق الجنة والنار وخلود أهل الجنة فيها وخلود الكفار في النار ويجوز العفو عن المذنبين، والشفاعة حق وبعثة الرسل بالمعجزات حق من آدم إلى محمد وأهل بيعة الرضوان تحت الشجرة وأهل بدر من أهل الجنة.

والإمام يجب نصبه على المكلفين والإمام الحق بعد رسول الله أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي والأفضلية بهذا الترتيب.

ولا نكفر أحدا من أهل القبلة إلا بما فيه نفي للصانع القادر العليم، أو شرك أو إنكار للنبوة، أو إنكار المجمع عليه كاستحلال المحرمات التي أجمع على حرمتها

فإن كان ذلك المجمع عليه مما علم ضرورة من الدين فذلك ظاهر داخلا فيما تقدم ذكره، وإلا فإن كان إجماعا ظنيا فلا كفر بمخالفته، وإن كان قطعيا ففيه خلاف، وأما ما عداه فالقائل به مبتدع غير كافر.

وللفقهاء في معاملتهم خلاف هو خارج عن فننا هذا" (١)

والخلاصة أن المذهب الأشعري استقر على أمور أهمها:

١- ضرورة المقدمات المنطقية والعقلية لتحديد المصطلحات والإحالة عليها عند أي له صلة بها.

٢- الأخذ بدليل حدوث الأجسام، وضرورته لأجل الرد على القائلين بقدم العالم.

٣- تقديم العقل على النقل عند تعارضهم الافتراضي، وهذا أصبح قانونا يحكمون به عندما تقف أمام آرائهم النصوص.

٤- خبر الأحاد لا يفيد اليقين، فلا يحتج به في العقائد ابتداء، ولا مانع من الاحتجاج به في مسائل السمعيات.

٥- نفي العلو والجهة والتوحيد عندهم توحيد الربوبية، ويتضمن عندهم نفي الصفات الخبرية التي تقتضي عندهم تجسيما.

٦- في الصفات: استقر أمرهم على إثبات الصفات السبع العقلية، أما الصفات الخبرية اتفقوا سواء كانوا من المتأولة أو المفوضة على نفي ظاهرها من الصفة اللائقة بالله، أما كلام الله: فأبقوا القول فيه على ما كان موجودا عند شيوخهم، وهو القول بالكلام النفسي، وأما ما يتعلق بالقرآن المتلو فيميلون إلى رأي المعتزلة فيه.

٧- في الإيمان مالوا إلى مذهب المرجئة وفي القدر يقولون بالكسب وإنكار التعليل، والتحسين والتقيح عندهم شرعي فقط وينفون العقلي.

٨- الإمامة والصحابة والسمعيات: من المعاد وأحوال يوم القيامة والجنة والنار والشفاعة، وعدم خلود أهل الكبائر في النار، فهذا يوافقون فيه مذهب أهل السنة

(١) المواقف في علم الكلام: الايجي، ص ٤٢٩.

والجماعة^(١).

ج - الماتريدية:

تأسس المذهب الماتريدي على يد أبي منصور الماتريدي^(٢)، والذي توفي ٣٣٣هـ والماتريدية نس، بة إليه ويعتبر مؤسس الاتجاه الكلامي في المذهب الحنفي، يليه في التأثير وتطوير المذهب أبو المعين النسفي^(٣).

والغريب أنه لا يوجد أي ذكر للماتريدية أو مؤسسها في كتب المقالات والفرق، ولم يشر أصحاب هذه الكتب إليه لا من قريب ولا من بعيد، فلم يتعرض لهذه الفرقة أي من هؤلاء ابتداء بأبي الحسن الأشعري مرورا بالبغداديين، وابن حزم وانتهاء بالشهرستاني، ولم يتطرق إليه كبار المؤرخين والمترجمين من أمثال ابن النديم وابن الأثير^(٤)، وابن خلكان والصفدي^(٥)، ولم يترجم له الذهبي في سير أعلام النبلاء، بل

(١) انظر: أثر علم الكلام على المنتسبين إليه وموقف أهل السنة والجماعة وكبار المتكلمين منه: وليد بن صالح بن عبدالقادر باصمد، ص ٨٠، رسالة ماجستير "مخطوطة"، قسم العقيدة، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى.

(٢) محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، نسبة إلى ما تريد محلة بسمرقند، من أئمة علماء الكلام له تصانيف منها: التوحيد وأوهام المعتزلة والرد على القرامطة ومآخذ الشرائع في أصول الفقه، والجدل وتأويلات أهل السنة، وغيرها. توفي سنة ٣٣٣هـ.

انظر: الأعلام للزركلي ١٩/٧.

(٣) أبو المعين النسفي (٥٠٠-٥٠٨هـ) ميمون بن محمد بن محمد بن معتمد بن محمد أبو المعين المكحولي من علماء ماوراء النهر له العديد من المصنفات منها "التفسير" و"التمهيد لقواعد التوحيد وتبصرة الأدلة انظر: الأعلام ٣٤١/٧.

(٤) ابن الأثير الجزري: هو أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري. رحل مرات عديدة رسولا من صاحب الموصل وفي طلب العلم، وكان اماما في حفظ الحديث والتواريخ والانساب صاحب "النهاية" و"جامع الأصول" وكتابه «الكامل» في التاريخ مشهور. توفي سنة ٦٣٠هـ بالموصل.

إن شيخ الإسلام ابن تيمية الذي اهتم بالرد على أهل البدع لم يورده في أي من كتبه، ويعد الرازي أول من أشار إليهم في كتابه (محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين) وسماهم بالحنفية^(١).

ويعلل الأستاذ: أحمد بن عوض الله الحربي^(٢) هذا الغياب للماتريدية ومؤسسها في كتب أهل المقالات والمؤرخين ببعدها عن مركز الخلافة، وبعدهم وجود قوة سياسية داعمة لها في تلك الفترة كما كان مع الأشاعرة والمعتزلة، وأيضا بعدم ارتحال مؤسسها إلى الحواضر الكبرى، والمراكز العلمية، يضاف إلى ذلك تأخر الأحناف في تأليف الطبقات الخاصة بعلمائهم^(٣).

أهم معتقداتهم:

الماتريدية لا تختلف كثيرا من حيث العقائد والآراء عن الأشاعرة^(٤) لذا يكتفى

= انظر: وفيات الأعيان ٣ / ٣٤٨، الأعلام: ٣ / ٣٤٨.

(١) خليل بن أيبك بن عبدالله الصفدي، صلاح الدين، ولد في صفد بفلسطين، سنة ٦٩٦هـ، تعلم في دمشق فعانى صناعة الرسم فمهر بها، ثم ولع بالأدب وتراجم الأعيان، تولى ديوان الإنشاء في صفد ومصر وحلب ثم وكالة بيت المال في دمشق. له مصنفات مفيدة منها: الوفي بالوفيات، ونكت الهميان، وجناس الجناس، والغيث المسجم. وغيرها. مؤرخ أديب، برع في الأدب وعنى بالتراجم، توفي في دمشق سنة ٧٦٤هـ.

انظر: الأعلام للزركلي ٢ / ٣١٥، طبقات الشافعية الكبرى للسخاوي ١٠ / ٥.

(٢) انظر: الماتريدية دراسة وتقويها: أحمد بن عوض الله بن داخل اللهبيسي الحربي، ص ٨١، ط الأولى، ١٤١٣هـ، دار العاصمة للنشر والتوزيع.

(٣) معاصر، عضو هيئة التدريس في كلية أصول الدين، جامعة الإمام بمدينة الرياض. من مؤلفاته: الماتريدية دراسة وتقويها.

(٤) انظر: المرجع السابق ص ٨٤.

(٥) انظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة: عبدالرحمن المحمود ٢ / ٤٨١.

بذكر ما تميزوا به عن الأشاعرة من مسائل وفوارق بإيجاز^(١):

المسألة الأولى: معرفة الله تعالى فالماتريدية قالت إنها واجبة بالعقل والأشاعرة قالوا إنها واجبة بالشرع.

المسألة الثانية: صفة الإرادة: ذهب الماتريدية أنها لا تستلزم الرضى والمحبة، وقال الأشاعرة أن الإرادة والرضى والمحبة بمعنى واحد.

المسألة الثالثة: صفة الكلام: ذهب الماتريدية إلى أن كلام الله لا يسمع إنما يسمع ما هو عبارة عنه فموسى إنما سمع صوتا وحروفا خلقها الله دالة على كلامه.

وقال الأشاعرة إنه يجوز سماع كلام الله وأن ماسمعه موسى عليه السلام هو كلام الله تعالى النفسي.

المسألة الرابعة: صفة التكوين: قالت الماتريدية إن التكوين صفة أزلية لله تعالى، وأن التكوين غير المكون، وذهب الأشاعرة إلى أن التكوين ليس صفة لله تعالى بل هو أمر اعتباري.

المسألة الخامسة: التكليف بما لا يطاق يرى الماتريدية أنه لا يجوز التكليف بما لا يطاق بينما جمهور الأشاعرة يرى جواز ذلك.

المسألة السادسة: الحكمة والتعليل: يرى الماتريدية أن الحكمة لازمة لأفعال الله تعالى ولا يجوز أن تنفك عنها بينما ينفي الأشاعرة ذلك وأن أفعاله ليست معللة بالأغراض.

المسألة السابعة: التحسين والتقبيح: ذهب الماتريدية إلى أنهما يكونان بالعقل والأشاعرة قالوا لا يعرفان إلا بالشرع

المسألة الثامنة: الاستطاعة: ذهب جمهور الماتريدية إلى أن الاستطاعة تقع على

(١) انظر: الماتريدية دراسة وتقويماً: أحمد بن عوض الله بن داخل اللهيبي الحربي، ص ٤٩٨-٥٠١.

نوعين:

الأولى: سلامة الأسباب والآلات وهي تتقدم الفعل.

الثانية: الاستطاعة التي يتهيأ بها الفعل، وتكون مع الفعل.

وأما الأشاعرة فقد ذهبوا أن الاستطاعة لا تكون إلا مع الفعل ولا يجوز أن تتقدمه ولا أن تتأخر عنه.

المسألة التاسعة: الكسب: فقالت الماتريدية أن المؤثر في أصل الفعل قدرة الله والمؤثر في صفة الفعل قدرة العبد، وأما الكسب عند الأشاعرة هو أن أفعال العباد الاختيارية واقعة بقدرة الله تعالى وحده، وليس لقدرتهم تأثير فيها

المسألة العاشرة: إيمان المقلد: ذهبت الماتريدية إلى أن من اعتقد أركان الدين تقليداً يكون إيمانه صحيحاً، وأما الأشاعرة فذهبوا إلى عدم صحة إيمان المقلد.

❖ رابعاً: ابن خلدون والفرق الكلامية "دراسة تطبيقية":

توطئة:

يعد ابن خلدون من أبرز من ترك بصمات واضحة في علم الكلام كما تقول الدكتورة: منى أبو زيد^(١) وأنه دشّن مرحلة انتقال العلم من تصور العصور الوسطى إلى تصور عصور النهضة، وما تلاها من فكر حديث^(٢).

لم تكن علاقة ابن خلدون بعلم الكلام طارئة، بل كان ذلك في مرحلة مبكرة من

(١) منى أحمد محمد أبو زيد، معاصرة، الفكر الكلامي عند ابن خلدون، والتصور الذري في الفكر الفلسفي الإسلامي، والفكر الديني عند زكي نجيب محمود، والإنسان في الفلسفة الإسلامية: دراسة مقارنة في فكر العامري.

(٢) انظر: الفكر الكلامي عند ابن خلدون: منى أبو زيد، ص ٢٤٠، ط الأولى، ١٩٧٧م، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

حياته العلمية، فكانت من أوائل تصنيفاته (لباب المحصول في أصول الدين) وهو تلخيص لكتاب الرازي (محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكام والمتكلمين) بإشارة من أستاذه الآبلي وتحت إشرافه^(١) يقول: "فاختصرته وهذبتة، وحذو ترتيبه رتبته وأضفت إليه ما أمكن من كلام الإمام الكبير، نصير الدين الطوسي^(٢) وقليلًا من بنيات أفكاره وعبرت عنهما بـ" ولقائل أن يقول: "وسميته لباب المحصل"^(٣).

وقد قسمه إلى أربعة أركان عرض في ركنها الأول المقدمات من بدييات ونظر ودليل، وفي الثاني عرض مسائل الوجود والموجودات، الواجب والممكن، الجوهر والأعراض، القديم والحادث والواحد والكثرة والعلة والمعلول أما القسم (الركن) الثالث فمسائله كلامية خالصة تدور حول الذات الإلهية والأدلة على وجود الله تعالى وصفاته وأفعاله، وأسائه تعالى، أما القسم الرابع (الركن) فإنه تعرض فيه إلى مسائل عدة كالنبوة والآخرة والإمامة.

وقد تناول ابن خلدون الكلام في مصنف آخر له وهو (شفاء السائل وتهذيب المسائل) وإن كان الموضوع الرئيسي لهذا الكتاب هو عن التصوف، إلا أنه يسلط الضوء على مسائل مشتركة بين مجال علم الكلام والتصوف مثل

(١) انظر: لباب المحصول في أصول الدين: ابن خلدون، تحقيق: عباس محمد سليمان، راجعه: محمد علي أبوريان، تصدير: فتحي أبو عيانة، ص ٦١، ط ١٩٩٦م، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر .

(٢) النصير الطوسي: (٥٩٧ - ٦٧٢هـ) محمد بن محمد بن الحسن، أبو جعفر، نصير الدين الطوسي: فيلسوف. كان رأساً في العلوم العقلية، علامة بالارصاد والمجسطي والرياضيات. اتخذ خزانة ملاحاً من الكتب التي نهبت من بغداد والشام والجزيرة، اجتمع فيها نحو أربعمئة ألف مجلد، من مؤلفاته: شكل القطع يقال له تربع الدائرة وتجريد العقائد، يعرف بتجريد الكلام، وتلخيص المحصل، وحل مشكلات الاشارات والتنبيهات لابن سينا.

انظر: الأعلام: ٣٠ / ٧ .

(٣) المرجع السابق ص ٦١ .

الأخبار بالمغيبات^(١).

وتبقى مقدمة تاريخه هي الأبرز في هذا الجانب حيث تمثل قمة نضجه الفكري وقد خصص فيها فصلين طويلين، لتناول علم الكلام الأول وعنوانه بـ "علم الكلام"^(٢) تحدث فيه عن نشأة هذا العلم معرفاً به تعريفاً يكاد هو الأشهر.

كما تكلم عن الذات والصفات، وتحدث عن أهم المدارس الكلامية وأشهر شخصيات كل مدرسة.

أما الفصل الآخر الذي عقده فهو بعنوان "كشف الغطاء عن المتشابه من الكتاب والسنة وما حدث لأجل ذلك من طوائف السنة والمبتدعة في الاعتقادات"^(٣)، وقد أورد فيه أنواع المتشابه وخاصة في ما يتعلق بالآيات والأحاديث، التي فيها إشارة إلى الله تعالى بصفة، يفهم منها أن ظاهرها التجسيم.

والتركيز سيكون على ماورد في مقدمة تاريخه لأنه اجتمع فيها ما تفرق في غيرها مع تركيز وثناء لا يتوفر في مؤلفاته الأخرى.

بعد أن قام بتعريف علم الكلام "علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية، والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف، وأهل السنة"^(٤).

بدأ في الاستدلال على التوحيد عن طريق تسلسل الأسباب، وأنه لا بد من مسبب ليس بعده آخر ولا يمكن أن يكون إلا الله ﷻ، وأن تصور ذلك أمر اضطراري في نفوس البشر، وأنه لا يمكن الإحاطة أو حصر هذه التصورات فهي أوسع من نطاق

(١) انظر: شفاء السائل وتهذيب المسائل: ابن خلدون، ص ١٠٠.

(٢) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون/١/٣٥٠.

(٣) المرجع السابق ١/٣٦٢.

(٤) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون/١/٣٥٠.

النفس، وأن وجه تأثير هذه الأسباب في الكثير من مسبباتها مجهول، ولذلك أمرنا بقطع النظر عنها وإغائها جملة والتوجه إلى مسبب الأسباب كلها وفاعلها وموجدتها لترسخ صيغة التوحيد في النفس^(١)

ثم يقول: "ولا تثقن بما يزعم لك أن الفكر من أنه مقتدر على الإحاطة بالكائنات وأسبابها، والوقوف على تفصيل الوجود كله، وسفه رأيه في ذلك"^(٢).

ثم يقرر ما هو ما مطلوب من كل ذلك "أن المطلوب في التكاليف كلها حصول ملكة راسخة في النفس ينشأ عنها علم اضطراري للنفس، هو التوحيد وهو العقيدة الإيمانية"^(٣).

ثم يبين هذه العقائد والتي لا تخرج عن ماعليه جمهور الأشاعرة. فيقول: "اعلم أن الشارع لما أمرنا بالإيمان بهذا الخالق، الذي رد الأفعال كلها إليه، وأفرده بها كما قدمناه، وعرفنا أن في هذا الإيمان نجاتنا عند الموت إذا حضرنا، لم يعرفنا بكنه حقيقة هذا الخالق المعبود، إذ ذلك متعذر على إدراكنا ومن فوق طورنا. فكلفنا: أولاً، اعتقاد تنزيهه في ذاته عن مشابهة المخلوقين، وإلا لما صح أنه خالق لهم، لعدم الفارق على هذا التقدير، ثم تنزيهه عن صفات النقص، وإلا لشابه المخلوقين، ثم توحيده بالاتحاد، وإلا لم يتم الخلق للتمانع، ثم اعتقاد أنه عالم قادر، فبذلك تتم الأفعال شاهد قضيته لكمال الإيجاد والخلق، ومريد وإلا لم يخص شيء من المخلوقات، ومقدر لكل كائن، وإلا فالإرادة حادثة. وأنه يعيدنا بعد الموت تكميلاً لعنايته بالإيجاد، ولو كان للغناء الصرف كان عبثاً، فهو للبقاء السرمدي بعد الموت. ثم اعتقاد بعثة الرسل للنجاة من شقاء هذا المعاد، لاختلاف أحواله بالشقاء والسعادة، وعدم معرفتنا بذلك، وتمام لطفه بنا في الإنباء بذلك، وبيان الطريقتين. وأن الجنة للنعيم وجهنم للعذاب. هذه

(١) انظر: تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون/١/٣٥٠.

(٢) المرجع السابق ص ٢٨٧.

(٣) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون/١/٣٥٣.

أمهات العقائد الإيمانية، معللة بأدلتها العقلية، وأدلتها من الكتاب والسنة كثيرة. وعن تلك الأدلة أخذها السلف وأرشد إليها العلماء وحققتها الأئمة" (١)

فهو يقرر ما يعتبره عقائد ثم يبرر حدوث الكلام كردة فعل على الخوض في تفاصيل هذه العقائد، مردها حسب رأيه إلى الآي المتشابهة فابن خلدون هنا يعترف بأن علم الكلام كان حادثاً (٢).

أ- محطات هامة :

تتبع ابن خلدون بداية ظهور المدرسة الكلامية ، إلى أن وصلت إلى نقطة الجمود واختلاط الكلام بالفلسفة .

وتتميز استعراضه لتاريخ الفكر الكلامي ، وأبرز محطاته بجعل المقياس -العقدي- هو عماد تصنيفه ، وإن كان لا يغفل كلياً العامل الزمني .

● السلف من الصحابة والتابعين :

هذه المحطة اتسمت بالصفاء، وعدم ظهور أي شبه بل وصف من ظهر في تلك الفترة بالشذوذ "وشذ لعصرهم مبتدعة اتبعوا ماتشابه من الآيات" (٣).

وإن كان يعتبرهم مفوضة "فأما السلف من الصحابة والتابعين، فأثبتوا له صفات الألوهية والكمال وفوضوا إليه ما يوهم النقص ساكتين عن مدلوله" (٤).

ويؤكد على هذا في مكان موضع آخر فيقول: "وإنما مذهب السلف ما قررناه

(١) المرجع السابق ص ٣٥٤ .

(٢) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون / ١ / ٣٥٤ .

(٣) المرجع السابق: نفس الصفحة .

(٤) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون / ١ / ٣٦٤ .

أولاً من تفويض المراد بها إلى الله، والسكوت عن فهمها"^(١) يقصد الصفات.

وهذه الفترة تعتبر عنده هي المعيار لما يجب عليه أن تكون الأمة وإن كان يعتبر أصحابه من الأشاعرة استمراراً لتلك الفترة، وأن طريقتهم هي طريقة السلف "وقد اختلف الناس في هذه الظواهر من بعد السلف الذين قررنا مذهبهم"^(٢) يقصد آراء ومعتقدات الأشاعرة التي قررها في أكثر من موضع من كتابه.

● الاضطراب:

وفيها تنازع الناس في قضايا الأحكام والإيمان، ولم يكن هناك مذهب كلامي واضح الأصول، زمن آخر الصحابة وكبار التابعين، وإلى هذه الفترة أشار ابن خلدون، بعد ذكره للحالة الكلامية في عصر السلف من الصحابة "ثم اختلف الناس من بعدهم"^(٣).

واتسمت بكثرة الخوض في الأسماء والصفات، وبداية ظهور القدرية على يد معبد الجهني^(٤).

● ظهور المعتزلة:

وهي الأهم في مسيرة علم الكلام والفرق الكلامية وحقيقة أن ابن خلدون مضطرب في هذه الجزئية فهو أحياناً يغفل دورهم، وكأنهم حالة عابرة مرت على النسق الكلامي العام، ولم تؤثر فيه إلا بقدر محدود يتمثل في جانب الرد عليهم يقول: "ثم لما كثرت العلوم والصنائع وولع الناس بالتدوين والبحث في سائر الأنحاء،

(١) المرجع السابق ص ٦٥.

(٢) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون ١/٣٦٣.

(٣) المرجع السابق ١/٣٦٤.

(٤) انظر: تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون ١/٣٦٤.

وألف المتكلمون في التنزيه، حدثت بدعة المعتزلة^(١)، فهم هنا وإن كان يعتبرهم مرحلة إلا أنها عابرة وغير مؤثرة في النسق العام، ونراه يكرر نفس المعنى وهو أشبه ما يكون بدور التجاهل، وذلك بعد أن ذكر الاختلاف في صفات الألوهية ضمن سرده لتسلسل الموضوع، يقول: "وجاء المعتزلة فأثبتوا هذه الصفات أحكاما ذهنية مجردة"^(٢).

ومع هذا تجده في مواضع أخرى وهنا الاضطراب ينسب علم الكلام كله إلى المعتزلة وعلى رأسهم إبراهيم النظام^(٣) والجاحظ^(٤) والكعبي^(٥) والجبائي^(٦) ثم أردف

(١) المرجع السابق ص ٣٥٥.

(٢) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون ١/٣٦٤.

(٣) النظام: (٢٣١-٠٠هـ) إبراهيم بن سيار بن هانئ البصري شيخ المعتزلة، تكلم في القدر وانفرد بمسائل من طلابه الجاحظ، نسبت إليه فرقة من المعتزلة "النظامية" من تصانيفه كما ذكر الذهبي: "الطفرة" و"الجواهر والأعراض" و"الوعيد" و"النبوة". قال عنه الذهبي "ولم يكن النظام ممن نفعه العلم والفهم، وقد كفره جماعة".

انظر: سير أعلام النبلاء: ١٠/٥٤٢، الأعلام: ١/٤٣.

(٤) الجاحظ: (١٦٣-٢٥٥هـ) عمرو بن بحر بن محبوب الكناني ولاء الشهير بالجاحظ أحد رؤوس المعتزلة تسمت به فرقة منهم، وهو أئمة الأدب الكبار له تصانيف كثيرة من أهمها: "البيان والتبيين" و"الحيوان" و"البخلاء" ومجموع الرسائل.

انظر: سير أعلام النبلاء: ١/٥٢٦، الأعلام: ٥/٧٤.

(٥) الكعبي: (٢٧٣-٣١٩هـ) عبدالله بن أحمد بن محمود الكعبي أبو القاسم أحد أئمة المعتزلة، وكان رأس طائفة منهم وله آراء ومقالات انفرد بها له مصنفات منها: "التفسير" و"تأييد مقالة أبي الهذيل" و"المقالات".

انظر: سير أعلام النبلاء: ١٤/٣١٣، الأعلام: ٤/٦٥.

(٦) الجبائي: (٢٣٥-٣٠٣هـ) أبو علي محمد بن عبد الوهاب بن سلام من رؤساء الاعتزال، وإليه تنسب طائفة "الجبائية". خلفه ابنه أبو هشام وهو أيضا أحد أئمة المعتزلة.

مصنفاته كثيرة منها: "الأصول" التعديل والتجويد "الأسماء والصفات" الرد على ابن كلاب".

يقول: "وكانت طريقتهم تسمى علم الكلام"^(١).

بل يعتبر أن الحسن الأشعري وهو الذي نعته بإمام المتكلمين لم يقم بالتصدي لهذه العلم القائم على الأدلة العقلية، إلا للرد على هذه البدع التي أحدثها المعتزلة^(٢).

ورغم كل الاضطراب الذي في مقاربة ابن خلدون لدور المعتزلة في علم الكلام، إلا أنه يعتبرهم أساس هذه المرحلة، فبعد أن استعرض فترات الصفاء والتي كان يمثلها السلف من الصحابة والتابعين، وبعد ذكر مرحلة الاختلاف والاضطراب، أردف ذلك كله بقوله "ثم جاء إبراهيم النظام وقال بالقدر، واتبعوه، وطالع كتب الفلاسفة وشدد في نفي الصفات وقرر قواعد الاعتزال"^(٣).

● التأسيس:

وظهور المدرسة الأشعرية على يد أبي الحسن الأشعري، والذي يعيد إليه ابن خلدون الفضل في قيام مدرسة الكلام، ويطلق عليه لقب إمام المتكلمين "وكان على رأي عبدالله بن سعيد بن كلاب وأبي العباس القلانسي والحارث المحاسبي"^(٤).

ووصف ما قام به من جهود في بناء هذه الطريقة "فتوسط بين الطرق، ونفى التشبيه وأثبت الصفات المعنوية وقصر التنزيه على ما قصره عليه السلف، وشهدت له الأدلة المخصصة لعمومه... إلخ"^(٥).

ويجعل ابن خلدون القاضي أبابكر الباقلاني ضمن هذه المحطة المفصلية ويصف

= انظر: سير أعلام النبلاء: ١٤/١٨٣، الأعلام: ٦/٢٥٦.

(١) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون ١/٣٦٤.

(٢) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون ١/٣٥٥.

(٣) المرجع السابق ١/٣٦٤.

(٤) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون ١/٣٦٤.

(٥) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون ١/٣٦٤.

دوره "فتصدر للإمامة في طريقتهم، وهذبها ووضع المقدمات العقلية"^(١).

ويفهم من خلال السياق أن إمام الحرمين الجويني يشكل امتدادا لهذا النسق الفكري - نسق البناء - وأنه لا يختلف عن القاضي أبي بكر الباقلاني^(٢) ولم يذكر أمرا تفرد به واكتفى بقوله "ثم جاء بعد القاضي أبي بكر الباقلاني من أئمة الأشعرية إمام الحرمين أبو المعالي، فأمل في الطريقة كتاب الشامل وأوسع القول فيه، ثم لخصه في كتاب الإرشاد واتخذة الناس إماما لعقائدهم"^(٣).

• التمازج بين الفلسفة وعلم الكلام .

و بدأت عند الغزالي وتمثلت في دخول المنطق في الملة، وهذه المرحلة لا يرضى عنها ابن خلدون بل يعتبرها أنها مباينة للطريقة التي سار عليها المتكلمون الأوائل، واتهم أرباب هذه الطريقة بإدخال الفلسفة في علم الكلام وأن طريقتهم أصبحت مطابقة لمذاهب المبتدعة "وربما أدخلوا فيها الرد على الفلاسفة فيما اختلفوا فيه من العقائد الإيمانية، وجعلوهم من خصوم العقائد، لتناسب الكثير من مذاهب المبتدعة ومذاهبهم"^(٤).

ومن رموز هذا التوجه الرازي^(٥) أما متأخرو هذه الطريقة كالبيضاوي^(٦)

(١) المرجع السابق ص ٣٥٦ .

(٢) القاضي الباقلاني: (٣٣٨ - ٤٠٣ هـ) محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر، أبو بكر: قاض، من كبار علماء الكلام. انتهت إليه الرياسة في مذهب الأشاعرة. ولد في البصرة، وسكن بغداد فتوفي فيها.

من كتبه: إعجاز القرآن، والإنصاف ومناقب الأئمة ودقائق الكلام.

انظر: الأعلام: ٦ / ١٧٦ .

(٣) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون / ١ / ٣٥٦ .

(٤) المرجع السابق ونفس الصفحة .

(٥) الفخر الرازي: (٥٤٤ - ٦٠٦ هـ) محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، أبو عبد الله، فخر

الدين الرازي: الإمام المفسر. أوجد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الاوائل. وهو قرشي النسب. أقبل

فوصفهم ابن خلدون بأنهم خلطوا علم الكلام بالفلسفة بحيث لا يتميز أحد الفنين عن الآخر ولا يحصل عليه طالبه من كتبهم حيث يقول: "ولقد اختلطت الطريقتان عند هؤلاء المتأخرين، والتبست مسائل الكلام، بمسائل الفلسفة، بحيث لا يتميز أحد الفنين عن الآخر ولا يحصل عليه طالبه من كتبهم كما فعله البيضاوي في الطوالع"^(١). ويرى ابن خلدون أن هذه المرحلة لا تمثل طريقة السلف في عقائد الكلام والتي جعل أصلها كتاب الإرشاد وما حدا حذوه^(٢).

ب- الفرق الكلامية التي تناولها ابن خلدون:

معظم الإنتاج الكلامي لابن خلدون مكرس لتقرير مذهب الأشاعرة والدفاع عنه بل تعريفه لعلم الكلام ينص على ذلك "والرد على المبتدعة والمنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة"^(٣).

فوظيفة علم الكلام عنده تقديم الدليل العقلي على صحة العقائد الإيمانية ردا على الملحددين والمبتدعين، لا تأييدا للعقائد بإطلاق، لأن العقائد عنده أمور مفروض

= الناس على كتبه في حياته يتدارسونها. وكان يحسن الفارسية. من تصانيفه: "مفاتيح الغيب" ثماني مجلدات في تفسير القرآن الكريم، ولوامع البينات في شرح أسماء الله تعالى والصفات. انظر: الأعلام: ٦ / ٣١٣.

(١) عبدالله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي، أبو سعيد، أو أبو الخير، ناصر الدين البيضاوي: قاض، مفسر، علامة. ولد في المدينة البيضاء قرب شيراز) وولي قضاء شيراز مدة. وصرف عن القضاء، فرحل إلى تبريز فتوفي فيها. من تصانيفه: أنوار التنزيل وأسرار التأويل يعرف بتفسير البيضاوي، وطوالع الانوار في التوحيد، ومنهاج الوصول إلى علم الاصول.

انظر: الأعلام: ٤ / ١١٠.

(٢) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون ١ / ٣٥٧.

(٣) المرجع السابق نفس الصفحة.

(٤) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون ١ / ٣٥٠.

صدقها^(١)

وخلاصة الموضوع أن ابن خلدون لم يتناول فرقة معينة بالاسم ويفصل مقالاتهم أو يرد عليهم إلا أقوالا متناثرة هنا وهناك ينسبها للمعتزلة أو المحدثين من متأخري الحنابلة كما يسميهم وأيضا أقوال يسندها للمشبهة وفي مايلي نورد ما ذكره عنهم:

١- المعتزلة:

ذكر أنهم ينفون صفات المعاني من العلم والقدرة والإرادة والحياة زائدة على أحكامها، وأنهم قالوا بخلق القرآن "حدثت بدعة المعتزلة، في تعميم هذا التنزيه في أي السلوب، فقضوا بنفي صفات المعاني من العلم والقدرة والإرادة والحياة، زائدة على أحكامها، لما يلزم ذلك من تعدد القديم بزعمهم، وهو مردود بأن الصفات ليست عين الذات ولا غيرها، وقضوا بنفي صفة الإرادة فلزمهم نفي القدر لأن معناه سبق الإرادة للكائنات وقضوا بنفي السمع والبصر لكونهما من عوارض الأجسام. وهو مردود لعدم اشتراط البيئنة في مدلول هذا اللفظ، وإنما هو إدراك للمسموع أو المبصر. وقضوا بنفي الكلام لشبهه ما في السمع والبصر، ولم يعقلوا صفة الكلام التي تقوم بالنفس، فقضوا بأن القرآن مخلوق، وذلك بدعة صرح السلف بخلافها وعظم ضرر هذه البدعة، ولقنها بعض الخلفاء عن أئمتهم، فحمل الناس عليها. وخالفهم أئمة السلف، فاستحل لخلافهم أيسار كثير منهم ودماءؤهم."^(٢)

هذا في ما يخص آراءهم أما الإشارة إليهم دون ذكر معتقدتهم فهذا تكرر كثيرا لكن في سياق تاريخي لا علاقة له بهذا المبحث

(١) انظر: الفكر الكلامي عند ابن خلدون: منى أبوزيد، ص ٣٣.

(٢) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون/١/٣٦٤.

٢- المحدثين "متأخري الحنابلة":

ووصفهم بأنهم جماعة من أتباع السلف وأنهم لم يقوموا بتفويض الصفات بل حملوها على صفات ثابتة لله مجهولة الكيفية، وأنهم ولجوا من باب التشبيه في قولهم بإثبات الاستواء، وأنهم "يشنعون بإلزام التكليف بما لا يطاق"^(١).

ويواصل ابن خلدون انتقاد طريقة السلف في إثبات الصفات على الوجه اللائق به ﷺ من غير تكييف ولا تمثيل ويسميه محملاً ويصفه بالابتداع إلا أنه يعترف بأنه مطرد "ثم طردوا ذلك المحمل الذي ابتدعوه في ظواهر الوجه والعينين واليدين، والنزول والكلام بالحرف والصوت يجعلون لها مدلولات أعم من الجسمانية وينزهونه عن مدلول الجسماني منها. وهذا شيء لا يعرف في اللغة. وقد درج على ذلك الأول والآخر منهم. ونافرهم أهل السنة من المتكلمين الأشعرية والحنفية. ورفضوا عقائدهم في ذلك، ووقع بين متكلمي الحنفية ببخارى وبين الإمام محمد بن إسماعيل البخاري ما هو معروف"^(٢)

٣- المشبهة:

وكان ما أورده عنهم مختصراً وذكر أنهم من غلاة المحدثين وحكم عليهم بالكفر وقال عنهم " وفي المحدثين غلاة يسمون المشبهة لتصريحهم بالتشبيه، حتى إنه يحكى عن بعضهم أنه قال: اعفوني من اللحية والفرج وسلوا عما بدا لكم من سواهما. وإن لم يتأول ذلك لهم، بأنهم يريدون حصر ما ورد من هذه الظواهر الموهمة، وحملها على ذلك المحمل الذي لأئمتهم، وإلا فهو كفر صريح والعياذ بالله."^(٣)

والحاصل أن ابن خلدون لم يفصل في ما يتعلق بمقالات أهل الكلام وهو

(١) المرجع السابق ص ٣٦٥ .

(٢) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون /١ / ٣٦٥ .

(٣) المرجع السابق: ص ٣٦٦ .

بنفسه يعترف بذلك "وإنما أو ماناً إلى ذلك إيحاء يتميز به فصول المقالات وجملها"^(١).
ويبرر ذلك بأن كتب السنة مشحونة بالحجاج عن هذه البدع^(٢).

❖ خامساً: تحليل ومناقشة:

من خلال تعريف ابن خلدون لعلم الكلام يتضح وبجلاء المدرسة التي ينتمي إليها ابن خلدون وهي الأشعرية، وبالتحديد في طورها الذي يبدأ بمؤسسها أبي الحسن الأشعري وينتهي عند أبي المعالي الجويني، فهو يجزم بصحة عقائد أصحابها، في مقابل خطأ عقائد مخالفيها وعضدهم من المبتدعة^(٣) الذين ما استحدث علم الكلام في الملة إلا لمواجهتهم وردهم إلى عقيدة أهل السنة والجماعة، مستعملين في ذلك كما يبدو من التعريف المنهج العقلي، وبهذا يصبح خصوم الأشاعرة وحججهم باطلة، وعقائدهم مبتدعة يجب التخلي عنها^(٤).

بل يسرد مجمل عقائد الأشاعرة معتبراً أنها الصحيحة ناسباً إياها إلى السلف، ومقررراً لها باعتبارها الحكم على غيرها فيقول: "اعلم أن الله سبحانه وصف نفسه في كتابه بأنه عالم، قادر، مريد، حي، سميع، بصير متكلم، جليل، كريم، جواد، منعم، عزيز، عظيم. وكذا أثبت لنفسه اليدين والعينين والوجه والفم واللسان، إلى غير ذلك من الصفات: فمنها ما يقتضي صحة ألوهية، مثل العلم والقدرة والإرادة، ثم الحياة التي هي شرط جميعها، ومنها ما هي صفة كمال، كالسمع والبصر والكلام، ومنها ما يوهم النقص كالاستواء والنزول والمجيء، وكالوجه واليدين والعينين التي هي صفات المحدثات. ثم أخبر الشارع أنا نرى ربنا يوم القيامة كالقمر ليلة البدر، لا

(١) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون/١/٣٦٦.

(٢) انظر: المرجع السابق نفس الصفحة.

(٣) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون/١/٣٥٠.

(٤) انظر: ابن خلدون ومنايع الحداثة: ندوة علمية، ورقة ساعد خميسي/١/١١٢.

نظام في رؤيته كما ثبت في الصحيح^(١)»^(٢).

والعجيب أن ابن خلدون لا يكف عن نسبة أي قول لأصحابه من الأشاعرة إلى السلف.

فقد استبق النص الفائق بأن هذا هو مذهب السلف، إلا أنه كثيرا ما يقع في التناقض والاضطراب، وخاصة في مسألة التفاوت في الإيمان الذي لا يقول به إلا أنه يقر بأنه من أقاويل السلف "يقع التفاوت في الإيمان كالذي يتلى عليك من أقاويل السلف"^(٣)

وتجده يقع في نفس التناقض والاضطراب: فهو عندما يقرر مذهب أصحابه في تأويل الصفات، وإعادة المعنى إلى المفهوم المجازي جريا على عادة العرب مستشهدا بقوله تعالى ﴿يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَآقَامَهُ﴾ [الكهف: ٧٧] مستنكرا طريقة المحدثين والمتأخرين من الحنابلة كما أطلق عليهم، يعترف في نفس الوقت، بأن طريقتهم في التأويل مخالفة لمذهب السلف الذي يردد دائما أن مذهبهم امتداد لطريقتهم "وإن كان مخالفا لمذهب السلف في التفويض"^(٤).

مبرررا مذهبهم التأويلي بأنه فرار من التشبيه الذي وقع فيه أهل الحديث ومتأخرو الحنابلة.

وابن خلدون قرر في أكثر من موضع:^(٥) أن مذهب السلف من الصحابة

(١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب التوحيد رقم: (٧٤٣٤)، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة رقم: (٦٣٣).

(٢) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون/١/٣٦٣.

(٣) المرجع السابق ص ٣٥٣.

(٤) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون/١/٣٣٦.

(٥) انظر: ص: ٣٥٤، ٣٦٤، ٣٦٥ من المرجع السابق

والتابعين في ما يتعلق بالصفات هو "التفويض" وهذا ولا شك أنه واضح البطلان بل السلف كما قرروا في كتبهم يثبتون الصفات من غير تكييف ولا تمثيل^(١).

ثم إن هناك نوع من الإهمال كما تمت الإشارة إليه سابقا، لدور المعترلة في علم الكلام، فهو لا يعترف لهم بالريادية في هذا الفن.

وإن كان الأستاذ: عبد الجليل سالم^(٢) يرى أنه يمكن التقليل من اهمال ابن خلدون للمعترلة في تاريخ علم الكلام بالعودة إلى ما كتبه في فصل "كشف الغطاء" إذ يعتبر مكملا لفصل "علم الكلام" وبذلك يمكن تعديل الحكم الصادر في شأن ابن خلدون في هذه الجزئية^(٣).

واللافت للإنتباه في تعامل ابن خلدون مع علم الكلام، أنه يقلل منه ولم تعد له أي ضرورة وخاصة بعد انقراض الملاحدة والمبتدعة يقول: "والأئمة من أهل السنة كفونا شأنهم فيما كتبوا ودونوا"^(٤).

وهو يرفض تماما "علم الكلام في مراحلها الأخيرة" وأنه أصبح بعيدا كل البعد

(١) انظر: العقيدة الطحاوية: الطحاوي، تخرّيج وتعليق: الألباني، ص ٣٤، ط الثانية، ١٤١٤ هـ، المكتب الإسلامي، بيروت.

وأياضا: العقيدة الواسطية: ابن تيمية، تحقيق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، ص ٥٧، ط الثانية، ١٤٢٠ هـ، أضواء السلف، الرياض.

(٢) عبد الجليل سالم رئيس جامعة الزيتونة، تحصل على البكالوريا آداب سنة ١٩٧٩ م والتحق بالكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين في نفس التاريخ ومنها حصل على الأستاذية في أصول الدين سنة ١٩٨٣ م، حصل على دبلوم الدراسات العليا سنة ١٩٨٤ ثم سجل بشعبة الفلسفة بكلية الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة وحصل منها على الأستاذية في الاختصاص المذكور، حاز على شهادة الدكتوراة في أصول الدين وكانت أطروحته «التأويل عند الغزالي نظرية وتطبيقا» ثم التحق بالجامعة كأستاذ مساعد سنة ١٩٨٩ وأصبح محاضرا سنة ٢٠٠٥ وأستاذ تعليم عال سنة ٢٠١١.

(٣) انظر: ابن خلدون ومنابع الحداثة: ١/ ٢٩٥.

(٤) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون ١/ ٣٥٧.

عن النهج الذي يجيب أن يسير عليه وأن العقل معزول عن الشرع وأنظاره وأن الأصل في الشرع هو التلقي عن السلف " ولما وضع المتأخرون في علوم القوم ودونوا فيها، ورد عليهم الغزالي مارده منها، ثم خلط المتأخرون من المتكلمين مسائل علم الكلام بمسائل الفلسفة لاشتراكهما في المباحث، وتشابه موضوع علم الكلام بموضوع الإلهيات ومسائله بمسائلها، فصارت فنا واحداً. ثم غيروا ترتيب الحكماء في مسائل الطبيعيات والإلهيات وخلطوهما فنا واحداً قدموا فيه الكلام في الأمور العامة، ثم أتبعوه بالجسمانيات وتوابعها ثم بالروحانيات وتوابعها، إلى آخر العلم، كما فعله الإمام ابن الخطيب في المباحث المشرقية، وجميع من بعده من علماء الكلام.

وصار علم الكلام مختلطاً بمسائل الحكمة، وكتبه محشوة بها، كأن الغرض من موضوعها ومسائلها واحد. والتبس ذلك على الناس، وهو صواب، لأن مسائل علم الكلام إنما هي عقائد متلقاة من الشريعة، كما نقلها السلف من غير رجوع فيها إلى العقل ولا تعويل عليه، بمعنى أنها لا تثبت إلا به. فإن العقل معزول عن الشرع وأنظاره. وما تحدث فيه المتكلمون من إقامة الحجج، فليس بحثاً عن الحق فيها ليعلم بالدليل بعد أن لم يكن معلوماً هو شأن الفلسفة، بل إنما هو التماس حجة عقلية تعضد عقائد الإيوان ومذاهب السلف فيها" (١)

وترى الدكتورة: منى أبوزيد أن ابن خلدون انتهى في موقفه من الكلام إلى طريقة وسطية بين الاتجاه السلفي الذي يتشكك في قدرة العقل على المعرفة، والاتجاه الأشعري الذي يغلب الاتجاه الصوفي (٢)

ويمكن الخروج بالنتائج التالية:

- الجانب الكلامي موجود وبقوة في أبرز مصنفات ابن خلدون "مقدمة تاريخه

(١) المرجع السابق ص ٣٩٤.

(٢) انظر: الفكر الكلامي عند ابن خلدون: منى أبوزيد، ص ٤١.

- الكبير "لباب المحصول في أصول الدين" شفاء السائل وتهذيب المسائل".
- عصارة الفكر الكلامي عند ابن خلدون ذكره في المقدمة.
- ينطلق ابن خلدون من مسلميات تعتمد بالدرجة الأولى على مذهبه الأشعري وخاصة في مرحلته الأولى.
 - فكره الكلامي يصب في معظمه على تقرير -مذهب الأشاعرة-.
 - هناك إقصاء وتهميش واضح لدور المعتزلة في نشوء علم الكلام وإن كان كلامه في هذا الجانب مضطرباً.
 - يعتبر أبا الحسن الأشعري هو إمام المتكلمين وأنه كان على طريقة ابن كلاب والقلاسي والمحاسبي.
 - يؤرخ للفكر الكلامي ويرتبه على شكل تاريخي، ولو بطريقة غير مرتبة أو منظمة، إلا أنه يمكن اكتشاف ذلك بسهولة.
 - اعتبره مدرسة الأشاعرة التي ينتمي إليها امتداداً للسلف من الصحابة والتابعين
 - ينسب "التفويض" إلى مذهب السلف من الصحابة والتابعين ويتهم أهل الحديث والحنابلة بأنهم مشبهة.
 - لم يتناول بالاسم من الفرق الكلامية إلا "المعتزلة" و"المشبهة" و"المحدثين والحنابلة" لمن يعتبرهم مدرسة كلامية.
 - ينتقد ما آلت إليه مذاهب المتكلمين من اختلاط بالفلسفة
 - التقليل من أهمية علم الكلام وخاصة في عصره وأنه انتفت الحاجة إليه.

المبحث الرابع دراسته للتصوف والصوفية

❖ أولاً : التعريف والتسمية :

كانت حياة الرعيل الأول من الصحابة رضوان الله عليهم تتمتع بالبساطة لقربها من العهد النبوي، إضافة إلى عامل البساطة الذي كان مسيطراً على حياة العرب وأهل البادية بصفة عامة، وقلة الموارد المالية ووسائل الترفيه، وكانت حياتهم تعتمد على البحث وراء العشب والكأ، في الغالب الأعم وإن وجدت مراكز حضرية فهي عادة تكون متواضعة وبسيطة، وبعيدة عن حياة اللهو، وقد استمر هذا الأسلوب أو النمط في السلوك طوال العصر النبوي وعهد الخلفاء الراشدين، يعزز ذلك العامل الديني الذي طرأ على القوم وتغلغل في أعماقهم، فكان له الأثر الأبرز في تشكيل حياتهم، والبعد عن زخرف الدنيا والرغبة في ما عند الله والدار الآخرة، ثم ما لبثت بفضل الاحتكاك والاختلاط بالأمم الأخرى، وتدفق المال ووفرته أن برزت بعض مظاهر الترف واللهو، والانشغال بأمر الدنيا وانحياز التوازن الذي أسسه الرعيل الأول، بين حياتهم الفانية العابرة وبين حياتهم الباقية، فسادت في الحجاز " حياة الفرح والمرح والطرب" (١).

وكانت العراق والشام أقل انغماساً في حياة اللهو واللعب كما يقول أحمد أمين (٢).

وفي المقابل بدأ ظهور ما يمكن تسميته بردة فعل وكان على شكل طائفة من العباد معظمهم من الكوفة بالعراق كما سنرى لاحقاً، وإن كانت طريقتهم في البداية،

(١) فجر الإسلام: أحمد أمين، ص ١٧٦.

(٢) المرجع السابق نفس الصفحة.

لم تكن تختلف عن النمط السائد وقته في ما يتعلق بالسلوك والعبادة. وتعددت الآراء فيما يتعلق بالتصوف والصوفية، وما هو مدلول المصطلح حتى إن القشيري نفسه صاحب "الرسالة" احتار في المراد بالمصطلح، ولم يرجح أي قول. بعد أن ذكر الرويات التي تنسبهم إلى الصفة، أو الصوف أو الصف الأول أو أن ذلك ناتج عن الصفاء وشكك في ذلك كله وقال: "وليس يشهد لهذا الاسم من حيث العربية قياس ولا اشتقاق"^(١).

وتباينت الآراء في نسبة هذا المصطلح فقليل^(٢):

- ١- أنه نسبة إلى أهل الصفة.
 - ٢- نسبة إلى الصفاة من خلق الله.
 - ٣- نسبة إلى الصف المقدم بين يدي الله.
 - ٤- أنه نسبة إلى صوفة بن بشر بن أد بن طابخة.
 - ٥- أنه من الصفاء والنقاء.
 - ٦- أنه نسبة إلى الحكمة أخذاً من اشتقاق الكلمة اليونانية.
- ورجح شيخ الإسلام ابن تيمية بعد عرضه للأقوال وتفنيدها أنه نسبة

(١) الرسالة القشيرية في علم التصوف: تحقيق: مصطفى زريق، ص ٢٧٩، ط الأولى، ٢٠٠١م، المكتبة العصرية للطباعة والنشر.

(٢) انظر: الرسالة القشيرية في علم التصوف ص ٢٧٩.

وانظر: فتاوى ابن تيمية: جمع وترتيب: عبدالرحمن بن قاسم النجدي، ٦/١١، ط الأولى، ١٣٩٨هـ، مطابع الحكومة، المملكة العربية السعودية.

انظر: الصوفية معتقدا وسلوكا: صابر طعمة، ص ٢٣، ط الثانية، ١٩٨٥م، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية.

إلى الصوف^(١).

وإلى هذا القول مال ابن خلدون كما سيأتي إن شاء الله

ويذهب بعض المعاصرين إلى رفض أي قول غير هذا "صوف للدلالة على لبس الصوف، ومن ثم كان المتجرد لحياة الصوفية يسمى في الإسلام صوفيا وينبغي رفض ما عدا ذلك من الأقوال التي قال بها القدماء والمحدثون في أصل الكلمة"^(٢).

إلى أنه يمكن القول أن مفهوم الصوفية عبارة عن عدد من السلوكيات والطرق أصبح يطلق عليها مع مرور الزمن اسم التصوف، وإن كان التباين في ما بينها شديداً، وقد ذكر القشيري في "الرسالة" العديد من الآراء والأقوال في تعريف التصوف نقلاً عن من سبقه ممن ينسب إلى هذه الطريقة أو الطرق ومما ذكره:

١- الدخول في كل خلق سني، والخروج من كل خلق دني.

٢- أن يملك الحق عنك، ويحييك به.

٣- التصوف أخلاق كريمة، ظهرت في زمان كريم، من رجل كريم، مع قوم

كرام

٤- أن لا تملك شيئاً ولا يملكك شيء^(٣)

وورد تعريف لها في الموسوعة الشاملة في الأديان والمذاهب المعاصرة هذا نصه "التصوف حركة دينية انتشرت في العالم الإسلامي في القرن الثالث الهجري كنزعات فردية تدعو إلى الزهد وشدة العبادة كرد فعل مضاد للانغماس في الترف الحضاري. ثم تطورت تلك النزعات بعد ذلك حتى صارت طرقاً مميزة معروفة باسم الصوفية،

(١) انظر: فتاوى ابن تيمية، جمع وترتيب: عبدالرحمن بن قاسم النجدي، ٦/١١.

(٢) التصوف: ماسينيون ومصطفى عبدالرازق، ترجمة: دائرة المعارف الإسلامية، ص ٢٥، ط الأولى، ١٩٨٤م، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، بيروت، لبنان.

(٣) انظر: الرسالة القشيرية في علم التصوف: ص ٢٨٠.

ويتوخى المتصوفة تربية النفس والسمو بها بغية الوصول إلى معرفة الله تعالى بالكشف، والمشاهدة لا عن طريق اتباع الوسائل الشرعية، ولذا جنحوا في المسار حتى تداخلت طريقتهم مع الفلسفات الوثنية الهندية والفارسية واليونانية المختلفة.

ويلاحظ أن هناك فروقا جوهرية بين مفهومى الزهد والتصوف. أهمها: أن الزهد مأمور به، والتصوف جنوح عن طريق الحق الذي اختطه أهل السنة والجماعة." (١)

وهذا أوسع تعريف وقفت عليه.

❖ ثانياً: مراحل التصوف:

التصوف مر بمراحل فبدايته لم تكن إلا حالة من الزهد والعبادة، مع مبالغة عن ما كان سائداً في عصرهم، وكانت بداية هذه الظاهرة في البصرة كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (٢) وينص على أن منشأ التصوف كان في البصرة وأنه على يد مجموعة من العباد "وإذا عرف أن منشأ التصوف كان من البصرة، وأنه كان فيها من يسلك طريق العبادة والزهد مما له فيه اجتهاد، كما كان في الكوفة من يسلك طريق الفقه والعلم مما له فيه اجتهاد" (٣)

ويمكن تلخيص الأطوار التي مرت بها الصوفية على ثلاث مراحل أو أطوار:

المرحلة الأولى: الزهد والتنسك

تميزت هذه المرحلة بأنها تركز على الزهد في الحياة الدنيا والبعد عن متعتها،

(١) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة: إشراف ومراجعة: مانع الجهني ١/٢٥٣، ط الثالثة، ١٤١٨هـ، دار الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، مكة المكرمة .

(٢) انظر: فتاوى ابن تيمية: ٦/١١ .

(٣) المرجع السابق ص ١٦ .

وتعتمد على مجاهدة النفس للإستقامة على الطاعة^(١) أو مايمكن تسميتها بمرحلة الزهاد، والنسك الأوائل الذين كانوا ردة فعل على إقبال الناس على الدنيا، يجمعون منها ويتفاخرون، فكان ذلك سببا لأن يقوم فريق بالابتعاد عنها كليا^(٢) والخلاصة أن الزهاد من أئمة التصوف في هذه المرحلة أو الطور^(٣) مقيدون بأصول الكتاب والسنة، حيث إن التصوف كان عندهم يمثل مسلكا عمليا لا منهاجا نظريا، كما تطور المصطلح فيما بعد.

ومن أهم نماذج هذه المرحلة ويعتبر خاتمها الجنيد^(٤) والسري بن المغلس السقطي^(٥).

المرحلة الثانية: مرحلة التشكل وبداية ظهور المصطلح.

وهي المرحلة التي خرجت فيها الصوفية كما ستعرف لاحقا من الاعتدال إلى

(١) انظر: المذاهب الصوفية ومدارسها: عبدالحكيم عبدالغني قاسم، ص ٢٧، ط الثانية، ١٩٩٩م، مكتبة مدبولي، ميدان طلعت حرب، القاهرة.

(٢) انظر: الصوفية نشأتها وتطورها: محمد العبد وطارق عبدالحليم، ص ١٧، ط الثانية، ١٩٩٧م، دار الأرقم، الكويت.

(٣) انظر: موقف الإسلام من التصوف: عمر عطا الله أبوأصبح، ص ١٢٩، مخطوطة، ماجستير، ١٩٧٨م، معهد الدراسات الإسلامية، وزارة التعليم العالي.

(٤) الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي الخزاز، أبو القاسم، توفي في بغداد سنة ٢٩٧هـ. صوفي من أعيان عصره.

انظر: الأعلام للزركلي ١٤١ / ٢. صفة الصفوة ٢ / ٢٣٥، عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج، تحقيق: محمود فاخوري، د. محمد رواس قلعه جي، دار المعرفة، بيروت، ط الثانية، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

(٥) سري بن المغلس السقطي، أبو الحسن ولد في بغداد. من كبار المتصوفة، وأول من تكلم في بغداد بلسان التوحيد وأحوال الصوفية، وكان إمام البغداديين وشيخهم في وقته. وهو خال الجنيد، وأستاذه. توفي في بغداد سنة ٢٥٣هـ.

انظر: الأعلام للزركلي ٨٢ / ٣، الوفيات ٢ / ٣٥٧، صفة الصفوة ٢ / ٣٧١.

الغلو، ومن البدع العملية إلى البدع القولية والاعتقادية^(١)
وتميزت بدخول بعض المصطلحات والمعارف الأجنبية نتيجة التأثر بالعامل
الخارجي^(٢).

وتمثل هذه المرحلة الوسط في التاريخ التصوفي، حيث بدأ ظهور الملابس
الصوفية، والسلوكيات المميزة، بما فيها العزلة عن المجتمع وبناء صوامع في أماكن
ناحية.

وكان من نتيجة تلك المبالغة أن أصبح الصوفي في هذه المرحلة ينشد الغرب
والأنس ويطلب السعادة الذاتية.

ولهذا يمكن القول بأن التصوف الحقيقي قد بدأ في هذه المرحلة^(٣)
وهذا ما يذهب إليه ابن خلدون كما سيأتي إن شاء الله.
ومن أعلام هذه المرحلة أبو اليزيد البسطامي^(٤) وذو النون المصري^(٥)

(١) انظر: الصوفية نشأتها وتطورها: ص ٢٠ .

(٢) انظر: المذاهب الصوفية ومدارسها: عبدالحكيم عبدالغني قاسم، ص ٢٧ .

(٣) انظر: موقف الإسلام من التصوف: عمر عطا الله أبوأصبح، ص ١٣١ .

(٤) طيفور بن عيسى البسطامي، أبو يزيد، ويقال بايزيد، ولد سنة ١٨٨ هـ. اشتهر بزهده. يعرف أتباعه
بالطيفورية أو البسطامية. قيل بأنه يقول بوحدة الوجود. تروى له قصص عجيبة. توفي سنة ٢٦١ هـ.

انظر: وفيات الأعيان ٢/ ٥٣١، صفة الصفوة ٤/ ١٠٧، الأعلام للزركلي ٣/ ٢٣٥ .

(٥) أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم - وقيل: الفيض بن إبراهيم - المصري المعروف بذي النون، كان أبوه
إبراهيم مولى لإسحاق بن محمد الأنصاري. أحد رجال الطريقة؛ كان أوحد وقته علما وورعا وحالا
وأدبا، وهو معدود في جملة من روى الموطأ عن الإمام مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. كان حكيما فصيحاً. اتهم بالزندقة.
توفي سنة ٢٤٥ هـ.

انظر: صفة الصفوة ٢/ ٤٤٤، وفيات الأعيان ١/ ٣١٥، الأعلام ٢/ ١٠٢ .

المرحلة الثالثة: مرحلة الامتزاج الكلي بالفلسفة وظهور وحدة الوجود.

وتمثل هذه المرحلة قمة الابتعاد عن المنبع الأول الصافي، وأصبح التصوف في هذه المرحلة عبارة عن منظومة متكاملة بنظرياتها وطرقها، ويعتبر هذا الطور المرحلي أخطر ما مرت به الصوفية، حيث تسربت إليها الفلسفة اليونانية فابتعدت بها عما سبقها من مراحل التصوف بل جعلتها من الصوفية الخارجة عن الإسلام^(١).

ومن أشهر رموز هذه المرحلة ابن عربي^(٢)، وابن الفارض^(٣) وابن سبعين^(٤).

هذا باختصار أهم المراحل التي مرت عليها الصوفية، وإن كان هناك مرحلة رابعة تشكل الطرق أهم ملامحها^(٥).

(١) انظر: الصوفية نشأتها وتطورها: محمد العبد وطارق عبدالحليم، ص ٤٠.

(٢) ابن عربي: (٥٦٠ - ٦٣٨ هـ) محيي الدين ابن عربي، محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبدالله، الشيخ محيي الدين أبو بكر الطائفي الحاتمي الأندلسي، والمعروف بابن عربي، صاحب التصنيفات في التصوف وغيره، ذكر أنه سمع بمرسية من ابن بشكوال، وسمع ببغداد ومكة ودمشق. قال ابن مسدي في جملة ترجمته: كان ظاهري المذهب في العبارات، باطني النظر في الاعتقادات. ومن تصانيفه "الفتوحات المكية" و"التدبيرات الإلهية والتنزيلات الموصلية" و"فصوص الحكم".

انظر ترجمته في: فوات الوفيات: ٣/ ٤٣٥-٤٣٦، الأعلام: ٦/ ٢٨١.

(٣) ابن الفارض: (٥٧٦ - ٦٣٢ هـ) الشرف ابن الفارض، أبو حفص وأبو القاسم عمر بن أبي الحسن علي بن المرشد بن علي، الحموي الأصل، المصري المولد والدار والوفاء، المعروف بابن الفارض، المنعوت بالشرف؛ له ديوان شعر لطيف

انظر: سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٦٨، وفيات الأعيان: ٣/ ٤٥٤.

(٤) ابن سبعين (٠٠ - ٦٦٩ هـ) عبدالحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر بن محمد بن سبعين القرشي المخزومي من غلاة المتصوفة، له كلام كثير في العرفان على طريقة الاتحاد والزندقة.

انظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: ٤٩/ ٢٨٣، فوات الوفيات: ٢/ ٢٥٣.

(٥) انظر: مصدر التلقي عند الصوفية: هارون أحمد صديقي، ص ٢١.

❖ ثالثاً: أهم معتقداتهم:

أما معتقداتهم فهي عند التفصيل كثيرة وخاصة إذا قرنت بالطرق فلكل طريقة منهج يختلف أحيانا إلى حد التباين عن الطرق الأخرى لكن يمكن إجمال بعض القواسم المشتركة:

١- يعتقدون أن الدين شريعة وحقيقة، والشريعة هي الظاهر من الدين وأنها الباب الذي يدخل منه الجميع والحقيقة هي الباطن الذي لا يصل إليه إلا المصطفون الأخيار، والتصوف في نظرهم طريقة وحقيقة معاً^(١).

٢- ضرورة أن يكون الشيخ هو الواسطة والذي بدوره أخذه عن شيخ آخر، ويتبوء العارف أو الوسيط دوراً متميزاً في القديم والحديث يقول عبدالله الأمين "هذا ويعتقد الصوفية جميعاً بغير خلاف، القدامى منهم والمحدثون أن: العارف هو الذي تتكشف له الحجب ويشهد من علم الله ما لا يشهد سواه وتظهر على يديه الكرامة التي عندهم أمر خارق للعادة يتكرر كبرهان لهذا الولي الصوفي المزعوم"^(٢).

٣- توحيد القوم هو القول بالفناء ومعناه الاستهلاك في الله بالكلية، وأعلى درجات الفناء ما يسمونه بمقام جمع الجمع^(٣).

٤- تبنيهم عقيدة النصارى والفلاسفة، وهي اتحاد الناسوت باللاهوت والقول بوحدة الوجود^(٤).

والمعتقدات وآراء الصوفية أكثر من أن تعد أو حتى تضبط نظراً لتعدد المصادر

(١) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة: ٢٦٧/١.

(٢) دراسات في الفرق والمذاهب القديمة المعاصرة: عبدالله الأمين، ص ٣٨٨، ط الثانية، ١٩٩١م، دار الحقيقة، بيروت.

(٣) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة: ص ٢٦٧.

(٤) ابن خلدون وآراؤه الاعتقادية: عبدالله عبدالرشيد، ص ٣٧٣.

يقول الشيخ: عبدالرحمن عبدالخالق^(١) "ولما تعددت هذه المصادر على هذا النحو كانت العقيدة نفسها واسعة متطورة متغيرة مختلفة، بل ومتناقضة بين صوفي وصوفي، حيث كل منهم يزعم أنه يخبر بما أداه إليه كشفه هو، وماورد على خاطره، ومقاله له الرسول ﷺ أو ألقاه الملك إليه أو اطلع عليه بنفسه في اللوح المحفوظ"^(٢).

رابعاً: ابن خلدون والتصوف والصوفية "دراسة تطبيقية":

أ - ملامح عامة.

ينطلق ابن خلدون في دراسته للتصوف والصوفية من معرفة كاملة بالموضوع، فهو بنفسه ابن بيئة يغلب عليها التصوف، وهذا واضح من استخدامه لمصطلحات القوم، ويقر في مقدمة تاريخه بأنه أحد طلاب شيوخ التصوف وينقل عنه "وقد رأيت أن أجلب هنا فصلاً من كلام شيخنا العارف كبير الأولياء بالأندلس أبي مهدي عيسى بن الزيات"^(٣)، وقد خصص أحد مصنفاته (شفاء السائل وتهذيب المسائل) للتصوف والصوفية، إضافة إلى عقده لفصل لعلم التصوف في مقدمته للتاريخ^(٤) وتميزت دراسته بصفة عامة للتصوف والصوفية بالتفصيل والتعاطف إن صحت العبارة وهذا ما حدا بالأستاذ: محمد آيت حمو أن يصل إلى نتيجة تجعله يقول: "فابن خلدون شاء أن يستقر على شاطئ التصوف ويتنفس هواءه الرطب ملء رئتيه"^(٥).

(١) عبد الرحمن بن عبد الخالق اليوسف، ولد بمحافظة المنوفية بمصر وعمل في مجال البحث العلمي بجمعية إحياء التراث الإسلامي بالكويت، له الكثير من المؤلفات والكتب التي تدعو إلى المنهج السلفي الإسلامي ومحاربة البدع والخرافات.

(٢) الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة: عبدالرحمن عبدالخالق، ص ٣٧، ط الثانية، مكتبة ابن تيمية، الكويت.

(٣) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون / ١ / ٣٧٤.

(٤) المرجع السابق ص ٣٦٧.

(٥) ابن خلدون بين نقد الفلسفة والانفتاح على التصوف: محمد آيت حمو، ص ١٠٤، ط الأولى، ٢٠١٠م، دار

فالصلة واضحة وقوية بين ابن خلدون والتصوف وتأثره بالغزالي. فهو في مقدمة كتابه شفاء السائل وتهذيب المسائل يحيل إلى "إحياء علوم الدين" لمن أراد أن يعرف طريق الصوفية، ويكشف الغطاء عن حقائقها^(١).

وهو يثني مرة أخرى على الكتاب وذلك في مقدمة تاريخه وأن الغزالي أفضل من صنف في الموضوع.^(٢)

والانتاج الخلدوني في هذا المجال يتسم بالشراء، والتفصيل ما لا يكفيه هذا المبحث، وفي مايلي سوف أعرض لمذكره ابن خلدون عن التصوف والصوفية من خلال كتبه وخاصة شفاء السائل وتهذيب المسائل.

وعند التعارض في ما يتعلق بتفصيل بعض القضايا سيكون المعتمد والمعتبر قوله مذكره في مقدمة تاريخه لأنه الأشهر ولا خلاف فيه. فكتابه شفاء السائل وتهذيب المسائل، أثير حول نسبته إليه جدل كبير. وخاصة أنه لم يذكره في كتابه التعريف، إضافة إلى تأخر المقدمة من الناحية الزمانية.

ب- مكانة "التصوف والصوفية":

يرى ابن خلدون أن أصل التصوف والصوفية، ومنشأ طريقتهم هو ما كان عليه سلف الأمة من كبار الصحابة والتابعين "وأصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تنزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين"^(٣).

وجعلها من العلوم الشرعية وإن كان وصفها بالحادثة في الملة!

= الطليعة، بيروت، لبنان.

(١) انظر: شفاء السائل وتهذيب المسائل: ابن خلدون ص ٣٣.

(٢) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون ١/ ٣٧٠.

(٣) المرجع السابق ص ٣٦٨.

"هذا العلم من العلوم الشرعية الحادثة في الملة"^(١).

بل جعل الشريعة أو فقهها على قسمين: فقه الظاهر وفقه الباطن.

فالأول: هو الأحكام العامة في العبادات والعادات والمعاملات.

والثاني: هو القيام بالمجاهدة ومحاسبة النفس أو التصوف.

يقول: "وصار فقه الشريعة على نوعين:

الأول: فقه الظاهر، وهو معرفة الأحكام المتعلقة بأفعال الجوارح فيما يخص المكلفين أنفسهم، أو يعمهم من عبادات وعادات وغيرها من الأفعال الظاهرة، وهذا هو المسمى بالفقه في المشهور، وحامله الفقيه، وهم أهل الفتيا وحرسه الدين.

النوع الثاني: فقه الباطن وهو معرفة الأحكام المتعلقة بأفعال القلوب، وما يخص المكلف في نفسه من أفعال الجوارح في عبادته وتناوله لضرورياته، ويسمى هذا فقه القلوب وفقه الباطن وفقه الورع وعلم الآخرة والتصوف"^(٢) ونفس التقسيم أورده في مقدمة تاريخه^(٣).

ويطلب في مديح هذا العلم بعد أن ذكر أنه هو علم الباطن وبه يتميز الخبيث من الطيب و"لأن الباطن أصل الاستقامة ومنبع الصلاح والفساد لجميع الأعمال"^(٤).

مستشهدا بأن الصحابة أولوا اهتمامهم بالباطن أكثر من أي أمر آخر "ثم إن الصحابة رضوان الله عليهم لما شرح الله صدورهم للإسلام وقبلوا من الهداية ما كانوا فيه على بينة من ربهم، صرفوا الاهتمام إلى أعمال الباطن أكثر من أعمال الظاهر"^(٥).

(١) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون ١/٣٦٨ .

(٢) شفاء السائل وتهذيب المسائل: ابن خلدون ص ٤٤ .

(٣) انظر: تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون، ص ٣٦٩ .

(٤) شفاء السائل وتهذيب المسائل: ابن خلدون ص ٤٠ .

(٥) المرجع السابق نفس الصفحة .

ج- التعريف والمراحل:

يعرف ابن خلدون الصوفية بأنها "العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه والافتراء عن الخلق في الخلوة للعبادة"^(١).

ويقدم تعريفاً أشمل للتصوف في "شفاء السائل وتهذيب المسائل" فيقول: "التصوف رعاية حسن الآداب مع الله في الأعمال الباطنة والظاهرة بالوقوف عند حدوده، مقدما الاهتمام بأفعال القلوب، مراقبا خفاياها، حريصا بذلك على النجاة"^(٢).

أما غاية هذا العلم كما أسماه فهو التأكد من خلو العبادات من التقصير الباطني، أما التقصير الظاهري فهذا يخص النظر الفقهي "وغاية أهل العبادات، إذا لم ينتهوا إلى هذا النوع، أنهم يأتون بالطاعات مخلصين من نظر الفقه في الأجزاء والامثال، وهؤلاء يبحثون عن نتائجها بالأذواق والمواجد ليطلعوا على أنها خالصة من التقصير أو لا فظهر أن أصل طريقتهم كلها محاسبة النفس عن الأفعال والتروك"^(٣).

يعتبر ابن خلدون أن التصوف الأول والذي ينطبق عليه تعريفه هو ما كان عليه الصحابة والتابعون، ثم بعد ذلك تطور الموضوع حتى أصبح مصطلحا يدل على طائفة معينة لها سماتها وميزاتها، الأمر الذي سينشأ عنه اختلافات في المتسبين إلى هذه الطريقة تصل إلى الغلو.

وعند استقراء ما كتبه ابن خلدون في ما يتعلق بالصوفية يمكن القول إنه لم يخرج عن هذا التقسيم المرحلي الثلاثي لدرجات التصوف، وإن كانت له وجهة نظره

(١) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون ١/٣٦٨ .

(٢) شفاء السائل وتهذيب المسائل: ابن خلدون ص ٥٤ .

(٣) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون ١/٣٦٩ .

الخاصة في ما يتعلق بكل مرحلة ونماذجها:

المرحلة الأولى: مرحلة الصحابة والتابعين وهي طريقة الحق والهداية، وقد أشار إلى هذه المرحلة مباشرة بعد عقده للفصل الخاص بعلم "التصوف" في مقدمة تاريخه حيث يقول "وأصله أن طريقة هؤلاء القوم، لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين، ومن بعدهم طريقة الحق والهداية"^(١).

وقريب من هذا المعنى يشير إليه في شفاء السائل وتهذيب المسائل^(٢).

ثم وصف أن الأصل في الأمة والعام في أحوالها في الصدر الأول هو التزام هذا النهج "وكان ذلك عاما في الصحابة والسلف"^(٣).

المرحلة الثانية: ظهور المصطلح وتباين الأمة واختصاص طائفة معينة بهذا الاسم.

يقول ابن خلدون "فلما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني ومن بعده، وجنح الناس إلى مخالطة أهل الدنيا، اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة"^(٤).

ثم يقدم مزيد تفصيل عن هذه المرحلة وأن الاسم ظهر حوالي المتئين للهجرة "اشتهر هذا الاسم قريبا من المتئين للهجرة"^(٥).

وهذه هي المرحلة هي التي تمثل التصوف الاصطلاحي، كما يراه ابن خلدون فهي مرحلة وضوح الطريقة والتدوين، ويمضي في وصف هذه المرحلة "كتب رجال

(١) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون ١/٣٦٨ .

(٢) انظر: شفاء السائل وتهذيب المسائل: ابن خلدون ص ٤٢ .

(٣) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون ١/٣٦٨ .

(٤) المرجع السابق نفس الصفحة .

(٥) شفاء السائل وتهذيب المسائل: ابن خلدون ص ٤٤ .

من أهل هذه الطريقة في طريقتهم، فمنهم من كتب في الورع ومحاسبة النفس على الاقتداء في الأخذ والترك، كما فعل المحاسبي في كتاب الرعاية له، ومنهم من كتب في آداب الطريقة وأذواق أهلها، ومواجدهم في الأحوال كما فعل القشيري في كتاب الرسالة، والسهرودي^(١) في كتاب عوارف المعارف وأمثالهم، وجمع الغزالي رَحْمَةُ اللَّهِ بَيْنَ الأَمْرَيْنِ فِي كِتَابِ الإِحْيَاءِ"^(٢).

وواضح أن التقسيم المرحلي للتصوف عند ابن خلدون لا يهتم بالجانب التاريخي، بقدر ما يعتني بمظاهر المرحلة من حيث الأحوال والسلوك.

ومن أعلام هذه المرحلة المحاسبي والقشيري والغزالي.

المرحلة الثالثة: الغلاة أو "المتأخرين":

وهؤلاء عند ابن خلدون هم من بالغوا في مسألة الكشف وأصحاب الحلول والاتحاد.

يقول عن الصنف الأول "ثم إن قوما من المتأخرين انصرفت عنايتهم إلى كشف الحجاب والكلام في المدارك التي وراءه"^(٣) وأن همهم أصبح مختصرا على الكلام في حقائق الموجودات العلوية، والسفلية وحقائق الملك والروح والعرش والكرسي وأمثال ذلك، وأن من لم يشاركهم في طريقتهم وفهم مداركهم لن يكون بالتأكيد على

(١) السهروردي: (٥٣٩ - ٦٣٢هـ) عمر بن محمد بن عبدالله ابن عموية، أبو حفص شهاب الدين القرشي: فقيه شافعي، مفسر، واعظ. من كبار الصوفية. مولده في "سهرورد" ووفاته ببغداد. كان شيخ الشيوخ ببغداد. وأوفده الخليفة إلى عدة جهات رسولا. وأقعد في آخر عمره، فكان يحمل إلى الجامع في محفة. له كتب، منها: عوارف المعارف وجذب القلوب إلى مواصلة المحبوب - رسالة.

انظر: الأعلام: ٥ / ٦٢ .

(٢) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون ص ٣٧٠ .

(٣) المرجع السابق نفس الصفحة .

دراية بأذواقهم ومواجدهم^(١)

بل وصل بهم الحال أنه لا يسمى من لا يتقن طريقته صوفيا وانحصر المصطلح على من انتهج سلوكهم يقول: "وصار اسم التصوف مختصا بعلوم المكاشفة"^(٢).

أما الصنف الثاني: فقد تناوله بإسهاب متقددا طريقته ومذهبهم بشدة، وبدأ ذلك بقوله "ويقع للمتأخرين من الصوفية أنه متحد بالمخلوقات إما بمعنى الحلول فيها، أو بمعنى أنه هو عينها"^(٣).

ويواصل تفصيله لما ذكره هؤلاء المتأخرون أو الغلاة "وذهب جماعة من المتصوفة المتأخرين الذين صيروا المدارك الوجدانية علمية نظرية، إلى أن الباري تعالى متحد بمخلوقاته في هويته ووجوده وصفاته"^(٤).

ويصف ابن خلدون مقالته هذه بأنه من جنس ما يقوله النصارى في عيسى ابن مريم عليه السلام، وهو عين ما تقوله الإمامية عن الشيعة في الأئمة.

"وهذا الاتحاد هو الحلول الذي تدعيه النصارى في المسيح عليه السلام، وهو أغرب لأنه حلول قديم في محدث أو اتحاد به، وهو أيضا عين ما تقوله الإمامية من الشيعة في الأئمة"^(٥).

ويفصل آراء الصنفين وهم عند التدقيق يعودون إلى أصل واحد وهو "الكشف" والذي يصل في مراحل الأخيرة إلى الحلول والاتحاد يقول ابن خلدون

(١) انظر: تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون / ١ / ٣٧١ .

(٢) شفاء السائل وتهذيب المسائل: ابن خلدون ص ١٠٦ .

(٣) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون / ١ / ٣٧١ .

(٤) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون / ١ / ٣٧١ .

(٥) المرجع السابق نفس الصفحة .

"والذي يجمع مذاهبهم على اختلافها وتشعب طرقها رأيان"^(١).

الرأي الأول: أصحاب التجلي والمظاهر والأسماء والحضرات وحاصل مذهبهم في ترتيب صدور الموجودات عن الواجب الحق، وأن الوحدة نشأت عن الأحدية والواحدية، ونسبة الواحدية إلى الأحادية، نسبة الظاهر إلى الباطن والشهادة إلى الغيب، ومن أشهر القائلين بهذا الرأي ابن الفارض، وابن برجان^(٢)، والحاتمي، وابن سودكين^(٣).

الرأي الثاني: أصحاب الوحدة وحاصله: أن الباري جَلَّ وَعَلَا هو مجموع مآظهم وما بطن، وهو رأي أغرب من الأول في مفهومه وتعلقه، ومن أشهر القائلين به ابن سبعين^(٤).

ويصف ابن خلدونهم كلامهم بأنه "لا يقدر أهل النظر على تحصيل مقتضاه لغموضه وانغلاقه"^(٥) وأنه "في غاية السقوط"^(٦).

(١) شفاء السائل وتهذيب المسائل: ابن خلدون ص ١٠٧ .

(٢) ابن برجان (٥٣٦-٥٠٠هـ) عبدالسلام بن عبدالرحمن بن أبي الرجال اللخمي الإشبيلي صوفي غال .

توفي بمراكش له تصانيف عدة منها "تفسير القرآن الكريم" شرح أسماء الله الحسنى .

انظر: تاريخ الإسلام: ٤١٦/٣٦، وفوات الوفيات: ٣٢٣ / ٢ .

(٣) ابن سودكين (٦٤٦-٥٠٠هـ) إسماعيل بن سودكين بن عبدالله النوري التونسي الصوفي الحنفي من تلامذة

ابن عربي من مؤلفاته "تحفة التدبير لأهل التبصير في الكيمياء" و"لوايح الأسرار ولوائح الأنوار" .

انظر ترجمته في: تاريخ الإسلام: ٤٧ / ٣٠٧، الأعلام: ١ / ٣١٤ .

(٤) انظر: شفاء السائل وتهذيب المسائل: ابن خلدون، ص ١٠٧ .

(٥) انظر: شفاء السائل وتهذيب المسائل: ابن خلدون، ص ١١١ .

(٦) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون ١ / ٣٧٢ .

(٧) المرجع السابق ١ / ٣٧٣

د - صلة التصوف بالشيعة.

يعقد ابن خلدون مقارنة بين الصوفية والشيعة وبين مدى تأثير الصوفية بأصول الشيعة.

ثم تجده يربطهم بالإسماعيلية المتأخرين القائلين بالحلول والاتحاد، وإلهية الأئمة^(١)، وأنهم سرقوا وانتحلوا كثيرا من أقوال هؤلاء الرافضة الغلاة، كما هو الشأن في حال القطب، وترتيب الأبدال وأن هذه الفكرة مستوحاة من الشيعة الإمامية يقول: "ثم حدث أيضا عند المتأخرين من الصوفية الكلام في الكشف وفيما وراء الحس. وظهر من كثير منهم القول على الإطلاق بالحلول والوحدة، فشاركوا فيها الإمامية والرافضة لقولهم بألوهية الأئمة وحلول الإله فيهم. وظهر منهم أيضا القول بالقطب والأبدال، وكأنه يحاكي مذهب الرافضة في الإمام والنباء. وأشربوا أقوال الشيعة، وتوغلوا في الديانة بمذاهبهم، حتى لقد جعلوا مستند طريقهم في لبس الخرقة، أن عليا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ألبسها الحسن البصري وأخذ عليه العهد بالتزام الطريقة. واتصل ذلك عنهم بالجنيد من شيوخهم"^(٢).

ويؤكد أن تخصيص مثل هذه الأشياء بعلي فيها رائحة التشيع لأن طريقة الزهد والهدى، لم تكن خاصة بعلي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وحده، بل الصحابة كلهم أسوة في طرق الهدى، ويتهمهم بالانخراط في سلك التشيع بعد أن نفى ما ذكروه في النقل السابق بأن الطريقة مأخوذة عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول: "ولم تكن هذه الطريقة خاصة بعلي كرم الله وجهه، بل الصحابة كلهم أسوة في طرق الهدى، وفي تخصيص هذا بعلي دونهم رائحة من التشيع قوية، يفهم منها ومن غيرها مما تقدم

(١) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون ١/ ٣٧٢.

(٢) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون ١/ ٢٤٥.

دخولهم في التشيع، وانخراطهم في سلكه"^(١).

ويصرح ابن خلدون بهذا الاستنتاج وهو تأثر الصوفية وخاصة المتأخرين منهم بالرافضة "فانظر كيف سرقت طباع هؤلاء القوم هذا الرأي من الرافضة ودانوا به"^(٢).

وفي نفس السياق أورد ما يتعلق بالمهدي المنتظر وتأثر الصوفية بقول الشيعة فيه وخاتم الأولياء، والذي لا يعدو كونه استنساخاً للإمام المعصوم والمهدي المنتظر عند الشيعة، وأنه عند الصوفية كما عند الشيعة من ولد فاطمة ناقلاً عن ابن العربي " وهذا الإمام المنتظر وهو من أهل البيت من ولد فاطمة"^(٣).

ويصف ابن خلدون أدلتهم وأصولهم في الموضوع بالواهية سواء الشيعة وخاصة من الإسماعيلية أو الصوفية واتهمهم صراحة بالاستدلال بكلام المنجمين "وكأنه مبني على أصول واهية من الفريقين، وربما يستدل بعضهم بكلام المنجمين في القرائن"^(٤).

ويفسر ابن خلدون هذه العلاقة والصلة بين الصوفية والإسماعيلية من الشيعة "والذي يظهر أن المتصوفة بالعراق، لما ظهرت الإسماعيلية من الشيعة، وظهر كلامهم في الإمامة وما يرجع إليها مما هو معروف، فاقتبسوا من ذلك الموازنة بين الظاهر والباطن وجعلوا الإمامة لسياسة الخلق في الانقياد إلى الشرع، وأفردوه بذلك أن لا يقع اختلاف كما تقرر في الشرع. ثم جعلوا القطب لتعليم المعرفة بالله لأنه رأس العارفين، وأفردوه بذلك تشبيهاً بالإمام في الظاهر، وأن يكون على وزانه في الباطن

(١) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون / ١ / ٢٤٥ .

(٢) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون / ١ / ٣٧٤ .

(٣) المرجع السابق ص ٢٤٦ .

(٤) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون / ١ / ٢٤٥ .

وسموه قطبا لمدار المعرفة عليه، وجعلوا الأبدال كالنقباء مبالغة في التشبيه. فتأمل ذلك" (١).

هـ- المجاهدات "الصوفية":

لعل أكثر جانب تحدث عنه ابن خلدون هو ما يتعلق بالمجاهدات، وخصص معظم كتابه "شفاء السائل وتهذيب المسائل" لأقسامها وشروطها وجعلها هي التصوف بمجموعها فبعد أن فصل القول فيها قال "فهذه ثلاث مجاهدات يطلق اسم التصوف على مجموعها" (٢).

ويشير إلى هذا المعنى بعد تعريفه الصوفية في (شفاء السائل وتهذيب المسائل) فيقول: "حتى غلب استعمال هذا اللفظ في طريقة المجاهدة" (٣).

وفي موضع آخر: من الكتاب يكرر نفس المعنى بصورة أوضح "فلنبين حال القوم في هذه المجاهدة والتصفية، وما اشترطوا في إفضائها إلى الكشف من الشروط والأحكام والآداب، وما تواضعوا عليه من الاصطلاحات، وكيف غلب استعمال (التصوف) في ذلك حتى صار علما عليه ولقب له" (٤).

فهو هنا يقرر أن هذا المصطلح وهو التصوف ماهو إلا استعمال آخر للمجاهدة. وقبل أن يخوض في أقسام المجاهدات أتى بمقدمات كاشفة عن أمر هذه المجاهدات:

المقدمة الأولى: في معنى الروح والعقل والقلب وما هو الكمال اللائق بها (٥)

المقدمة الثانية: في كيفية اكتساب هذه اللطيفة الربانية العلوم والمعارف التي بها

(١) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون ١/ ٣٧٤ .

(٢) شفاء السائل وتهذيب المسائل: ابن خلدون، ص ٩٢ .

(٣) المرجع السابق ص ٥٤ .

(٤) شفاء السائل وتهذيب المسائل: ابن خلدون، ص ٧١ .

(٥) شفاء السائل وتهذيب المسائل: ابن خلدون ص ٥٥ .

كماها، وفيه فرق بين العلم الكسبي والإلهامي وبين الوحي^(١)

المقدمة الثالثة: في معنى السعادة الأخروية وتفاوتها، وحرص أهل الهمم على الفوز بالنوع الأعلى، وهو النظر إلى وجه الله، وطلب سببه المؤدي إليه، وهو معرفة الله في الحياة الدنيا برفع الحجاب^(٢)

المقدمة الرابعة: في أن لذة المعرفة الكشفية قد تحصل في الدنيا واختلاف مراتبها^(٣).

أقسام المجاهدات وحكمها.

يقسم ابن خلدون المجاهدات إلى ثلاثة أنواع بعد تصفح وتتبع مذاهب الصوفية كما قال^(٤)

أولاً: مجاهدة التقوى وهي رعاية الأدب مع الله في الظاهر والباطن بالوقوف عند حدوده، مراقبا أحوال الباطن، طالبا النجاة كما مر، وأنه التصوف عند الصدر الأول منهم.

ثانياً: مجاهدة الاستقامة وهي تقويم النفس وحملها على الصراط المستقيم، حتى تصير لها آداب القرآن والنبوة، بالرياضة والتهديب خلفا جبلية طالبا مراتب ﴿الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ [النساء: ٦٩].

ثالثاً: مجاهدة الكشف والاطلاع: وهي إخماد القوى البشرية كلها حتى الأفكار متوجها بكلية تعقله إلى مطالعة الحضرة الربانية، طالبا رفع الحجاب، ومشاهدة أنوار الربوبية في حياته الدنيا، ليكون بذلك وسيلة إلى الفوز بالنظر إلى وجه الله في حياته

(١) شفاء السائل وتهذيب المسائل: ابن خلدون، ص ٥٩.

(٢) شفاء السائل وتهذيب المسائل: ابن خلدون، ص ٦٥.

(٣) شفاء السائل وتهذيب المسائل: ابن خلدون، ص ٦٩.

(٤) انظر: شفاء السائل وتهذيب المسائل: ابن خلدون، ص ٧٥.

الأخرى التي هي غاية مراتب السعداء. (١)

وهذه الأخيرة لا بد فيها من توفر وتحقيق مجاهدي التقوى والاستقامة إضافة إلى شروط أخرى (٢).

ويعد ابن خلدون مجاهدة المكاشفة هي "ثمره المجاهدات ونتيجتها" (٣).

والمجاهدتين الأخيرتين هي المراد بالغلبة والاستعمال إذا أطلق التصوف، وأن العلم بهما وبشروطهما هو ما يميز هذا الفن "وذكرنا أن التصوف يغلب على المجاهدات الثلاث، إلا أنه غلب في الأخيرتين استعماله، واختص به علمه عند شيوخ الرسالة ومن اقتفى أثرهم، وإن علم التصوف هو العلم بشروط هاتين المجاهدتين، وأحكامهما وآدابهما ومصطلحات أهلها" (٤).

أما حكم هذه المجاهدات فالأولى وهي التقوى: فرض عين على كل مكلف، والثانية الاستقامة: مشروعة في حق الأمة فرض عين على الأنبياء

أما المجاهدة الثالثة وهي الكشف فيرى أنها محظورة حظر الكراهة أو تزيد (٥) وحرمة الخوض فيها من وجوه:

أولها: أن العبارة عن تلك المدارك والمعاني المنكشفة من عالم الملكوت متعذرة، لا، بل مفقودة، لأن ألفاظ التخاطب في كل لغة من اللغات إنما وضعت لمعان متعارفة من محسوس، أو متخيل، أو معقول تعرفه الكالة، إذا اللغات تواضع واصطلاح

ثانيها: أن الأنبياء صلوات الله عليهم هم أهل المكاشفة والمشاهدة بالأصل،

(١) المرجع السابق ص ٩٢ .

(٢) انظر: شفاء السائل وتهذيب المسائل: ابن خلدون، ص ٨٢ .

(٣) شفاء السائل وتهذيب المسائل: ابن خلدون، ص ١٠٣ .

(٤) المرجع السابق ص ١٢٣ .

(٥) انظر: شفاء السائل وتهذيب المسائل: ابن خلدون، ص ٩٦ .

ومع هذا فلم ينقل ذلك عنهم.

ثالثها: أن العلوم والمعارف بحسب نظر الشرع تنقسم إلى محظور وغير محظور، والقاعدة المستقرة من الشريعة أن كل ما لا يهيم المكلف في معاشه ولا في دينه فهو مأمور بتركه^(١).

أما الشيخ وضرورته لتلقي هذه المجاهدات فقد فصل فيه ابن خلدون وهي باختصار.

مجاهدة التقوى لا يشترط فيها الشيخ إنها يكتفى فيها بمعرفة أحكام الله وحدوده، أخذت من كتاب أو لقتت من معلم، ويعيد ذلك إلى كونها فرض عين^(٢).

ويشترط لمجاهدة الاستقامة التي هي التخلق بالقرآن وبخلق الأنبياء ويعلل ذلك بعسر الاطلاع على خلق النفس، وخفاء تلون القلب^(٣).

أما مجاهدة الكشف فإنها مفتقرة إلى المعلم المربي، وهو الذي يعبر عنه بالشيخ افتقار وجوب واضطرار لا يسع غيره ويقدم لذلك أسبابا وعللا^(٤).

وقد أطال ابن خلدون في عرض مسائل المجاهدات شروطا وأحكاما مما يتعذر إيراده بالكامل.

(١) انظر: شفاء السائل وتهذيب المسائل: ابن خلدون، ص ١٠٣-١٠٥.

(٢) انظر المرجع السابق ص ١٢٣.

(٣) انظر: شفاء السائل وتهذيب المسائل: ابن خلدون، ص ١٢٥.

(٤) انظر: المرجع السابق ص ١٢٦.

❖ خامساً: تحليل ومناقشة:

من خلال العرض السابق لأبرز ما تناوله ابن خلدون عن التصوف، يتضح أن الرجل ملم بهذا الشأن وهو الأمر الذي دفع الدكتور: محمد آيت حمو إلى القول بأن ابن خلدون المتصوف لم يحظ بالاهتمام الذي يستحق^(١)

كما أنه يمكن رصد تأثير الغزالي على إنتاج ابن خلدون في "التصوف" وإن كان يختلف معه في التقييم النهائي، فقد أحال ابن خلدون كثيرا إلى الغزالي، وخاصة في كتابه شفاء السائل وتهذيب المسائل فهو جعله المصدر الأول لكتابه^(٢).

وفي موضع آخر: يحيل من أراد الشرح والاستزادة إلى كتاب الغزالي ويعني به "إحياء علوم الدين"^(٣).

أما في مقدمة تاريخه في الفصل الذي عقده عن التصوف اختتم بالغزالي عند حديثه عن التدوين، وأنه حوى ما سبقه وجمع بين الطرق التي سبقته في التدوين^(٤) هذا من حيث طريقة العرض ومصدرها عموما عند ابن خلدون. أول ما يلفت نظر أي دارس لمحتويات المادة الخلدونية عن التصوف وصفه "للتصوف" بأنه من العلوم الشرعية، وأنه حادث في الملة وطريق للحق والهداية وعليه سلف الصحابة والتابعين كما مر في التعريف.

فكونه حادثا يتعارض مع كون الصحابة والتابعين عليه، فهو باعترافه يقول إنه لم يظهر إلا في القرن الثاني وما بعده، مما يعني ببساطة أن هذا الفن أو العلم إنما ظهر بعد عصر الصحابة والتابعين.

(١) انظر: ابن خلدون بين نقد الفلسفة والانفتاح على التصوف: محمد آيت حمو، ص ١٠٤ .

(٢) انظر: شفاء السائل وتهذيب المسائل: ابن خلدون، ص ٣٤ .

(٣) المرجع السابق ص ٥٦ .

(٤) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون ١/ ٣٧٠ .

ويؤكد على هذا الاستنتاج ساعد خميسي^(١) فيقول: "إن هذا الوصف الخلدوني للتصوف مع تأصيله لا ينسجم إلى حد ما مع فكرة أنه حادث في الملة"^(٢).

ورغم أن ابن خلدون استخدم مصطلحات الصوفية إلا أنه في المحصلة النهائية يختلف عنهم من حيث النتيجة، فهو بعد أن اعتبر أن التصوف يطلق على المجاهدات وهي المراد بها وبعد أن ذكر أنواعها الثلاثة مركزاً على النوع الأخير وهو المكاشفة "ثمره المجاهدات ونتيجتها"^(٣).

يعقب كل ذلك برفض هذا النوع واستنكاره وحشد الأدلة ضده والنهي عن الخوض فيه "فإذا كان الشرع نهى هؤلاء عن الخوض في علوم المكاشفة، وهم لا ينتهون"^(٤).

وحذر من القول فيه والخوض في مسأله وأن ذلك محذور^(٥).

وهذا ما يعني أن ابن خلدون يستنكر التصوف بمفهومه الذي أقر بنفسه أنه هو المراد إذا أطلق هذا الاسم، وما سوى ذلك فهو اختلافات لفظية وتسمية بعض الأمور المشروعة بمصطلحات يستخدمها أهل الفن، وإلا فهي عند التحقيق والتطبيق لا تختلف عن الأمور به والواجب، وإن وجدت ملاحظة فهي من التسمية لا من الجوهر، وتدخل من باب الألفاظ المجملة التي يطالب صاحبها بمراده منها، وهذا ما قام به ابن خلدون عندما أوضح ما يعنيه بالمجاهدات والمطلوب منها والمحذور.

(١) د. ساعد خميسي باحث جزائري من جامعة منتوري، قسنطينة، من كتبه: ابن العربي - المسافر العائد، وله ورقة بعنوان: موقف ابن خلدون من علمي الكلام والتصوف.

(٢) ابن خلدون ومنابع الحداثة: ١/ ١٢٠.

(٣) شفاء السائل وتهذيب المسائل: ابن خلدون، ص ١٠٣.

(٤) المرجع السابق ص ١٢١.

(٥) شفاء السائل وتهذيب المسائل: ابن خلدون، ص ١٠٣.

ولعل هذا التفصيل هو الذي جعل الباحث: عبدالله الرشيد يستنتج أن منهج ابن خلدون في ما يتعلق بالتصوف والصوفية منهج سليم، نابع من القرآن والسنة، وحسن التفقه والتدبر فيهما^(١).

فابن خلدون يعتبر المجاهدة الثالثة التي أصبح يطلق عليها لاحقا "التصوف" بدعة، وليست من الدين في شيء.

أما الأولى وهي التقوى فجادة الشريعة ومضمار النجاة، والثانية مجاهدة الاستقامة هي جادة القرآن والنبوة^(٢).

وهناك أمر ملاحظ أن موقف ابن خلدون من متأخري الصوفية يختلف من طور إلى طور، فكانت نبرته ضدهم شديدة في (شفاء السائل وتهذيب المسائل) والذي كان متقدما من حيث التأليف على المقدمة، وهذا الأمر واضح في ما يتعلق بالمجاهدة الثالثة وهي الكشف أو المكاشفة، ففي شفاء السائل كما مر يشدد النكير عليها، ويعتبر البحث فيها من المحظورات، بينما في مقدمة تاريخه يتناول المسألة بشيء من الفتور، ولا يصدر حكما جازما عليها بل يجعله من المتشابه "وأما الكلام في الكشف وإعطاء حقائق العلويات وترتيب صدور الكائنات، فأكثر كلامهم فيه نوع من المتشابه"^(٣).

ولعله خفف لهجته من التصوف بعد أن تولى مشيخة "الخانقاه" بالقاهرة وأعاد النظر فيما كتبه من قبل^(٤) أو حتى لا يضايق من قبلهم كما يرى عبدالله الرشيد^(٥).

(١) انظر: ابن خلدون وآراؤه الاعتقادية: عبدالله الرشيد، ص ٣٧٦ .

(٢) انظر: شفاء السائل وتهذيب المسائل: ابن خلدون، تحقيق: محمد مطيع الحافظ ص ١٢٢ .

(٣) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون، ١/٣٧٦ .

(٤) ابن خلدون بين نقد الفلسفة والانفتاح على التصوف: محمد آيت حمو، ص ٥٢ .

(٥) انظر: ابن خلدون وآراؤه الاعتقادية: عبدالله الرشيد، ص ٣٧٦ .

وخلاصة هذا المبحث يمكن إيجازها في النقاط التالية:

- يعتبر ابن خلدون التصوف من العلوم الشرعية الحادثة.
- التصوف نسبة إلى "الصوف" هذا ما يخلص إليه ابن خلدون.
- ظهر هذا الاسم قرابة المتين للهجرة.
- التصوف مر على أطوار ثلاثة ويمثل الطور الثاني قمة النضج ويجد رضا وقبولاً عند ابن خلدون.
- التصوف يساوي المجاهدات وهذه الأخيرة ثمرتها الكشف والذي يرفضه ابن خلدون.
- تأثر ابن خلدون بالغزالي في ما يتعلق بعرضه للتصوف.
- ينتقد ابن خلدون بشدة التصوف الفلسفي أو الغالي ويربطه بالإسماعيلية.
- موقف ابن خلدون عموماً من التصوف قريب من مذهب أهل السنة والجماعة.



المبحث الخامس دراسة لفرق الباطنية والفلسفة

توطئة:

لعبت الفرق الباطنية دوراً تخريبياً منذ ظهورها ويكفي استعراض ما قام به القرامطة من الإسماعيليين من جرائم وفتك بالمسلمين، ناهيك عن ما قامت به فرقة الحشاشين الدموية من عمليات اغتيال وتصفية بحق قادة المسلمين وعوامهم، وقد تناسلت هذه الفرق وتكاثرت وتنوعت الأسماء.

و فرق الباطنية بصفة عامة تعود للأصل الشيعي كما يرى الدكتور: محمد أحمد الخطيب^(١) حيث يقول: "على أن الباحث في نشأة الباطنية في العالم الإسلامي، لا بد أن يلم بنشأة الشيعة، لأن التشيع كان ثوباً يتستر وراءه كل من يريد أن يبذر الفتن ضد الإسلام والمسلمين، وماوى يلجأ إليه كل من أراد هدم الإسلام بإدخال تعاليم آبائه وأجداده من يهودية ونصرانية وهندوسية وأفلاطونية"^(٢).

وإن كان يرجح في النهاية أن عبدالله بن سبأ كان النواة الأولى لظهور الفرق الباطنية^(٣).

بينما يرى الأستاذ عبدالرحمن بن حبنكة الميداني^(٤) أن "الباطنية" نتاج مؤمرات

(١) د. محمد أحمد الخطيب، معاصر حصل على درجة الدكتوراة من جامعة الإمام محمد بن سعود والتي حملت عنوان: "الحركات الباطنية في العالم الإسلامي".

(٢) الحركات الباطنية في العالم الإسلامي: محمد أحمد الخطيب، ص ٢٠، ط الثالثة، ٢٠٠٧م، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

(٣) المرجع السابق ونفس الصفحة.

(٤) عبد الرحمن حبنكة الميداني (١٣٤٥ - ١٤٢٥هـ) ولد في دمشق -حي الميدان - درس في الأزهر عمل أستاذاً في جامعة الإمام ثم أم القرى التي مكث فيها ما يقارب الثلاثين عاماً.

خطيرة وجمعيات سرية، من عناصر فارسية ويهودية ونصرانية ووثنية، تظاهرت بالإسلام مستغلة الخلافات السياسية على شخص خليفة المسلمين، مظهرة التعاطف مع آل البيت ومساندتهم^(١).

ويعترف عبدالرحمن بدوي بصعوبة التحديد بدقة لمنشأ التأويل الباطني وإن كان سياق كلامه يقود إلى الأصل اليهودي والنصراني، وخاصة بعد أن حشد الأقوال والروايات مع المقارنة في ما يتعلق بعبدالله بن سبأ وتأثيره في ظهور الفكر الباطني^(٢).

هذا في الجانب المعاصر أما أصحاب المقالات ومؤرخو الفرق القديمة فرأيهم في الباطنية وأصلها لا يبعد كثيرا، فالبغدادي صاحب "الفرق بين الفرق" يميل إلى أن أصلهم مجوسي^(٣) وذكر أصحاب التواريخ أن الذين وضعوا أساس دين الباطنية هم من أولاد المجوس، ولم يجسروا على إظهاره خوفا من سيوف المسلمين^(٤). ويرى الشهرستاني أنهم استمدوا آراءهم ومقولاتهم من الفلاسفة^(٥).

❖ أولا: تعريف الباطنية:

تعددت الآراء في تعريف الباطنية يقول أبو حامد الغزالي "الباطنية لقبوا بها لدعواهم أن لظواهر القرآن والأخبار بواطن تجري في الظواهر مجرى اللب من القشر وأنها بصورها توهم عند الجهال الأغبياء صورا جلية، وهي عند العقلاء والأذكياء

= من مؤلفاته: العقيدة الإسلامية وأسسها، الأخلاق الإسلامية وأسسها، قواعد التدبر لكتاب.

(١) انظر: العقيدة الإسلامية وأسسها: عبدالرحمن حبنكة الميداني، ص ٧٠١، ط الثانية، ١٩٧٩م، دار القلم، دمشق، بيروت.

(٢) انظر: مذاهب الإسلاميين: عبدالرحمن بدوي، ص ٧٥٩-٧٨٠.

(٣) الفرق بين الفرق: البغدادي ص ٢٤٩.

(٤) انظر: الملل والنحل: الشهرستاني، ص ٢٢٩.

رموز وإشارات إلى حقائق معنية"^(١).

ويرى الشهرستاني أن هذا الاسم أطلق عليهم لأنهم يقولون بأن لكل ظاهر باطنا ولكل تنزيل تأويلا^(٢)

ويشرح الأستاذ حينئذ الفكرة التي تدور عليها الباطنية فيقول: "أن النصوص الشرعية من قرآن وسنة نبوية لها ظاهر وباطن، فالظاهر ما يفهم من النص العربي، والباطن ما يفهمونه بوساوسهم وأوهامهم الخبيثة"^(٣).

إذا الباطنية لقب عام تشترك فيه العديد من الفرق، يصل ما بينها من فروقات إلى حد التباين يجمع بينها تأويل النصوص الظاهرة، إلى معان باطنية تفسرها كل فرقة بحسب ماتراه المعنى الحقيقي، والذي لا يعرفه إلا الخواص منهم أما العوام فنصيبهم القشور والظاهر^(٤).

❖ ثانياً: أشهر فرقها وأهم معتقداتها:

كثيرة هي فرق الباطنية وإن كان معظمها يندرج تحت التشيع كما يقول عبدالرحمن بدوي^(٥) وعد الغزالي الباطنية اسماً ولقبا لعشر فرق تندرج تحت كل منها مسميات وتقسيمات أخرى^(٦) وفي نفس السياق يضع الشهرستاني الباطنية، وكأنها

(١) فضائح الباطنية: الغزالي، راجعه: محمد علي القطب، ص ٢١، ط ٢٠٠١م، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان.

(٢) انظر: الملل والنحل: الشهرستاني ص ٢٢٨.

(٣) العقيدة الإسلامية وأسسها: عبدالرحمن حبنكة الميداني، ص ٧٠٣.

(٤) انظر: مذاهب الإسلاميين، ص ٧٥١.

وأيضاً: أصول الاسماعيلية: سليمان عبدالله السلومي ١/ ٢٢٢، ط الأولى، ١٤٢٢هـ، دار الفضيلة، الرياض.

(٥) انظر: مذاهب الإسلاميين: عبدالرحمن بدوي، ص ٧٥٣.

(٦) انظر: فضائح الباطنية: الغزالي، ص ٢١.

اسم ومصطلح على عدد من الفرق يقول الشهرستاني عن الباطنية "فبالعراق يسمون: الباطنية والقرامطة والمزدكية وبخراسان التعليمية والملحدة، وهم يقولون نحن الإسماعيلية لأننا تميزنا عن فرق الشيعة بهذا الاسم وهذا الشخص" (١).

واتفق جل المعاصرين على اعتبار فرق الباطنية الكبرى أربعاً وإن كان اختلفوا في بعض تفاصيلها فعبداً الرحمن بدوي يرى أن الفرق الباطنية الكبرى هي: الإسماعيلية والقرامطة والبابكية والنصيرية والدروز (٢).

فيما يجعلها أحمد جلي ثلاثاً، وهي الإسماعيلية، والنصيرية، والدروز، باعتبار القرامطة جزء من الإسماعيلية (٣).

ويخلص الشيخ: سليمان عبدالله السلومي (٤) إلى أن فرق الباطنية الكبرى (٥) أربع وهي:

١- الإسماعيلية.

٢- القرامطة (٦).

(١) الملل والنحل: الشهرستاني ص ٢٢٨ .

(٢) انظر: مذاهب الإسلاميين: عبدالرحمن بدوي، ص ٧٥٣.

(٣) دراسات عن الفرق وتاريخ المسلمين: أحمد جلي، ص ٢٦٥

(٤) سليمان عبدالله السلومي الأستاذ المساعد بكلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى، له كتاب: أصول الإسماعيلية .

(٥) انظر: أصول الإسماعيلية: سليمان عبدالله السلومي ١/ ٢٢٢، ط الأولى، ١٤٢٢ هـ، دار الفضيلة، الرياض.

(٦) القرامطة: حركة باطنية هدامة تنتسب إلى شخص اسمه حمدان بن الأشعث ويلقب بقرمط لقصر قامته وساقية وهو من خوزستان في الأهواز ثم رحل إلى الكوفة. وقد اعتمدت هذه الحركة التنظيم السري العسكري، وكان ظاهرها التشيع لآل البيت والانتساب إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق.

انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ١/ ٨٧ .

٣- النصيرية^(١).

٤- الدرروز^(٢).

وفي مايلي لمحة موجزة، عن أهم آراء ومعتقدات الإسماعيلية فهي أهم هذه الفرق، إضافة إلى أنها مرادفة للباطنية، والغزالي اكتفى بها نموذجاً عن الباطنية مع القرامطة، والشهرستاني جعل الباطنية مرادفاً واسماً للإسماعيلية، وابن خلدون نفسه يميل إلى هذا الاتجاه ويعتبر الإسماعيلية صراحة هم الباطنية^(٣) كما سيأتي إن شاء الله.

الإسماعيلية:

نسبة إلى إسماعيل بن جعفر الصادق وامتازوا في مسألة الإمامة عن بقية الشيعة بإثبات الإمامة لإسماعيل بن جعفر الصادق^(٤)

وهي فرقة من فرق الشيعة، أخذت أصولها المذهبية عن الأصول الشيعية التي وجدت قبل ظهور الإسماعيلية، تشعبت فرقتها وامتدت عبر الزمان حتى العصر الحاضر، وحققتها تخالف العقائد الإسلامية الصحيحة^(٥)

(١) النصيرية: حركة باطنية ظهرت في القرن الثالث للهجرة، أصحابها يعدون من غلاة الشيعة الذين زعموا وجوداً إلهياً في علي وأهله به. انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ١/ ٨٩.

(٢) الدرروز: فرقة باطنية تؤله الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله، أخذت جل عقائدها عن الإسماعيلية، وهي تنتسب إلى نشكين الدرزي. نشأت في مصر لكنها لم تلبث أن هاجرت إلى الشام. عقائدها خليط من عدة أديان وأفكار، كما أنها تؤمن بسرية أفكارها، فلا تنشرها على الناس، ولا تعلمها لأبنائها إلا إذا بلغوا سن الأربعين.

انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ١/ ٩٠.

(٣) انظر: تاريخ ابن خلدون: ص ١٥٢.

(٤) انظر: الملل والنحل: الشهرستاني، ص ٢٢٦.

(٥) انظر: طائفة الإسماعيلية تاريخها نظمها عقائدها: محمد كامل حسين، ص ٤، ط الأولى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

❖ ثالثاً: أهم معتقداتها وآرائها:

بحسب مصطفى غالب^(١) فإن العقيدة الأساسية للجامعة للإسماعيلية تترسخ في حقائق ثابتة:

١- العبادة العلمية (علم الظاهر) وهو ما يتصل بفرائض الدين وأركانه.

٢- العبادة العملية (علم الباطن) من تأويل ومثل عليا

وكل هذا النقاط تعتبر من صميم العقائد تتداخل مع بعضها تداخلاً كلياً وتعتمد كل واحدة على الأخرى كما يقول^(٢) مصطفى غالب وهو إسماعيلي من مدينة سلمية ذات الأغلبية الإسماعيلية في سوريا.

ويجمل الشيخ: سليمان السلومي معتقدات وآراء الإسماعيلية^(٣) ويرى أن للإسماعيلية أصولاً أساسية ترجع وتتصل جميع معتقداتهم بها وهذه الأصول هي:

١- الإمامة.

٢- التأويل الباطني فما من عقيدة أو فكرة إلا وترجع إلى أحدهما.

ويلخص السلومي النتائج التي توصل إليها من خلال أطروحته "أصول الإسماعيلية" في النقاط التالية:

١- الفكر الإسماعيلي مجموعة آراء ومذاهب ملففة صيغت بأسلوب باطني بهدف

= وأيضاً: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ١/ ٣٧٦.

وأيضاً: مذاهب الإسلاميين: عبدالرحمن بدوي، ص ٨٣١.

(١) مصطفى غالب (١٩٢٣-١٩٨٠) يطلق عليه حامل التراث الإسماعيلي السوري من بلدة سلمية ذات الأغلبية الإسماعيلية أخرج وحقق العديد من كتب سلفه الإسماعيلية.

(٢) انظر: تاريخ الدعوة الإسماعيلية: مصطفى غالب، ص ٣٩، ط الثانية، ١٩٦٥م، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت.

(٣) انظر: أصول الإسماعيلية: سليمان عبدالله السلومي، ١/ ٦٧٥، ط الأولى، ١٤٢٢هـ، دار الفضيلة، الرياض.

احتواء ديانات متعددة ومذاهب متفرقة، وأن جل هذه الآراء مستمدة من الفلسفة الإغريقية

٢- في الإلهيات عقيدتهم كفرية شركية حيث نفوا تدبير الله وخلقهم للكون ونسبة ذلك إلى عقليين من العقول العشرة المستقاة من فلاسفة الإغريق واليونان، ومجال النبوات يقولون بكسبية النبوة واستمرارها مع إنكار المعجزات، وفي باب الأخرويات ينكرون البعث والمعاد ولا يؤمنون بالدار الآخرة

٣- لا يؤمنون بالقرآن ولا بالسنة وينكرون التكاليف الشرعية ويبطلونها ولهم تفصيلات كثيرة في كل باب من أبواب العقيدة يطول ذكرها كلها ضلال وكفر فهم كما يقول عنهم أبو حامد الغزالي ظاهر مذهبهم الرفض وباطنه الكفر المحض^(١).

❖ رابعاً: ابن خلدون والفرق الباطنية "دراسة تطبيقية":

أ - قراءة عامة.

تناول ابن خلدون الفرق الباطنية، وخاصة مايتعلق بالجانب التاريخي، وعقد عدة فصول تحدث فيها بإسهاب عن هذه الفرق وتفصيل أيامها، فبعد تعريفه العام في المقدمة بمذاهب الشيعة، نراه يفصل في تاريخه ويفرد بعض الفرق الكبرى، كالإسماعيلية والقرامطة بعدة فصول وأبواب، يخصص كل منها لجزئية معينة لم يتناولها في الفصول السابقة، فكانت بدايته بفصل عنونه "ابتداء أمر القرامطة"^(١) تحدث فيه عن تاريخ ظهورهم ونبذة بسيطة عن أهم معتقداتهم وآرائهم، ثم يعقد فصلاً آخر "أخبار القرامطة في البصرة والكوفة"^(٢) يذكر فيها أخبارهم، وما قاموا به

(١) فضائح الباطنية: الغزالي، ص ٤٣ .

(٢) انظر: تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون، ٢/ ١٢٥٠ .

(٣) انظر: المرجع السابق ٢/ ١٢٨٤ .

من عمليات دموية وإجرامية وقلعهم الحجر الأسود، ثم يختم الفصول التي خصصها للقرامطة بفصل عنونه "الخبر عن القرامطة واستبداد أمرهم وماستقر لهم من الدولة بالبحرين وأخبارها إلى حين انقراضها"^(١) وهو الفصل الأهم الذي لخص فيه عقائدهم وأيامهم ونهاية أمرهم.

أما الإسماعيلية التي يجعل القرامطة فرعاً عنها فقد عقد لها فصولا طويلة سرد فيها أخبار دولهم وبالأخص الدولة العبيدية، وكانت بداية تناوله لهم على شكل باب طويل عنونه بـ "الإسماعيلية"^(٢).

وتطرق فيه وباختصار إلى أهم العقائد والآراء التي يعتمد عليها المذهب الإسماعيلي ثم تناول بالتفصيل أخبار دولهم، وفي مقدمتها دولة العبيديين مركزاً على سيرة عبيدالله المهدي^(٣)، ويطيل النفس في

أخبار الدولة العبيدية أو الفاطمية، ثم يعقد فصلاً آخر يعنونه أيضاً بـ "الإسماعيلية"^(٤) يكمل فيه ذكر أخبار الإسماعيليين وأيامهم وأهل الحصون بالعراق وفارس والشام وغيرها.

هذا من حيث العموم وفي مايلي استعراض للجوانب التي تناولها ابن خلدون في دراسته لهذه الفرق من الناحية العقدية.

(١) انظر: تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون ٢/١٤٨٧.

(٢) المرجع السابق ٢/١٤٤١.

(٣) المهدي (٠٠-٣٢٢هـ) عبيدالله بن محمد الحبيب أول خلفاء الدولة الفاطمية "العبيدية" كانت بداية دولتهم من المغرب وقدم إليها من الشام
اختلف في صحة نسبه إلى آل البيت والرأي الأكثر شيوعاً أن نسبه منتحل.

انظر: تاريخ الإسلام ٢٤/١٠٨، تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون ٢/١٤٤٣، الأعلام: ٤/١٩٧.

(٤) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون، ٢/١٤٩٥.

ب- فرق الباطنية ونسبتها.

يصنف ابن خلدون فرق الباطنية بأنها فرق شيعية غالية ويجعلهم من الإمامية يقول: "وأما الإمامية فساقوا الإمامة من علي الرضا إلى ابنه الحسن بالوصية، ثم إلى أخيه الحسين، ثم إلى ابنه زين العابدين ثم إلى ابنه محمد الباقر ثم إلى ابنه جعفر الصادق، ومن هنا افترقوا فرقتين فرقة ساقوها إلى ولده إسماعيل ويعرفونه بينهم بالإمام وهم الإسماعيلية، وفرقة ساقوها إلى ابنه موسى الكاظم وهم الاثنا عشرية لوقوفهم عند الثاني عشر من الأئمة"^(١).

وعند حديثه عن الإسماعيلية ودولتهم العبيدية يصرح بأنهم شيعة "أصل هؤلاء العبيديين من الشيعة الإمامية"^(٢).

وفي موضع آخر عندما تناول أخبار الإسماعيلية أهل الحصون بالعراق وفارس والشام قال عنهم: "هذا المذهب هو مذهب القرامطة، وهم غلاة الرافضة"^(٣).

وإطلاق وصف الشيعة على الإسماعيلية يكاد مطردا في كل إنتاج ابن خلدون فهو عندما ذكر تأثر التصوف الغالي بالشيعة حصر ذلك خصوصا في الإسماعيلية يقول عنهم أي الصوفية الغالية "وكان سلفهم مخالطين للإسماعيلية المتأخرين من الرافضة الدائنين أيضا بالحلول"^(٤).

وفي نفس السياق يورد النص التالي "والذي يظهر أن المتصوفة بالعراق لما ظهرت الإسماعيلية من الشيعة"^(٥).

(١) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون ١/١٥١ .

(٢) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون ٢/١٤٤١ .

(٣) المرجع السابق ٢/١٤٩٥ .

(٤) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون ١/٣٧٣ .

(٥) المرجع السابق ص ١/٣٧٤ .

أما سبب تسميتهم بالباطنية فله فيها قولان:

الأول: أنهم سموا بذلك لقولهم بالإمام الباطن أي المستور

وهذا ذكره في مقدمة تاريخه "ويسمون أيضا بالباطنية نسبة إلى قولهم بالإمام الباطن أي المستور"^(١).

الثاني: كتبناهم لمذهبهم وذلك بعد تراجع شوكتهم واندثار أمرهم وكثرة أذيتهم بالأمصار.

يقول: "وكان هذا المذهب بعدموت ذكرويه، وانحلال عقدهم، بقي منبثا في الأقطار، ويتناوله أهله، ويدعون إليه ويكتمونه، ولذلك سموا الباطنية، وفشيت أذيتهم بالأمصار بما كانوا يعتقدونه من استباحة الدماء"^(٢).

ج - الإسماعيلية:

يعتبر ابن خلدون الإسماعيلية أس الفرق الشيعية الغالية، ويرأها مرادفا لاسم الباطنية ويتبنى رأي^(٣) الشهرستاني في أن إطلاق لفظ الإسماعيلية عليهم لانتسابهم إلى إسماعيل بن جعفر الصادق، وتوليهم له والقول بإمامته، سواء مات في حياة أبيه أو بعده.

يقول: "فأما الإسماعيلية فقالوا بإمامة إسماعيل بالنص من أبيه جعفر وفائدة النص عليه عندهم وإن كان قد مات قبل أبيه إنما هو بقاء الإمامة في عقبه كقصة هارون مع موسى صلوات الله عليهما، قالوا ثم انتقلت الإمامة من إسماعيل إلى ابنه محمد المكتوم^(٤) وهو أول الأئمة المستورين"^(٥).

(١) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون/١/١٥٢ .

(٢) المرجع السابق ٢/١٤٩٥ .

(٣) انظر: الملل والنحل: الشهرستاني ٢/٢٢٦ .

(٤) المكتوم (١٣١-١٩٨هـ) محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق إمام عند القرامطة .

ويطلق ابن خلدون اسماً آخر على الإسماعيلية وهو الملحدة تبعاً للشهرستاني^(١) "ويسمون أيضاً الملحدة"^(٢).

د - معتقداتها وفرقها .

ويجمل ابن خلدون القول في الإسماعيلية في الفصل الذي عقدهم لهم في المسائل التالية:

١ - نسبتهم إلى إسماعيل بن جعفر الصادق وهو أول الأئمة ثم يلخص عقيدتهم والتي على ما يبدو تدور على الإمامة وأن العدد سبعة له شأن عندهم. يقول ابن خلدون "وأما الإسماعيلية فزعموا أن الإمام بعد جعفر الصادق ابنه إسماعيل، وتوفي قبل أبيه. وكان أبو جعفر المنصور طلبه فشهد له عامل المدينة بأنه مات. وفائدة النص عندهم على إسماعيل وإن كان مات قبل أبيه بقاء الإمامة في ولده كما نص موسى على هارون صلوات الله عليهما ومات قبله. والنص عندهم لا مرجع وراءه، لأن البداء على الله محال. ويقولون في ابنه محمد أنه السابع التام من الأئمة الظاهرين، وهو أول الأئمة المستورين عندهم الذين يستترون ويظهرون الدعوة، وعددهم ثلاثة ولن تخلو الأرض منهم عن إمام، إما ظاهر بذاته أو مستور، فلا بد من ظهور حجته ودعائه. والأئمة يدور عددها عندهم على سبعة عدد الأسبوع، والسموات والكواكب، والنقباء تدور عندهم على اثني عشر. وهم يغلطون الأئمة حيث جعلوا عدد النقباء للأئمة. وأول الأئمة المستورين عندهم محمد بن إسماعيل وهو محمد المكتوم، ثم ابنه

= يرى الإسماعيلية أنه أقام بالإمامة بعد وفاة أبيه ويدعي الفاطميون نه جدهم.

انظر: الأعلام ٦ / ٣٤.

(١) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون ١ / ١٥٢ .

(٢) انظر: الملل والنحل: الشهرستاني ٢ / ٢٢٩ .

(٣) تاريخ ابن خلدون: ١ / ١٥٢ .

جعفر المصدق^(١)، ثم ابنه محمد الحبيب^(٢) ثم ابنه عبدالله المهدي صاحب الدولة بإفريقية والمغرب^(٣)

فالنص السابق هو أوسع ما ذكره ابن خلدون عن عقائد الإسماعيلية، وما ذكره في مقدمة تاريخه لا يزيد عن السطرين^(٤) وهو دائم الإحالة إلى الملل والنحل للشهرستاني.

٢- يشير إلى انقسام الإسماعيليين إلى نزارية ومستعلية وذلك عند حديثه عن الحسن بن الصباح الذي يقول عنه "وكان لهذا الحسن مقالات في مذاهب الرافضة عريقة في الغلو داخلة من باب الكفر وتسميها الرافضة المقالات الجديدة ولا يدين بقبولها إلا الغلاة منهم"^(٥) ويصفها في موضع آخر بأنه "عالما بالتعاليم والنجوم والسحر"^(٦).

ويرجع انشطارهم إلى الخلاف الذي وقع بسبب الخلافة، وكأنه يقول بالتقسيم الشرقي والغربي بحيث يصبح النزارية هم الشرقيين والمستعلية هم الغربيين يقول في

(١) ثاني الأئمة المستورين والمكتومين عند الإسماعيلية ويدعون أنه ابن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق . ولا يعرف شيئاً عن ميلاده أو وفاته إلا أنه بحسب روايات الإسماعيلية كانت حياته ما بين نهاية القرن الثاني وبداية الثالث الهجري .

انظر: تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون ٢/١٤٤٣، الأعلام: ١/٣١١.

(٢) ثالث الأئمة المكتومين عند الإسماعيلية. كانوا يلقبونه أو يكنون عنه بالحبيب، كتماننا لاسمه. قيل توفي سنة ٢٧٠هـ.

انظر: تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون، ٢/١٤٤٣، الأعلام ٦/٧٠.

(٣) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون ٢/١٤٤٣.

(٤) المرجع السابق: ١/١٥٢.

(٥) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون ٢/١٤٩٨.

(٦) المرجع السابق ٢/١٤٩٥.

هذا السياق " واختلف بعضهم باختلاف الأعصار والأمصار، وكانوا يدعون أولاً قرامطة. ثم قيل لهم بالعراق باطنية، ثم الإسماعيلية، ثم النزارية لما حدث من عهد المستضيء العلوي لابنه نزار، وقتله شيعتهم بمصر، ولم يبايعوا له، وكان عنده ابن الصباح من هؤلاء الإسماعيلية، ونفى الإمامة بعده عن أئمتهم بمصر فسموا أصحابه لذلك نزارية" (١).

فهو كما في النص السابق يرى النزارية امتداداً للقرامطة وهو ما أكد عليه في نص آخر "هذا المذهب هو مذهب القرامطة وهم غلاة الرافضة، وهو على ما رأته من الاضطراب والاختلاف. ولم يزل متناقلاً في أهله بأنحاء العراق وخراسان وفارس والشام.

واختلف بعضهم باختلاف الأعصار والأمصار، وكانوا يدعون أولاً قرامطة. ثم قيل لهم بالعراق باطنية، ثم الإسماعيلية، ثم النزارية" (٢).

ويصف ابن خلدون حال الديار التي استولى عليها الإسماعيلية " ولم تنزل قلاع هؤلاء الإسماعيلية بالعراق عشا لهذه الغواية وسفطا لهؤلاء الخباث" (٣).

٣- العبيديون وهم النواة الصلبة للدولة الإسماعيلية ويفرد ابن خلدون صفحات طويلة، ويأسهب لأخبار دولتهم ولم يختلف في تناوله لأخبار دولتهم عن ما سار عليه بقية المؤرخين المسلمين، إلا أن الملفت في الأمر وهو ما أثار جدلاً حول الموضوع هو إثباته لنسبهم يقول: "وأولهم عبيدالله المهدي بن محمد الحبيب بن جعفر الصادق بن محمد المكتوم بن جعفر الصادق" (٤).

(١) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون ٢/ ١٤٩٥.

(٢) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون ٢/ ١٤٩٥.

(٣) المرجع السابق ص ١٤٩٨.

(٤) المرجع السابق ص ١٤٤٣.

ويلاحظ في النص السابق إسقاطه لإسماعيل بن جعفر الصادق إلا أنه يتدارك هذا الخطأ في نص آخر "ولما توفي محمد الحبيب بن جعفر بن محمد بن إسماعيل الإمام عهد إلى ابنه عبيدالله"^(١).

ثم يفند كل من قال بعكس ذلك وقال: "ولا عبرة بمن أنكر هذا النسب"^(٢). ويستشهد بذلك برسالة المعتضد^(٣) لابن الأغلب^(٤) بالقيراون، وابن مدرار^(٥) بسجلماسة، إضافة إلى شعر الشريف الرضي^(٦) "فكتاب المعتضد إلى ابن الأغلب

(١) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون ١٤٤٦/٢.

(٢) المرجع السابق ص ١٤٤٣.

(٣) المعتضد (٢٨٩-٢٠٠هـ) أبو العباس أحمد بن أبي أحمد بن طلحة بن المتوكل،، ولايته عشر سنين غير شهرين وأيام، ومات وله ست وأربعون سنة، وكان يتشيع، ورجع إلى بغداد وسكنها، ولم يحج قط. أمه أم ولد، اسمها: ضرار، من دار محمد بن عبدالله بن طاهر. وفي أيامه ظهرت دعوة الكفر بقرامطة البحرين، وفي بلاد إفريقية وباليمن.

انظر: تاريخ بغداد: ١١/٣١٦، سير أعلام النبلاء: ١٣/٤٧٩.

(٤) ابن الأغلب (٢٣٧-٢٨٩هـ) أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن الأغلب بن إبراهيم التميمي أحد أمراء القيروان، اتسم بالحزم والدهاء، بنى الحصون والمحارس بسواحل البحر، وغزا الإفرنج فافتتح كثيرا من حصونهم توفي غازيا في صقلية.

انظر: سير أعلام النبلاء: ١٣/٤٧٨، تاريخ ابن خلدون: ٢/١٥٨٦، الأعلام: ١/٢٨.

(٥) ابن مدرار: (٢٩٦-٢٠٠هـ) اليسع بن ميمون بن مدرار أحد ملوك كتامة من البربر، كانت طاعته للخليفة العباسي، في عصره استفحل أمر العبيديين بالمغرب، وبمقتله على أيديهم انتهى عهد الاستقلال والاستقرار في إمارة سجلماسة:

انظر: تاريخ ابن خلدون: ٢/١٤٤٨، الأعلام: ٧/١٩٦.

(٦) الشريف الرضي: (٣٥٩-٤٠٦هـ) محمد بن الحسين بن موسى، أبو الحسن، الرضي العلوي الحسيني الموسوي: أشعر الطالبين، على كثرة المجيدين فيهم. مولده ووفاته في بغداد. انتهت إليه نقابة الاشراف في حياة والده. وخلق عليه بالسواد، وجدد له التقليد سنة ٤٠٣هـ له: ديوان شعر في مجلدين.

انظر: الأعلام: ٦/٩٩.

بالقيروان، وابن مدرار بسلجاسة يغريهم بالقبض عليه لما سار إلى المغرب شاهد بصحة نسبهم وشعر الشريف الرضي"^(١).

وحمل العداة السياسي الذي يكنه لهم الخلفاء العباسيون في بغداد مسؤولية انتشار الطعن في نسبهم "وقد كان نسبهم ببغداد منكرًا عند أعدائهم شيعة بني العباس منذ مئة سنة فتلون الناس بمذهب أهل الدولة"^(٢).

ويعزز ابن خلدون رأيه في نسبهم بناء على نظريته في العصبية وأن الانقياد الذي تمتع به الحكام العبيديون دليل على صحة نسبهم "مع أن طبيعة الوجود في الانقياد إليهم، وظهور كلمتهم في مكة والمدينة أدل شيء على صحة نسبهم"^(٣).

ويستنكر على من يجعل نسبهم في اليهودية والنصرانية ويعتبر ذلك قدحا وأن ذلك يكفيه إثما وسفسفة "وأما من يجعل نسبهم في اليهودية والنصرانية ليعمون القدح وغيره فكفاه ذلك إثما وسفسفة"^(٤).

ويفرد ابن خلدون صفحات طويلة في مقدمة تاريخه، للدفاع عن نسبهم، والرد على من قال بعكس ذلك، مع نعتة من شكك في نسبهم بأن هذا من باب الأخبار الواهية يقول: "ومن الأخبار الواهية ما يذهب إليه الكثير من المؤرخين والأثبات في

(١) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون/٢/١٤٤٤. وأبيات الشريف الرضي ساقطة في النسخة التي اعتمدت عليها في البحث إلا أنها وردت في نسخة أخرى من تحقيق: خليل شحادة ونشرته دار الفكر ٣/٤٤٩. والأبيات:

ألبس الذل في بلاد الأعادي ... وبمصر الخليفة العلوي

من أبوه أبي ومولاه مولاي ... إذا ضامني البعيد القصي

لف عرقي بعرقه سيدا الناس ... جميعا، محمد وعلي

(٢) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون/٢/١٤٤٤.

(٣) المرجع السابق نفس الصفحة.

(٤) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون، ٢/١٤٤٤.

العبيديين خلفاء الشيعة بالقيروان والقاهرة من نفيهم عن أهل البيت صلوات الله عليهم والظعن في نسبهم إلى إسماعيل الإمام ابن جعفر الصادق يعتمدون في ذلك على أحاديث لفقت للمستضعفين من خلفاء بني العباس تزلفا إليهم بالقدح فيمن ناصبهم وتفننا في الشمات بعدوهم حسبا تذكر بعض هذه الأحاديث في أخبارهم ويغفلون عن التفتن لشواهد الواقعات وأدلة الأحوال التي اقتضت خلاف ذلك من تكذيب دعوهم والرد عليهم"^(١).

فابن خلدون ينتصر لقوله بصحة نسبهم مقدما الحجج والبراهين ولم يغفل الجانب الأخلاقي في الموضوع حيث يقول: "ومتى عرف امرؤ قضية أو استيقن أمرا وجب عليه عليه أن يصدع به"^(٢).

وقد أطال ابن خلدون في أخبار هذه الدولة ومؤسسها وداعيتها أبي عبدالله الشيعي^(٣) الذي خصص له ابن خلدون حيزا واسعا في أخبار هذه الدولة، وأنه من قام بالدولة بإفريقيا "ثم ابنه عبدالله المهدي صاحب الدولة بإفريقيا والمغرب التي قام بها أبو عبدالله الشيعي بكتامة"^(٤).

فهذا الرجل له الدور الأبرز في التمهيد لهذه الدولة، وتأسيسها عبر حروب دامية خاضها في شمال إفريقيا، حتى تمكن بعد جولات من الصراع في تأسيس نواة هذه الدولة، إلى أن انتهى الأمر بتصفيته على يد عبيدالله المهدي نفسه، الذي تمت له

(١) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون، ٢١/١

(٢) المرجع السابق نفس الصفحة .

(٣) الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا، أبو عبدالله، المعروف بالشيعي، القائم بدعوة عبيدالله المهدي جد ملوك مصر ويلقب بالمعلم: ممد الدولة للعبيديين، وناشر دعوتهم في المغرب. كان من الدهاة الشجعان، من أعيان الباطنية وأعلامهم، من أهل صنعاء. توفي في ٢٨٩هـ.

انظر: الأعلام للزركلي ٢/٢٣٠، وفيات الأعيان ٢/١٩٢.

(٤) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون، ٢/١٤٤٣.

البيعة العامة في شمال إفريقيا سنة سبع وتسعين ومئتين للهجرة، وذلك بعد أن شك في ولائه. وقتل بأمر من المهدي سنة ثمان وتسعين ومئتين للهجرة^(١).

ثم يواصل ابن خلدون سرده التاريخي، وبإسهاب لأحوال هذه الدولة وتقلباتها ومن تولى أمرها بذكر أخبارهم، مع تقديم المزيد من المعلومات عن العصر الذي تولى فيه الحاكم^(٢) بأمر الله السلطة، واصفا إياه بالاضطراب، وعدم الثبات على أمر، ونافيا في نفس الوقت التهمة التي تروج ضده، ومايرمى به من الكفر وإسقاط الصلوات ومؤكدا مذهبه في الرفض، معللا إنكاره لهذه التهم بأنها لو كانت صحيحة لقتل في حينه يقول: "وكان حاله مضطربا في الجور والعدل، والإخافة والأمن، والنسك والبدعة، وأما مايرمى به من الكفر وصدور السجلات بإسقاط الصلوات فغير صحيح، ولا يقوله ذو عقل، ولو صدر من الحاكم بعض ذلك لقتل لوقته. وأما مذهبه في الرفض فمعروف، ولقد كان مضطربا فيه مع ذلك، فكان يأذن في صلاة التراويح ثم ينهي عنها وكان يرى بعلم النجوم ويؤثره"^(٣).

وختم ابن خلدون استعراضه لأيام هذه الدولة بذكر آخر من تولى أمرها ونهايتها على يد صلاح الدين الأيوبي^(٤) ثم أشار إلى إسماعيلي المشرق بقيادة حسن ابن

(١) المرجع السابق ١٤٤٨/٢.

(٢) الحاكم بأمر الله أبو علي المنصور بن العزيز بالله نزار بن المعز العبيدي، حاكم مصر، كان جبارا عنيدا، وشيطانا مريدا، كثير التلون في أحكامه، وأفعاله، وأقواله، جائر، وإليه تنسب الفرقة الضالة الحاكمة، هلك سنة إحدى عشرة وأربعمائة.

انظر: سير أعلام النبلاء ١٥ / ١٧٣، الأعلام للزركلي ٧ / ٣٠٥

(٣) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون، ١٤٦٦.

(٤) يوسف بن أيوب بن شاذي، أبو المظفر، صلاح الدين الأيوبي، الملقب بالملك الناصر: من أشهر ملوك الإسلام. كان أبوه وأهله من تكريت والتي ولد بها.

ونشأ في دمشق، وتفقه وتآدب وروى الحديث بها وبمصر والإسكندرية، وحدث في القدس. وانصرف من القدس، بعد أن بني فيها مدارس ومستشفيات. ومكث في دمشق مدة قصيرة انتهت بوفاته ٥٨٩ هـ.

الصباح الذي انتهى أمرهم، واندثر شأنهم بعد قدوم التتار واحتلالهم لبغداد ثم القضاء على الدولة العباسية، ثم كان آخر ما ذكره بعد نهاية الباب المصدر الذي استقى منه أخبارهم "هذه أخبار الفاطميين ملخصة من كتاب ابن الأثير، ومن تاريخ دولتهم لابن الطوير^(١)، وقليل من ابن المسيحي^(٢) جمعت ما أمكنني منه ملخصاً"^(٣).

٤- القرامطة:

يعد ابن خلدون القرامطة من الإسماعيلية يقول: "وكان من هؤلاء الإسماعيلية القرامطة"^(٤).

وكان ابتداء أمرهم كما يقول ابن خلدون ناسبا إليهم ذلك زعما، أن رجلا ظهر بالكوفة سنة ثمان وسبعين ومئتين يتسم بالزهد يدعى قرمطا وقيل اسمه حمدان وقرمط لقب له^(٥).

وقال عن هذه الدعوة إنها لم يظهرها أحد من أهل النسب "هذه الدعوة لم

= وكانت مدة حكمه بمصر ٢٤ سنة، وبسورية ١٩ سنة.

انظر: الأعلام للزركلي ٨ / ٢٢٠، وفيات الأعيان ٧ / ١٣٩.

(١) ابن الطوير (٥٢٤-٦١٧هـ) أبو محمد المرتضى بن عبد السلام بن الحسن القيسراني

مؤرخ وعالم باللغة والأدب من مؤلفاته: "نزهة المقلتين في أخبار الدولتين"

انظر: نزهة المقلتين في أخبار الدولتين: ابن الطوير، تحقيق: أيمن فؤاد سيد. ص ١ ط الأولى ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م، دار فرانتس شتاينز شتوتغارت.

(٢) ابن المسيحي (٦٥٨-١٠٠هـ) سعيد بن أبي الخير بن عيسى الحضيري النسطوري أبو نصر المعروف بابن المسيحي طبيب من المميزين بالطب. له كتاب "الاقتضاب" في الطب.

انظر: الأعلام ٣ / ٩٤.

(٣) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون، ٢ / ١٤٨٥.

(٤) انظر: تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون، ٢ / ١٤٤٣.

(٥) انظر: تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون، ٢ / ١٢٥١.

يظهرها أحد من أهل نسب العلوية ولا الطالبين" (١).

ومدار هذه الدعوة على رجلين كما يقول ابن خلدون في النص التالي "وكان مدار دعوتهم على رجلين أحدهما يسمى الفرّج بن عثمان (٢) القاشاني من دعاة المهدي، ويسمى أيضا كرويه بن مهدويه وهو الذي انتهى إليه دعواتهم بسواد الكوفة، ثم بالعراق والشام ولم يتم لهؤلاء دولة والآخر يسمى أباسعيد الحسن بن بهرام الجنابي (٣) كانت دعوته بالبحرين واستقرت له هناك دولة ولبنيه، وانتسب بعض مزاعمهم إلى دعاة الإسماعيلية الذين كانوا بالقيروان كما نذكره" (٤).

واختصر ابن خلدون في ذكر عقائد القرامطة على مانسبه إلى حمدان

فهو ادعى لنفسه كما يقول ابن خلدون أنه الحجة والناقة والدابة وأنه يحيى بن زكريا وروح القدس وفرض على كل من يستجيب لدعوته دينارا، وأتى بتشريعات جديدة، وهي أن الصلاة أربع ركعات قبل طلوع الشمس وركعتان قبل غروبها، وأن

(١) المرجع السابق ١٤٨٧/٢ .

(٢) اختلف في اسمه وأصله. قيل: اسمه "حمدان" أو "الفرّج بن عثمان" أو الفرّج بن يحيى "لقبه: قرمط. أصله من خوزستان. وعرف في سواد الكوفة (سنة ٢٥٨هـ). فكان يظهر الزهد والتقشف واستمال إليه بعض الناس، فأراههم كتابا قيل: أوله "بسم الله الرحمن الرحيم. يقول الفرّج بن عثمان، وهو عيسى، وهو الكلمة، وهو المهدي، وهو أحمد بن محمد بن الحنفية، وهو جبريل" والأرجح أنه هو الذي قبض عليه عامل "الرجبة" سنة ٢٩٣ وقتله المكتفي بالله العباسي.

انظر: الأعلام للزركلي ١٩٤ / ٥، توضيح المشتبه ٨٠ / ٢.

(٣) الحسن بن بهرام الجنابي، أبو سعيد: كبير القرامطة ومعلن مذهبه. كان دقاقا، من أهل جنابة (بفارس) ونفي منها، فأقام في البحرين تاجرا. وجعل يدعو العرب إلى نحلته، فعظم أمره. فحاربه الخليفة، فظفر الحسن. وصافاه المقتدر العباسي. وكان أصحابه يسمونه (السيد). استولى على هجر والأحساء والقطيف وسائر بلاد البحرين. وكان شجاعا، داهية. قتله خادم له صقلبي في الحمام، بهجر ٣٠١هـ.

انظر: الأعلام للزركلي ١٨٥ / ٢، سير أعلام النبلاء ٢٨ / ٢١.

(٤) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون، ١٤٨٨ / ٢ .

الأذان بالتكبير في افتتاحه وشهادة التوحيد مرتين، ثم شهادة بالرسالة لآدم ثم نوح ثم إبراهيم ثم عيسى ثم محمد ﷺ ثم لأحمد^(١) بن الحنفية ويقرأ الاستفتاح في كل ركعة وهو من المنزل على أحمد بن محمد بن الحنفية، والقبلة بيت المقدس والجمعة يوم الاثنين، ولا يعمل فيه شيء، وأباح الخمر واعتبر الغسل من الجنابة كالوضوء ومن خالفهم يجب قتله ويجعلون يوم صومهم يوم المهرجان والنيروز^(٢).

ثم يورد ابن خلدون بالنص السورة التي يزعمون أنها تقرأ في صلواتهم "الحمد لله بكلمته وتعالى باسمه المنجد لأوليائه، قل إن الأهله مواقيت للناس، ظاهرها ليعلم عدد السنين والحساب والشهور والأيام، وباطنها أوليائي الذين عرفوا عبادي سبيلي، اتقوني يا أولى الألباب، وأنا الذي لا أسأل عما أفعل وأنا العليم الحكيم، وأنا الذي أبلو عبادي وأمتحن خلقي، فمن صبر على بلائي ومحتي واختباري ألقيته في جنتي وفي نعمتي، ومن زال عن أمري وكذب رسلي أخلدته مهانا في عذابي وأتممت أجلي وأظهرت على ألسنة رسلي. فأنا الذي لم يعمل جبار إلا وضعته وأذلتته، فبئس الذي أصر على أمره، ودام على جهالته. وقال: لن نبرح عليه عاكفين وبه موقنين أولئك هم الكافرون. ثم يركع ويقول في ركوعه: مرتين سبحان ربي ورب العزة وتعالى عما يصف الظالمون، وفي سجوده الله أعلى مرتين، الله أعظم مرة"^(٣)

ثم يقول عنه أي حمدان " وزعم بعض الناس أنه كان يرى رأي الأزارقة من

(١) لم أجد له ترجمة ولكن تتابع المؤرخون على أنه هو الذي ادعت فيه القرامطة النبوة وأنه مهديهم المنتظر، وضمنوا الشهادة بذلك أذانهم للصلاة، وذكروا اسمه في الكتاب المزعوم لدى القرامطة.

انظر: تاريخ الرسل والملوك: تاريخ الطبري ٥ / ٦٠٢، والكامل في التاريخ ٦ / ٤٦٣، والمختصر في أخبار البشر ٢ / ٥٥، وتاريخ ابن الوردي ١ / ٢٣٣، واتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ١ / ١٥٣.

(٢) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون، ١ / ١٢٥٠.

(٣) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون، ٢ / ١٢٥٠.

الخوارج" (١).

ثم يعقب بعد ذكر معتقداتهم والتي وصفها بالدعاوى الشنيعة المتعارضة "إلى غير ذلك من دعاوى شنيعة متعارضة يهدم بعضها وتشهد عليهم بالكذب" (٢).

ويقول في موضع آخر "ودعوى هؤلاء القرامطة في غاية الاضطراب مختلفة العقائد والقواعد منافية للشرائع والإسلام في الكثير من مزاعمهم" (٣).

وقد أطال ابن خلدون في ذكر أخبارهم وهي كلها ذات سياق تاريخي لا علاقة له بالناحية العقدية إلا إشارته بعد حادثة اقتلاع الحجر الأسود أنهم قالوا بأن فعلتهم تلك كانت بأمر من زعماء الدولة الفاطمية وهذا فيه دليل على ارتباطهم الواضح بالإسماعيلية "وزعموا أنهم إنما حملوه بأمر إمامهم عبيدالله وإنما يردونه بأمره وأمر خليفته" (٤).

(١) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون، ٢/ ١٢٥٠.

(٢) المرجع السابق ونفس الصفحة.

(٣) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون، ٢/ ١٤٨٨.

(٤) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون، ٢/ ١٤٩١.

❖ خامساً: تحليل ومناقشة:

ابن خلدون كما تبين من العرض السابق يعد الباطنية مرادفا للإسماعيلية، ويعدها في النهاية من فرق الشيعة وهذا أمر اتفق عليه معظم أصحاب المقالات والفرق^(١).

وفي مايلي بعض الوقفات:

١- ابن خلدون يعتمد كثيرا في مايتعلق بالجانب العقدي على الشهرستاني وقد صرح بهذا في أكثر من موضع في كتابه فبعد أن ذكر الإسماعيلية وأنهم هم الباطنية وذلك في مقدمة تاريخه "ويسمى هؤلاء نسبة إلى القول بإمامة إسماعيل، ويسمون أيضا بالباطنية نسبة إلى قولهم بالإمام الباطن أي المستور، ويسمون أيضا الملاحدة، لما في ضمن مقالاتهم من الإلحاد ولهم مقالات قديمة ومقالات جديدة دعا إليها الحسن بن محمد الصباح في آخر المائة الخامسة، وملك حصونا بالشام والعراق ولم تزل دعوته فيها إلى أن توزعها الهلاك بين ملوك الترك بمصر وملوك التتر بالعراق فانقرضت. ومقالة هذا الصباح في دعوته مذكورة في كتاب الملل والنحل للشهرستاني"^(٢)

ويؤكد على هذا الأمر في موضع آخر: "وكان لهذا الحسن مقالات في مذاهب الرافضة عريقة في الغلو داخله من باب الكفر وتسميها الرافضة المقالات الجديدة ولا يدين بقبولها إلا الغلاة منهم وقد ذكرها الشهرستاني في كتاب الملل والنحل فعليك به إن أردت معرفتها"^(٣).

٢- كان تركيز ابن خلدون الأول هو الجانب التاريخي وأهمل الناحية العقدية،

(١) انظر: الفرق بين الفرق: البغدادي، ص ٢٠٢.

وأیضا: الملل والنحل: الشهرستاني، ص ٢٢٩، مذاهب الإسلاميين: عبدالرحمن بدوي، ص ٧٥٣.

(٢) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون، ١/ ١٥٢.

(٣) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون، ٢/ ١٤٩٨.

إلا قليلا لكنه كان واضحا في رفضه لمذهبهم ونعته أكثر من مرة بالكفر، كما قال عن مقالات الحسن بن الصباح أحد منظريهم، وأبرز رجالات الإسماعيلية النزارية حيث يقول عنه "وكان لهذا الحسن مقالات في مذاهب الرافضة عريقة في الغلو داخله من باب الكفر"^(١) وبنفس الشدة وصف آراء القرامطة.

"ودعوى هؤلاء القرامطة في غاية الاضطراب مختلفة العقائد والقواعد منافية للشرائع والإسلام"^(٢).

فموقف ابن خلدون منهم يتفق مع موقف أهل السنة والجماعة وإن لم يفصل في ما يتعلق بعقائدهم أو الرد عليها.

٣- إثبات نسب العبيديين هي المسألة الأكثر جدلا في تناوله للدولة العبيدية، وهذا رأي اشتهر به ابن خلدون ودافع عنه ولم يقله أحد قبله، إلا ما كان من ابن الأثير فحتى المقرئ الذي نصر هذا القول إنما كان تبعا لأستاذه ابن خلدون كما يقول إحسان ظهير^(٣).

وهذه المسألة هي ما جعلت ابن حجر العسقلاني يتهمه بالنصب وأنه لم يثبت نسب الفاطميين إلا نكايه بآل البيت.

وقد أولى الأستاذ: إحسان إلهي ظهير هذه المسألة اهتماما كبيرا وناقش فيها

(١) المرجع السابق نفس الصفحة .

(٢) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون، ٢/١٤٨٨ .

(٣) إحسان إلهي ظهير ولد في "سيالكوت" بباكستان عام ١٣٦٣هـ، له مجموعة من الكتب ومنها: "الإسماعيلية تاريخ وعقائد"، و"البايية عرض ونقد"، و"القاديانية"، و"البريلوية عقائد وتاريخ"، و"البهائية نقد وتحليل"، و"فرق شبه القارة الهندية ومعتقداتها". توفي في ١٤٠٧هـ متأثرا بجراحه بعد عملية اغتيال استهدفته، ودفن بالبقيع في المدينة النبوية.

(٤) انظر: الإسماعيلية: تاريخ وعقائد، إحسان إلهي ظهير، ص ١٨٥، إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان.

ابن خلدون وأفرد لها الصفحات الطوال^(١).

وتساءل في النهاية " عما يحملنا على الشك في أقوال الروايات التاريخية المتوالية التي تأبى نسبة الفاطميين إلى آل البيت، وقد أوردنا من هذه الروايات عدة لطائفة متعاقبة من المؤرخين والنسابين، ومنهم أقطاب لا يشك في نزاهتهم، ولا صد روايتهم، ولم تكن لديهم أي أسباب مذهبية أو سياسية خاصة تحملهم على الطعن في نسب الفاطميين وفي إمامتهم، ومنهم كثيرون لم يكونوا من صنائع بني العباس، ولم يعيشوا في كنفهم، بل ومنهم من أثر عنه الميل إلى الفاطميين والتشيع لهم ولم يسعه إلا أن ينقل ما كتبه المتقدمون في إنكار نسبتهم"^(٢).

وينهي خاتمة بحثه عن هذه المسألة " نجزم بأن نسب المهدي وأولاده إلى البيت العلوي ليس بثابت"^(٣).

وبعيدا عن استعراض الأقوال التي تنفي النسب الهاشمي لحكام الدولة العبيدية، وهي الأكثر والأشهر، بل كما تبين فإن من قال بعكس ذلك من أهل السنة والجماعة بحسب إحسان إلهي ظهير لا يتجاوزون الثلاثة، وركزتهم ابن خلدون، فابن الأثير لم يكن جازما بنسبتهم إلى آل البيت وإنما اكتفى بسرد الأقوال، ولعل ما جعل إحسان ظهير يقول بميل ابن الأثير إلى إثبات النسب الهاشمي للحكام العبيديين هي هذه العبارة "مع البراءة من عهدة طعنه في نسبه"^(٤) والتي أوردها في صدد استعراض أخبارهم، إضافة إلى أنه بدأ بذكر إثبات نسبهم قبل إيراد الأقوال الأخرى وإن كان ذلك بصيغة التضعيف ثم أردف ذلك بقوله: "إن نسبه صحيح على

(١) انظر: الإسماعيلية: تاريخ وعقائد، ص: ١٨٥-٢٦٩.

(٢) الإسماعيلية: تاريخ وعقائد، ص: ٢٦٤.

(٣) المرجع السابق ص ٢٦٦.

(٤) الكامل في التاريخ: ابن الأثير ٦/ ٤٤٨.

ماذكرناه" (١).

أما المقرئزي فتأثره بابن خلدون واضح فهو شيخه وقد تبنى رأيه في ما يتعلق بنسب حكام الدولة العبيدية (٢).

وبناء على ما سبق ليس من الضروري استعراض أقوال النسابة والمؤرخين في نفي نسبهم فهذا هو الرأي الأغلبى باجماع.

فابن الأثير وهو المتقدم زمنياً على ابن خلدون لم يكن جازماً في إثبات النسب بقدر عدم جزمه في نفيه والفرق بين الأمرين جلي، والمقرئزي تلميذ ابن خلدون ومتأثر به جداً.

إذا يمكن القول: أن ابن خلدون هو محور هذا القول من جمهور أهل السنة والجماعة، ويظهر أن اثبات ابن خلدون لنسب حكام الدولة العبيدية ما هو إلا نتاج نظريته في "العصبية" وأن الدولة لا يمكن أن تقوم إلا على عصبية قوية وما ذكره في التمكين لهم صريح في ذلك وأن وجوب الانقياد لهم يستلزم كما يقول في هذا النص "مع أن طبيعة الوجود في الانقياد إليهم، وظهور كلمتهم حتى مكة والمدينة أدل شيء على صحة نسبهم" (٣).

والحاصل في ماسبق:

- الفرق الباطنية هي جزء من الشيعة.
- يعتبر الإسماعيلية رديفاً للباطنية.
- اعتمد على الشهرستاني إلى حد كبير في ما يتعلق بتناوله لفرقهم.

(١) المرجع السابق ص ٤٤٧ .

(٢) انظر: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار: المقرئزي ١/٣٤٨، دار صادر، بيروت .

(٣) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون ٢/١٤٤٤ .

- يصحح نسب حكام الدولة العبيدية بناء على نظريته في العصبية.
- لم يدخل في تفاصيل المعتقدات وكان اهتمامه الأكبر بالجانب التاريخي.
- يتجنب الحكم على أعيان الأشخاص من أمثال حسن الصباح وحمدان قرمط وإن كانت حكايته لأقوالهم تكفي للحكم عليهم من القارئ الفطن.

❖ سادساً: تعريف الفلسفة ومراحلها الأولى:

أ- تعريضا:

الفلسفة باليونانية محب الحكمة والفيلسوف هو: فيلاوسوفا وفيلا هو المحب وسوفا: الحكمة، أي هو محب الحكمة^(١).

واللفظ يدل في الأصل اليوناني على محب الحكمة.

واصطلاحاً: أطلق قديماً على دراسة المبادئ الأولى وتفسير المعرفة عقلياً فتشمل عند أرسطو الفلسفة النظرية والعملية وقصرها الرواقيون على المنطق والأخلاق والطبيعة^(٢).

ب- مراحلها الأولى:

مرت الفلسفة اليونانية بثلاث مراحل رئيسية بالنظر إلى موضوعات بحثها:

- ١- مرحلة البحث في عالم الطبيعة لمعرفة الأسس الذي عليه يطرأ تغيير الأشياء إلى أضدادها ويعبر عن هذه المرحلة أرسطو طاليس
- ٢- مرحلة الاهتمام بالنظر والتأمل في جانبي التفكير والإرادة في الإنسان مما

(١) الملل والنحل: الشهرستاني، ص ٣٦٩.

(٢) المعجم الفلسفي: مجمع اللغة العربية، القاهرة، ص ١٣٨، ط ١٩٨٣م، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة.

سبب ظهور القضايا الأخلاقية والمنطقية ومن أهم رجالات هذه المرحلة سقراط^(١).
 ٣- استخدام معارف جديدة وتنظيمها وتوسيع نطاقها على يد أفلاطون^(٢)
 وديمقراطيس^(٣). ونشأت بعد هذه المرحلة ثلاث مدارس فلسفية رئيسية تختلف فيما
 بينها في الأصول وهي:

الدهرية: الذين جحدوا الخالق.

الطبيعون: الذين أكثروا من البحث في عالم الطبيعة.

الإلهيون: وهم الذين تصدوا للرد على كلتا المدرستين^(٤).

كانت بداية الفلسفة ونضوجها عن طريق اليونان وإلى هذه الأمة ينتمي أبرز
 منظريها، وهم من نقلوها إلى العالم عبر تسلسل حضاري، ودخلت هذه النظريات

(١) سقراط: يعرف بسقراط الحب لأنه سكن حبا وهو الدن مدة عمره ولم ينزل بيتا الحكيم المشهور الفاضل
 الكامل النزه المنخلي عن تنزهات هذا العالم الفاني الناظر إلى ما فيه يعين الحقيقة كان من تلاميذ
 فيثاغورس واقتصر من الفلسفة على العلوم الإلهية وأعرض عن ملاذ الدنيا ورفضها.

انظر: أخبار العلماء بأخبار الحكماء: القفطي، ص: ١٥٣.

(٢) أفلاطون بن أرسطون: أحد أساطين الحكمة الخمسة من يونان كبير القدر فيهم مقبول القول بليغ في
 مقاصده أخذ عن فيثاغورس اليوناني وشارك سقراط في الأخذ عنه ولم يشتهر ذكره بين علماء يونان إلا
 بعد موت سقراط وكان أفلاطون شريف النسب في بيوت يونان من بيت علم واحتوى على جميع فنون
 الطبيعة وصنف كتبا كثيرة مشهورة في فنون الحكمة.

انظر: أخبار العلماء بأخبار الحكماء: القفطي، ص ٢٠

(٣) ديمقراطيس: طبيب يوناني قديم عالم معالج حكيم مشهور في زمانه وكان قد ركب لنفسه شرابا حفظ به
 مزاجه من الأمراض طول حياته وهو شراب نافع لضعف الكبد والمعدة وغلظ الطحال وفساد المزاج
 البارد وقد ذكر شابور اقربا ذينة أخلاطه.

انظر: أخبار العلماء بأخبار الحكماء: القفطي، ص: ١٤٠.

(٤) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ٢/ ١٢٢٠.

وأیضا: نشأة الفكر الفلسفي: سامي نشار ١/ ١١٤، ط التاسعة، دار المعارف، كورنيش النيل، القاهرة.

اليونانية التي أصبحت تعرف اصطلاحاً بالفلسفة في صلب الحضارات مجاورة كانت أو بعيدة، كما كان لها تأثيرها الأكبر على الديانات السماوية حيث أدخلت عليها الكثير من المفاهيم، حتى أصبحت ممتزجة بها كما هو الحال في الديانتين اليهودية والنصرانية وتسللت أخيراً إلى المسلمين عبر الترجمة والاختلاط بالأمم الأخرى^(١).

❖ سابعاً: ابن خلدون والفلسفة "دراسة تطبيقية":

أ - مكانة ابن خلدون الفلسفية.

حجز ابن خلدون لنفسه مكانة لدى الباحثين والمهتمين بالفلسفة، وإن كان تقييمه فلسفياً ليس في نسق واحد أو اتجاه معين، فمن مبالغ في موقعه في خارطة الفلسفة كما هو الشأن مع آيت همو الذي قال عنه إنه الحلقة الأخيرة في سلسلة فلاسفة الغرب الإسلامي لكنها الحلقة الأقوى وجاعلاً له في مرتبة متقدمة على ابن رشد^(١) إلى مقلد من شأنه في هذا المجال، كما يقول عبد الأمير الأعسم^(٢) وفائزة تومان الشمري الأعسم^(٣)، فقد اعتبر ابن خلدون فيلسوفاً غير محترف "لم يكن ابن خلدون في تفسيراته ولا من جهة تأويلاته أحياناً يمكن أن يدخل ميدان الفلسفة احتراماً"^(٤).

وأنه لا يعرف ببساطة تفاصيل أقوال الفلاسفة معللين ذلك بأنه لم يدرس

(١) انظر: نشأة الفكر الفلسفي: سامي نشار ٢٩/١.

(٢) انظر: ابن خلدون بين نقد الفلسفة والانفتاح على التصوف: محمد آيت همو، ص ٣٣.

(٣) عبد الأمير عبد المنعم محمد الأعسم، ولد عام ١٩٤٠م بالعراق، دكتوراة في الفلسفة من جامعة كيمبردج (بريطانيا) ١٩٧٢م، اشتغل بالتدريس كما شغل عمادة عدة كليات، وشارك في أنشطة علمية عدة وله حضور بارز في المؤتمرات والندوات. له أكثر من عشرين كتاباً.

(٤) الدكتوراة فائزة تومان الشمري الأعسم، أستاذة زائر في قسم الفلسفة، كلية الآداب، جامعة عدن. لها ورقة حول: نقد ابن خلدون للفلسفة.

(٥) ابن خلدون ومنابع الحداثة: ندوة علمية، عبد الأمير الأعسم وفائزة تومان الأعسم، ورقة مشتركة ٢٤٣/١.

الفلسفة إلا لما لم يرفضون أي حكم يصدره ضد الفلاسفة^(١).

أما جميل صليبا^(٢) فقدّم تفصيلاً آخر عن ابن خلدون الفيلسوف فيقول: "وقصارى القول إن الفلسفة التي أراد ابن خلدون إبطالها ليست سوى فلسفة الفارابي وابن سينا وابن رشد التي نقلت عن اليونانية. ولو صح كلامه في إبطال أدلة الفلاسفة لما بطلت نفسها، لأن بطلان المدلول لا يستخرج من بطلان دليله"^(٣).

ثم يجعله في النهاية من مرتبة هؤلاء الفلاسفة العقليين والإلهيين وإن كان تميزه في فلسفة التاريخ والمنهج الوضعي والمنطق الواقعي^(٤).

تناول ابن خلدون عدة أبواب لها علاقة بالفلسفة من منطق وعلم كلام وخصص فصلاً خاصاً بالفلسفة في مقدمة تاريخه وكان عنوانه "في إبطال الفلسفة وفساد متحليها"^(٥).

ب- تعريفه للفلسفة:

يقدم ابن خلدون مفهومه للفلسفة فيقول: "أن قوماً من عقلاء النوع الإنساني زعموا أن الوجود كله، الحسي منه وما وراء الحسي تدرك ذواته وأحواله بأسبابها وعللها بالأنظار الفكرية والأقيسة العقلية، وأن تصحيح العقائد الإيمانية من قبل النظر لا من جهة السمع، فإن بعضها من مدارك العقل وهؤلاء يسمون فلاسفة جمع

(١) انظر: ابن خلدون ومنابع الحدائث: ١/٢٥٥.

(٢) جميل صليبا (١٩٠٢ - ١٩٧٦م) كاتب وفيلسوف عربي، قدم إلى جامعة باريس أطروحة في فلسفة ابن سينا وأطروحة في نظرية المعرفة فمُنح درجة الدكتوراة في الآداب عام ١٩٢٧م، من أهم مؤلفاته: تاريخ الفلسفة العربية، والمعجم الفلسفي.

(٣) تاريخ الفلسفة العربية: جميل صليبا، ص ٦٤١، ط ١٩٨٩م، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، لبنان.

(٤) المرجع السابق ص ٦٤٢.

(٥) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون، ١/٤٢٧.

فيلسوف" (١).

ج - نشأتها وأهم رجالاتها:

يعتبر ابن خلدون أن أرسطو هو إمام هذه المذاهب، فهو أول من رتب قانونها وهذب مسائلها منوها بأنه كان من تلاميذ أفلاطون، وأنه من أهل مقدونية من بلاد الروم ثم عرج على دور الترجمة في العصر العباسي، وأنها السبب في انتقال الفلسفة إلى العالم الإسلامي، ثم ذكر بأن هناك من تلقف هذه المذاهب وأخذها حذو النعل بالنعل وضاربا أمثلة على هؤلاء من أمثال أبي نصر الفارابي وابن سينا، واصفا إياهم بالضلال يقول ابن خلدون "وإمام هذه المذاهب، الذي حصل مسائلها ودون علمها وسطر حججها فيما بلغنا في هذه الأحقاب هو أرسطو المقدوني، من أهل مقدونية من بلاد الروم من تلاميذ أفلاطون، وهو معلم الإسكندر ويسمونه المعلم الأول على الإطلاق، يعنون معلم صناعة المنطق إذ لم تكن قبله مهذبة، وهو أول من رتب قانونها واستوفى مسائلها وأحسن بسطها، ولقد أحسن في ذلك القانون ما شاء لو تكفل له بقصدتهم في الإلهيات ثم كان من بعده في الإسلام من أخذ بتلك المذاهب واتبع فيها رأيه حذو النعل بالنعل إلا في القليل. وذلك أن كتب أولئك المتقدمين لما ترجمها الخلفاء من بني العباس من اللسان اليوناني إلى اللسان العربي، تصفحها كثير من أهل الملة وأخذ من مذاهبهم من أضله الله من منتحلي العلوم وجادلوا عنها واختلفوا في مسائل من تفاريعها، وكان من أشهرهم أبو نصر الفارابي في المائة الرابعة لعهد سيف الدولة (٢) وأبو علي بن سينا في المائة الخامسة لعهد نظام الملك (٣) من بني بويه بأصبهان

(١) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون، ١/٤٢٧.

(٢) سيف الدولة (٣٠٣-٣٥٦) هـ علي بن عبدالله بن حمدان التغلبي المشهور بسيف الدولة صاحب المتنبى وممدوحه ملك واسطا وماجاورها ومال إلى الشام فامتلك دمشق وحلب كان كثير العطايا مقربا لأهل الأدب.

انظر: وفيات الأعيان: ابن خلكان: ٣/٤٠١، الأعلام: ٤/٣٠٣.

وغيرهما." (١)

وعند تعرضه لـ "علم المنطق" وإشارته إلى من تناوله بالشرح ومنهم فلاسفة الإسلام لم يذكر إلا ثلاثة الفارابي وابن سينا وابن رشد (٢).

د - موضوع الفلسفة وقضاياها

يقدم ابن خلدون عرضاً لأهم القضايا الفلسفية بعد أن نوه بأمر المنطق، وأنه قانون وضعه الفلاسفة ليهتدي به العقل في التمييز بين الحق والباطل، ويمكن تلخيص عرضه في مايلي:

١- أن الوجود كله الحسي منه وما وراء الحسي تدرك ذواته وأحواله بأسبابها وعللها وأن تصحيح العقائد الإيمانية من قبل النظر لا من جهة السمع.

٢- أن التصور التام عندهم هو غاية الطلب الإدراكي

٣- يزعمون أن السعادة في إدراك الموجودات كلها ما في الحس وما وراء الحس بهذا النظر وتلك البراهين.

٤- وجب عندهم أن يكون للفلك نفس وعقل كما للإنسان ثم أنهموا ذلك نهاية عدد الآحاد وهي العشر تسع مفصلة

٥- يزعمون أن السعادة في إدراك الوجود على هذا النحو من القضاء مع تهذيب

النفس

(١) لعل ابن خلدون وهم فنظام الملك طوسي وتفرد بالحكم بعد موت ألب أرسلان من السلاجقة وليس من البويهيين ولم يلتق به ابن سينا الذي توفي بفترة طويلة قبل أن يصبح نظام الملك سلطاناً.

ولعله يقصد علاء الدولة أحد حكام بني بويه في أصبهان والذي كما يقول الذهبي بالغ في إكرام ابن سينا.

راجع: وفيات الأعيان: ابن خلكان، ١٥٩/٢، سير أعلام النبلاء: الذهبي، ٥٣٤/١٧.

(٢) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون، ٤٢٩/١.

(٣) المرجع السابق ص ٣٩٠.

يقول ابن خلدون "زعموا أن الوجود كله الحسي منه وما وراء الحسي تدرك أدواته وأحواله بأسبابها وعللها بالأنظار الفكرية والأقيسة العقلية، وأن تصحيح العقائد الإيمانية من قبل النظر لا من جهة السمع، فإنها بعض من مدارك العقل. وهؤلاء يسمون فلاسفة جمع فيلسوف وهو باللسان اليوناني محب الحكمة. فبحثوا عن ذلك وشمروا له وحوموا على إصابة الغرض منه ووضعوا قانونا يهتدي به العقل في نظره، إلى التمييز بين الحق والباطل وسموه بالمنطق.

ومحصل ذلك أن النظر الذي يفيد تمييز الحق من الباطل، إنما هو للذهن في المعاني المنتزعة من الموجودات الشخصية فيجرد منها، أو لا صور منطبقة على جميع الأشخاص كما ينطبق الطابع على جميع النقوش التي ترسمها في طين أو شمع. وهذه مجردة من المحسوسات تسمى المعقولات الأوائل. ثم تجرد من تلك المعاني الكلية إذا كانت مشتركة مع معان أخرى، وقد تميزت عنها في الذهن فتجرد منها معان أخرى وهي التي اشتركت بها. ثم تجرد ثانيا إن شاركها غيرها وثالثا إلى أن ينتهي التجريد إلى المعاني البسيطة الكلية المنطبقة على جميع المعاني والأشخاص ولا يكون منها تجريد بعد هذا وهي الأجناس العالية. وهذه المجردات كلها من غير المحسوسات، هي من حيث تأليف بعضها مع بعض لتحصيل العلوم منها تسمى المعقولات الثواني. فإذا نظر الفكر في هذه المعقولات المجردة وطلب تصور الوجود. كما هو فلا بد للذهن من إضافة بعضها إلى بعض ونفي بعضها عن بعض بالبرهان العقلي اليقيني ليحصل تصور الوجود تصورا صحيحا مطابقا إذا كان ذلك بقانون صحيح كما مر. وصنف التصديق الذي هو تلك الإضافة والحكم متقدم عندهم على صنف التصور في النهاية، والتصور متقدم عليه في البداية والتعليم، لأن التصور التام عندهم هو غاية الطلب الإدراكي وإنما التصديق وسيلة له وما تسمعه في كتب المنطقيين من تقدم التصور وتوقف التصديق عليه فبمعنى الشعور لا بمعنى العلم التام وهذا هو مذهب كبيرهم أرسطو ثم يزعمون أن السعادة في إدراك الموجودات كلها ما في الحس وما وراء الحس، بهذا النظر وتلك البراهين. وحاصل مداركهم في الوجود على الجملة وما آلت

إليه وهو الذي فرعوا عليه قضايا أنظارهم أنهم عثروا أولاً على الجسم السفلي بحكم الشهود والحس ثم ترقى إدراكهم قليلاً فشعروا بوجود النفس من قبل الحركة والحس في الحيوانات ثم أحسوا من قوى النفس بسلطان العقل. ووقف إدراكهم فقضوا على الجسم العالي السماوي بنحو من القضاء على أمر الذات الإنسانية. ووجب عندهم أن يكون للفلك نفس وعقل كما للإنسان ثم أنهم ذلك نهاية عدد الآحاد وهي العشر، تسع مفصلة ذواتها جمل وواحد أول مفرد وهو العاشر^(١).

ففي النص السابق يذكر ابن خلدون موضوعات وقضايا الفلسفة كما يراها ثم يختم ذلك بثمره الفلسفة وغايتها عندهم "ويزعمون أن السعادة في إدراك الوجود على هذا النحو من القضاء مع تهذيب النفس وتخليقها بالفضائل، وأن ذلك ممكن للإنسان ولو لم يرد شرع لتمييزه بين الفضيلة والرذيلة من الأفعال بمقتضى عقله ونظره وميله إلى المحمود منها، واجتنابه للمذموم بفطرته وأن ذلك إذا حصل للنفس حصلت لها البهجة واللذة، وأن الجهل بذلك هو الشقاء السرمدي وهذا عندهم هو معنى النعيم والعذاب في الآخرة إلى خبط لهم في تفاصيل ذلك معروف في كلماتهم"^(٢).

رده على الفلاسفة:

بعد أن استعرض مذاهبهم وآراءهم يشن ابن خلدون حملة شعواء عليهم ويصف أقوالهم بالبطلان "واعلم أن هذا الرأي الذي ذهبوا إليه باطل بجميع وجوهه"^(٣) وقد أجمل عبدالله عبدالرشيد هذه الوجوه في ثلاث^(٤):

(١) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون، ٤٢٨/١ .

(٢) المرجع السابق نفس الصفحة .

(٣) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون، ٤٢٩/١ .

(٤) انظر: ابن خلدون وآراؤه الاعتقادية: عبدالله عبدالرشيد، ٤٢١/١ .

الوجه الأول: رده على إسنادهم الموجودات كلها إلى العقل الأول:

يرد ابن خلدون على هذا الأمر ويرى أنه قصور عما وراء ذلك من رتب خلق الله، فالوجود أوسع من ذلك، وسببه الاعتماد على المنطق وحده وفيه مخالفة صريحة لسعة خلق الله، واعتراض على الأدلة العقلية والنقلية، وأن أفكارهم الكلية الذهنية لا ينطبق صدقها وصحتها على واقع الحياة يقول: "فأما إسنادهم الموجودات كلها إلى العقل الأول واكتفاؤهم به في الترقى إلى الواجب فهو قصور عما وراء ذلك من رتب خلق الله، فالوجود أوسع نطاقاً من ذلك قال تعالى ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٨] وكانهم في اقتصارهم على إثبات العقل فقط والغفلة عما وراءه بمثابة الطبيعيين المقتصرين على إثبات الأجسام خاصة المعرضين عن النقل والعقل، المتعقدين أنه ليس وراء الجسم في حكمة الله شيء. وأما البراهين التي يزعمونها ويعرضونها فهي قاصرة غير وافية بالعرض على مدعياتهم في الموجودات، فوجه قصورها أن المطابقة بين تلك النتائج الذهنية وبين ما في الخارج غير يقيني، لأن تلك الأحكام ذهنية كلية عامة، والموجودات الخارجية مشخصة بموادها، فأين اليقين الذي يجدونه فيها، وربما يكون تصرف الذهن أيضاً في المعقولات الأول المطابقة للشخصيات بالصور الخيالية لا في المعقولات الثواني التي تجريدها في الرتبة الثانية فيكون الحكم حينئذ يقينا بمثابة المحسوسات، فنسلم لهم حينئذ دعاويهم في ذلك إلا أنه ينبغي لنا الإعراض عن النظر فيها، إذ هو من ترك المسلم ما لا يعنيه، فإن مسائل الطبيعيات لا تهمنا في ديننا ولا معاشنا"^(١).

ويواصل ابن خلدون تفنيد هذا الرأي فيضرب الأمثلة في عدم إمكاننا من مطابقة الصور الخيالية الكلية مع الحس والواقع وخاصة الروحانيات والإلهيات فلا يمكن الوصول إلى حقائق عن طريق البراهين العقلية.

(١) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون ١/٤٢٩.

يقول: "وأما ما كان منها في الموجودات التي وراء الحس وهي الروحانيات، ويسمونه العلم الإلهي وعلم ما بعد الطبيعة، فإن ذواتها مجهولة رأساً، ولا يمكن التوصل إليها ولا البرهان عليها لأن تجريد المعقولات من الموجودات الخارجية الشخصية، إنما هو ممكن فيما هو مدرك لنا، ونحن لا ندرك الذوات الروحانية حتى نجرد منها ماهيات أخرى بحجاب الحس بيننا وبينها لا يتأتى لنا برهان عليها ولا مدرك لنا في إثبات وجودها على الجملة إلا مانجده بين جنبينا من أمر النفس الإنسانية وأحوال مداركها، وخصوصاً في الرؤيا التي هي وجدانية لكل أحد، وما واء ذلك من حقيقتها وصفاتها فأمر غامض، لا سبيل إلى الوقوف عليه وقد صرح بذلك محققوهم، حيث ذهبوا إلى أن ملامدة له لا يمكن البرهان عليه، لأن مقدمات البرهان من شرطها أن تكون ذاتية"^(١).

الوجه الثاني: قول الفلاسفة أن السعادة لا تدرك إلا بإدراك الموجودات على ماهي عليه بتلك البراهين الفلسفية العقلية.

يجزم ابن خلدون أن هذا القول غير صحيح ومردود عليه، لأن الابتهاج وأنواع السعادة التي تحصل للنفس لا يمكن حصر أسبابها عن طريق إدراك الموجودات بالبراهين العقلية، ولا بالنظر والعلم فقط، ولا أدل على ذلك من السعادة التي يحصل عليها الإنسان من خلال معرفته بالله حتى ينسى همومه وأحزانه ويجد لذة لا تعادها لذة يقول: "وأما قولهم أن السعادة في إدراك الموجودات على ماهي عليه بتلك البراهين، فيقول مزيف مردود، وتفسيره أن الإنسان مركب من جزأين أحدهما جسماني والآخر روحاني ممتزج به، ولكل واحد من الجزأين مدارك مختصة به والمدرك فيها واحد، وهو الجزء الروحاني يدرك تارة مدارك روحانية وتارة مدارك جسمانية، إلا أن المدارك الروحانية يدركها بذاته بغير واسطة، والمدراك الجسمانية بواسطة آلات الجسم من الدماغ والحواس.

(١) المرجع السابق نفس الصفحة.

وكل مدرك فله ابتهاجه بما يدركه، واعتبره بحالة الصبي في أول مداركها الجسمانية التي هي بواسطة، فكيف يبتهج بما يبصره من الضوء وبما يسمعه من الأصوات فلا شك أن الابتهاج بالإدراك الذي للنفس من ذاتها بواسطة، حصل لها ابتهاج ولذة لا يعبر عنها، وهذا الإدراك لا يحصل بنظر ولا علم، وإنما يحصل بكشف حجاب الحس ونسيان المدارك الجسمانية بالجملة"^(١).

الوجه الثالث: قولهم إن البراهين والأدلة العقلية محصلة لهذا النوع من الإدراك والابتهاج حيث حصل له اتصال بالعقل الفعال وبذلك حسن ظنه وسعدت نفسه. يبطل ابن خلدون هذا القول بل إنه يزيد على ذلك مؤكداً أن هذه البراهين وهذه العلوم تزيد القلب والعقل غشاوة منعاً للوصول إلى النور والهدى وتزرع الشكوك والظنون مما يوقع الإنسان في الشبهات.

يقول ابن خلدون "فأما قولهم إن البراهين والأدلة العقلية محصلة لهذا النوع من الإدراك والابتهاج عنه فباطل، إذا البراهين والأدلة من جملة المدارك الجسمانية، لأنها بالقوى الدماغية من الخيال والفكر والتذكر، ونحن نقول إن أول شيء نعنى به في تحصيل هذا الإدراك إماتة هذه القوى الدماغية كلها لأنها منازعة له وقادحة فيه، وتجذب الماهر منهم عاكفاً على كتاب الشفاء والإشارات والنجاة وتلخيص ابن رشد من كتب أرسطو وغيره يبعثر أوراقها ويتوثق من براهنها، ويتلمس السعادة فيها، ولا يعلم أنه يستكثر بذلك من الموانع عن السعادة"^(٢).

ثم يختم كلامه بأن هذا العلم أي الفلسفة لا يلبي طلباتهم في إسعاد النفس بل كل ما في الأمر أنهم خالفوا الشرائع وظواهرها دون أن يستحصلوا مرادهم "فهذا العلم كما رأيت غير واف بمقاصدهم التي حوموا عليها، مع ما فيه من مخالفة الشرائع

(١) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون، ١/٤٣٠.

(٢) المرجع السابق نفس الصفحة.

وظواهرها"^(١).

ويقرب ابن خلدون بأن لهذا العلم فائدة وثمره وهي شحذ الذهن في ترتيب الأدلة، والصوابية في البراهين " وليس له فيما علمنا إلا ثمرة واحدة وهي شحذ الذهن في ترتيب الأدلة والحجاج لتحصيل ملكة الجودة، والصواب في البراهين"^(٢).

ويحذر ابن خلدون من اقتحام هذا العلم دون التسلح بالعلم الشرعي من تفسير وفقه، وداعيا كل من ينظر فيه إلى التحرز من معاطبها "فليكن الناظر فيها متحرزا جهده من معاطبها، وليكن نظر من ينظر فيها بعد الامتلاء من الشرعيات والاطلاع على التفسير والفقه، ولا يكبن أحد عليها وهو خلو من علوم الملة فقل أن يسلم لذلك من معاطبها"^(٣).

(١) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون، ١/ ٤٣١ .

(٢) المرجع السابق ونفس الصفحة .

(٣) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون، ١/ ٤٣١ .

❖ ثامناً : تحليل ومناقشة :

العنوان الذي عقده ابن خلدون في مقدمة تاريخه عند تناوله للفلسفة، يقدم إجابة واضحة من موقفه من الفلسفة فعنوانه كان واضحاً "في إبطال الفلسفة وفساد متحليها" فهو هنا يرفض تدخل الفلسفة في مابعد الطبيعة، مناصراً للحل الشرعي في ما يتعلق بالمعرفة "الماورائية".

فعجز العقل في الإلهيات عند ابن خلدون هو قطبه ومحوره الذي عليه يدور في نقده ونقضه للفلاسفة فهو هنا الابن البار للغزالي كما يقول آيت حمو^(١) والذي يعيد هذا التوافق فيما يتعلق بالموقف من الفلسفة بين الغزالي وابن خلدون إلى خوفهم من أن تكون مزلقاً من مزلق الكفر والإلحاد "وكأني بابن خلدون ينتظم في سلك الغزالي عندما يجعل الفلسفة مزلقاً من مزلق الكفر والإلحاد"^(٢).

وهذا الاستنتاج يتطابق مع ما ذكره جمال صليبا حيث يقول: "فهذه الأقوال تدل على أن موقف ابن خلدون من العلوم الفلسفية شبيه بموقف الغزالي فهو لم يدم الفلسفة إلا لخوفه من تأثيرها في إضعاف العقيدة الدينية"^(٣).

ويقدم جمال صليبا مزيداً من التفصيل حول موقف ابن خلدون من الفلسفة، ويرى أن ابن خلدون لم يبطل إلا الفلسفة المترجمة في العصر العباسي أو فلسفة المشائين لاعتقاده أنها مخالفة للدين، وهذا لا يطعن في نظر جمال صليبا في كونه فيلسوفاً لأن ناقد الفلسفة فيلسوف فما بالك بصاحب مذهب فلسفي خالص^(٤).

(١) انظر: ابن خلدون بين نقد الفلسفة والانفتاح على التصوف: محمد آيت حمو، ص ٤٧ .

(٢) ابن خلدون بين نقد الفلسفة والانفتاح على التصوف: محمد آيت حمو، ص ٣١ .

(٣) تاريخ الفلسفة العربية: جمال صليبا، ص ٦٣٥ .

(٤) انظر: المرجع السابق ص ٦٣٤ .

وخلاصة موقف ابن خلدون من الفلسفة يمكن إيجازه في النقاط التالية:

- يرفض ابن خلدون تدخل الفلسفة في "الماورئيات" لأن ضررها في الدين كثير.
- ينتقد طريقة الفلاسفة في الجملة ويرد عليها.
- يقر بثمرة واحدة شحذ الذهن في ترتيب الأدلة.
- يحذر من الدخول في غمار الفلسفة دون التسلح بالعلم الشرعي.
- لا يحكم حكماً عينياً على الفلاسفة الإسلاميين بل يكتفي بوصف مقالاتهم بـ "الضلال".
- موقف ابن خلدون من الفلسفة يتوافق مع منهج أهل السنة والجماعة.



الخاتمة

الخاتمة

- في خاتمة هذا البحث وبعد دراسة ومناقشة منهج ابن خلدون في دراسة الفرق أذكر أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال الدراسة وهي كما يلي:
- العامل الديني مؤثر بقوة في منهج ابن خلدون وتعامله مع الفرق، وهذا ناتج عن تنشئته العلمية والشرعية.
 - علم العمران البشري الذي ابتكره سيطر على طريقة تناوله لكل المسائل من حيث التمحيص والحياد والمطابقة.
 - ما يتعلق بالفرق ليس بكثير بالنسبة لإنتاجه العلمي، ومعظم ما أورده على شكل سرد تاريخي أو منقولاً عن أصحاب المقالات وخاصة الشهرستاني.
 - تشكل العصبية محور نظريات ابن خلدون فهي السبب الرئيسي في نشوء الفرق وإليها يعيد مشكلة "الإمامة" التي ركز عليها في ما يتعلق بالشيعة.
 - ابن خلدون ينتمي إلى المرحلة الأولى من الأشاعرة.
 - قريب من أهل السنة والجماعة في ما يتعلق بالسمعيات.
 - يتسم موقفه من الفرق بصفة عامة بالحياد وعدم الجزم في الحكم.
 - واضح الميل إلى الصوفية الأوائل وإن كان ينتقد ما آل إليه المتأخرون منهم ويرفض تصرفاتهم.
 - يعتبر الباطنية مرادفاً للإسماعيلية ويصحح نسب الفاطميين ويحشد الأدلة على ذلك.

- كان موقفه قويا وحاسما ضد الفلاسفة.
هذا ملخص ما وصلت إليه من نتائج والله ولي التوفيق .

* وصلى الله وسلم على نبينا محمد
وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا *



الفهارس

- ١ - فهرس الآيات القرآنية.
- ٢ - فهرس الأحاديث والآثار.
- ٣ - فهرس الأعلام.
- ٤ - فهرس الكلمات المعرّفة.
- ٥ - فهرس المصادر والمراجع.
- ٦ - فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	السورة ورقم الآية	الآية
١١٦، ٥٦	البقرة: ٢٥١	﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾﴾
٥٧	آل عمران: ٧	﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ تُحْكِمُكَ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرَى مُتَشَابِهَةٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ ۗ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾﴾
٣٦	آل عمران: ١٠٣	﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾
٣٦	آل عمران: ١٠٥	﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا﴾
٥٣	آل عمران: ١٤٠	﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾
١٦٤، ٥٦	النساء: ٥٩	﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾
٢٣٨	النساء: ٦٩	﴿الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾
١٦	المائدة: ٤٨	﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرَعًا وَمِنْهَا جَا﴾
٥٧	الأنعام: ٩١	﴿ثُمَّ ذَرَهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾﴾
٦	الأنعام: ١٥٣	﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ۗ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾
٣٦	الأنعام: ١٥٩	﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾
٥٤	الأعراف: ٣٤	﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾﴾

الصفحة	السورة ورقم الآية	الآية
١١٧	الأطفال: ٦٣	﴿ وَالْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾
١٣٦	التوبة: ١١١	﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَدِّمُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾
٦	هود: ١١٨-١١٩	﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْلِفينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لِأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾
١١٦	يوسف: ١٤	﴿ قَالُوا لَيْنَ أَكَلَهُ الدِّثْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخٰسِرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾
٥٤	الرعد: ٣٨	﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ ﴾
٢٧٨، ٥٧	النحل: ٨	﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾
٢١٥، ٥٨	الكهف: ٧٧	﴿ يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَاقَامَهُ ﴾
٥٩	الزمر: ٥٣	﴿ قُلْ يٰعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾
٢٠	الأحقاف: ٤	﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمٰوٰتِ أَتُنُوْنِي بِكِتٰبٍ مِّن قَبْلِ هٰذَا أَوْ أَتٰخِرُوْنِي مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنْتُمْ صٰدِقِيْنَ ﴿٤﴾ ﴾
١١٦، ٥٤	الأحقاف: ١٥	﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً ﴾
٥٧	الإخلاص: ١-٤	﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾ ﴾

فهرس الأحاديث والآثار

م	طرف الحديث أو الأثر	الصفحة
١	أذهب بنا إليه نسأله فيمن هذا الأمر إن كان فينا علمنا ذلك....	٦١
٢	أعتقها فإنها مؤمنة	٦٢
٣	أعمار أمتي بين الستين والسبعين	٥٤
٤	أقضاكم علي	١٦٤
٥	الإمامة في قریش	١٥٠
٦	الذي طعن في عدالة النبي ﷺ، وتقسيمه للغنائم....	١٢٩
٧	أن عبد الله بن عمر تبرأ من معبد الجهني	٦٣
٨	إن فيكم محدثين وإن منهم عمر	٦٤
٩	بعث النبي ﷺ عليا لقراءة سورة براءة....	١٦٤
١٠	دع مايريبك إلى ما لا يريبك	٦٥
١١	صليت مع النبي بمنى ركعتين ومع أبي بكر وعمر....	٣٥
١٢	كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه	١١٧
١٣	مابعث الله نبيا إلا في منعة من قومه	٧١
١٤	من كنت مولاه فعلي مولاه	١٦٣
١٥	من مات يشهد أن لا إله إلا الله دخل الجنة	٦٥
١٦	هلموا أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا....	٦٢

الصفحة	طرف الحديث أو الأثر	م
٦٥	وإنما له من صلواته ما عقل منها	١٧
٦٦	وأهل الصفة أضياف الإسلام....	١٨
٦٤	ياسارية الجبل	١٩



فهرس الأعلام

الصفحة	اسم العالـم	م
٢٥٨	إبراهيم بن أحمد بن الأغب التميمي	١
٢٠٨	إبراهيم بن سيار بن هانئ النظام	٢
٦٣	إبراهيم بن محمد بن مهران الاسفرائيني	٣
١٤٤	أبو بلال بن مرداس الخارجي	٤
٣٠	أبو عبدالله بن أحمد بن مرزوق	٥
٢٣	أبو عنان فارس بن أبو الحسن	٦
٦٧	أبو يعرب المرزوقي	٧
٢٦٧	إحسان إلهي ظهير	٨
١٥٢	أحمد أمين بن إبراهيم الطباخ	٩
٢٧	أحمد الزواوي	١٠
١٢٩	أحمد محمد جلي	١١
٢٥٨	أحمد بن أبو أحمد بن طلحة بن المتوكل (المعتضد)	١٢
٧١	أحمد بن الحسين ابن قسي	١٣
١٨٣	أحمد بن الحسين بن علي البيهقي	١٤
٢٩	أحمد بن القصار	١٥
٣٧	أحمد بن عبدالحليم الحراني (ابن تيمية)	١٦
٣١	أحمد بن علي الكناني العسقلاني	١٧

م	اسم العالم	الصفحة
١٨	أحمد بن علي بن عبدالقادر المقريري	٣١
١٩	أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خلكان البرمكي	١٨٦
٢٠	أحمد بن محمد بن أبو بكر، أبو العباس الحفصي	٢٤
٢١	أرسطو طاليس بن ينقوماخوش	٨٠
٢٢	إسماعيل بن جعفر بن الصادق	١١٠
٢٣	إسماعيل بن حماد الجوهري	١٥
٢٤	إسماعيل بن سودكين بن عبدالله النوري	٢٣٤
٢٥	الأشعث بن قيس	١٣٠
٢٦	أفلاطون بن أرسطون	٢٧١
٢٧	إيمانويل كانط	١٩
٢٨	أيوب بن موسى الحسيني الكفوي	١٧
٢٩	البرك بن عبدالله التميمي	١٤٢
٣٠	تيمورلنك بن ترغاي بن أبغاي	٢٦
٣١	ثوبان بن إبراهيم المصري (ذي النون)	٢٢٤
٣٢	جرير بن عبدالله بن جابر البجلي	١١٩
٣٣	الجعد بن درهم	٣٩
٣٤	جعفر المصدق	٢٥٦
٣٥	جعفر بن محمد بن علي بن أبي طالب	١٦٧
٣٦	جميل صليبا	٢٧٣
٣٧	جندب بن جنادة (أبو ذر)	١٥١

م	اسم العالم	الصفحة
٣٨	الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي	٢٢٣
٣٩	الجهم بن صفوان السمرقندي	٣٩
٤٠	جولد تسيهر	١٨٧
٤١	الحارث بن أسد المحاسبي	٨١
٤٢	الحاكم بأمر الله أبو علي المنصور العبيدي	٢٦١
٤٣	حرقوص التميمي (ذو الخويرة)	١٢٩
٤٤	الحسن بن بهرام الجنابي	٢٦٣
٤٥	الحسن بن صالح بن حي الهمداني	١٦٢
٤٦	الحسن بن علي بن أبي طالب	٧٦
٤٧	الحسن بن محمد الصباح الإسماعيلي	٧٧
٤٨	الحسن بن يسار البصري	١٨٥
٤٩	الحسين بن أحمد بن زكريا الشيعي	٢٦٠
٥٠	الحسين بن عبدالله بن سينا	٧٩
٥١	الحسين بن علي بن أبي طالب	٧٢
٥٢	حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي	١٨٣
٥٣	خالد بن يزيد بن معاوية الأموي	٩٣
٥٤	خليل بن أيك بن عبدالله الصفدي	١٩٩
٥٥	ديمقراطيس	٢٧١
٥٦	رينيه ديكرت	١٩
٥٧	الزبير بن العوام بن خويلد القرشي	١٥٢

م	اسم العالم	الصفحة
٥٨	زياد بن المنذر الهمداني	١٦١
٥٩	زيد بن حصين الطائي	١٣٩، ١٣٠
٦٠	زيد بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب	١٦٠
٦١	زين العابدين علي بن الحسين	١٦٦
٦٢	ساطع بن محمد هلال الحصري	١١٤
٦٣	ساعد خميسي	٢٤٢
٦٤	السري بن المغلس السقطي	٢٢٣
٦٥	سعد بن عبادة بن دليم الأنصاري	١٥٠
٦٦	سعيد بن أبو الخير الحضيري (ابن المسيحي)	٢٦٢
٦٧	سقراط	٢٧١
٦٨	سليمان بن جرير الزيدي	١٦١
٦٩	سليمان عبدالله السلومي	٢٤٨
٧٠	شيث بن عمر التميمي	١٤٠
٧١	شبيب بن يزيد بن نعمان الشيباني	١٤٣
٧٢	الشرف ابن الفارض الحموي	٢٢٥
٧٣	صابر عبده أبا زيد	١٥٩
٧٤	صلاح الدين الأيوبي	٢٦١
٧٥	طلحة بن عبيدالله بن عثمان التيمي	١٥٢
٧٦	طه حسين بن علي بن سلامة	١٠٧
٧٧	طيفور بن عيسى البسطامي	٢٢٤

م	اسم العالِم	الصفحة
٧٨	ظالم بن عمرو بن سفيان الدؤلي	١٥٤
٧٩	عائشة بنت أبو بكر الصديق	٦٢
٨٠	العباس بن عبدالمطلب بن هاشم الهاشمي	٦١
٨١	عبد الرزاق قسوم	١١٥
٨٢	عبد الأمير محمد الأعمش	٢٧٢
٨٣	عبد الجليل سالم	٢١٦
٨٤	عبدالحق بن إبراهيم بن سبعين القرشي	٢٢٥
٨٥	عبدالرحمن بدوي	١٧
٨٦	عبدالرحمن بن حبنكه الميداني	٢٤٥
٨٧	عبدالرحمن بن صخر الدوسي (أبو هريرة)	٦٦
٨٨	عبدالرحمن بن عثمان الكردي (ابن الصلاح)	٦٠
٨٩	عبدالرحمن بن ملجم المرادي	١٤١
٩٠	عبدالرحمن عبد الخالق اليوسف	٢٢٧
٩١	عبدالرزاق بن همام بن نافع الحميري	١٥٤
٩٢	عبدالرزاق عبدالله قسوم	١١٤
٩٣	عبدالسلام بن عبدالرحمن اللخمي (ابن برجان)	٢٣٤
٩٤	عبدالعزیز الدولاتلي	١١٤
٩٥	عبدالقادر فيدوح	١٠٠
٩٦	عبدالقاهر بن طاهر بن محمد البغدادي	٤٠
٩٧	عبدالقاهر بن محمد البغدادي	١٣٢

م	اسم العالم	الصفحة
٩٨	عبدالكريم بن عبدالمك بن طلحة القشيري	١٩٥
٩٩	عبدالله بن أبو زيد المالكي	٦٣
١٠٠	عبدالله بن أحمد بن محمود الكعبي	٢٠٨
١٠١	عبدالله بن الزبير بن العوام القرشي	٧٤
١٠٢	عبدالله بن خباب بن الأرت التميمي	١٤١
١٠٣	عبدالله بن سبأ	٣٨
١٠٤	عبدالله بن سعيد بن كلاب	١٩٣
١٠٥	عبدالله بن عامر بن كريز الأموي	١٦٨
١٠٦	عبدالله بن عبدالرحمن بن أبو زيد القيرواني	٧٨
١٠٧	عبدالله بن عبدالعزيز البكري الأندلسي	٧٠
١٠٨	عبدالله بن عمر بن الخطاب القرشي	٦٣
١٠٩	عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي اليبضاوي	٢١٠
١١٠	عبدالله بن محمد بن العباس (أبو جعفر المنصور)	٩٧
١١١	عبدالله بن مسعود بن غافل الهذلي	٣٥
١١٢	عبدالله بن مقداد الأقفهسي	٣١
١١٣	عبدالله بن وهب الراسبي	١٤١
١١٤	عبدالله بن يوسف بن رضوان المالقي	٢٩
١١٥	عبدالله محمد القرني	١٣٨
١١٦	عبدالمك بن عبدالله بن يوسف الجويني	١٩٥
١١٧	عبدالمهيمن بن عبدالمهيمن الحضرمي	٢٧

م	اسم العالم	الصفحة
١١٨	عبدالله بن عباس الهاشمي	١٢٣
١١٩	عبيدالله بن الكوي الشكري	١٤٠
١٢٠	عبيدالله بن محمد الحبيب (المهدي)	٢٥٢
١٢١	عضد الدين بن عبدالرحمن بن أحمد الإيجي	١٧٦
١٢٢	علي أو مليل	١١٥
١٢٣	علي بن أبو الكرم محمد الشيباني (ابن الأثير)	١٩٩
١٢٤	علي بن أبو بكر بن سليمان الهيثمي	١٧٤
١٢٥	علي بن أحمد بن حزم الظاهري	٢١
١٢٦	علي بن إسماعيل بن إسحاق الأشعري	١٣٧
١٢٧	علي بن الحسين بن علي المسعودي	٦٩
١٢٨	علي بن عبدالله بن حمدان التغلبي (سيف الدولة)	٢٧٤
١٢٩	علي بن محمد بن الجواد الطالبي	١٥٥
١٣٠	علي بن محمد بن العباس أبو حيان التوحيدي	٧٥
١٣١	علي بن موسى الرضا	١٥٥
١٣٢	علي حسين الوردي	٨٩
١٣٣	علي سامي النشار	١٥٣
١٣٤	علي عبد الواحد الوافي	١١٤
١٣٥	علي عبدالفتاح المغربي	١٨١
١٣٦	علية بنت المهدي بن المنصور العباس	١٢٢
١٣٧	عمار بن كنانة بن قيس العنسي	٩٤

م	اسم العالم	الصفحة
١٣٨	عمر بن عبدالعزيز بن مروان الأموي	٩٦
١٣٩	عمر بن محمد بن عبدالله السهرودي	٢٣٢
١٤٠	عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الجاحظ	٢٠٨
١٤١	عمرو بن بكر التميمي السعدي	١٤٢
١٤٢	عمرو بن عبيد التيمي	١٨٦
١٤٣	غالب بن علي عواجي	١٣٥
١٤٤	فائزة تومان الشمري الأعسم	٢٧٢
١٤٥	الفرج بن عثمان	٢٦٣
١٤٦	فرنسيس بيكون	١٩
١٤٧	قتادة بن دعامة السدوسي	١٨٧
١٤٨	كارلوا ألفونسو نلينو الإيطالي	١٨٨
١٤٩	مالك بن الحارث بن عبد يغوث الأشر	١٣٠
١٥٠	مجاهد بن جبر المكي	٨٦
١٥١	محمد أبو سعدة	١٣١
١٥٢	محمد أحمد الخطيب	٢٤٥
١٥٣	محمد الحبيب	٢٥٦
١٥٤	محمد القصير	٢٨
١٥٥	محمد بن إبراهيم الأبلي	٢٨
١٥٦	محمد بن أبو بكر بن عمر المخزومي (الدماميني)	٣١
١٥٧	محمد بن أحمد الشريف الحسيني العلوي	٣٠

م	اسم العالم	الصفحة
١٥٨	محمد بن أحمد بن الأزهري	١٥
١٥٩	محمد بن أحمد بن رشد الأندلسي	٣٣
١٦٠	محمد بن إسحاق بن أبو يعقوب النديم	١٥٢
١٦١	محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي	٧٥
١٦٢	محمد بن إسماعيل بن المغيرة البخاري	٦٦
١٦٣	محمد بن إسماعيل بن جعفر المکتوم	٢٥٤
١٦٤	محمد بن الحسن العسكري بن علي الهادي	١٥٥
١٦٥	محمد بن الحسن بن جابر بن خلدون	٢٢
١٦٦	محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني	١٩٥
١٦٧	محمد بن الحسن نصير الدين الطوسي	٢٠٣
١٦٨	محمد بن الحسين بن بندار القلانسي	١٩٣
١٦٩	محمد بن الحسين بن موسى العلوي (الشريف الرضي)	٢٥٨
١٧٠	محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر الباقلاني	١٩٥
١٧١	محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر الباقلاني	٢١٠
١٧٢	محمد بن جابر بن سلطان القيسي	٢٧
١٧٣	محمد بن جرير بن يزيد الطبري	١٦
١٧٤	محمد بن سعد بن برال الأنصاري الأندلسي	٢٦
١٧٥	محمد بن سليمان السطي	٢٨
١٧٦	محمد بن طرخان بن أوزلغ الفارابي	٨٠
١٧٧	محمد بن عبد السلام بن يوسف الهواري	٢٨

م	اسم العالم	الصفحة
١٧٨	محمد بن عبد النور الندرومي	٢٩
١٧٩	محمد بن عبدالرحمن السخاوي	٢١
١٨٠	محمد بن عبدالكريم بن أحمد الشهرستاني	٤٠
١٨١	محمد بن عبدالله الجياني	٢٨
١٨٢	محمد بن عبدالله المعافري الإشبيلي	١٧٣
١٨٣	محمد بن عبدالله بن الحسن بن علي بن أبي طالب	١٦٦
١٨٤	محمد بن عبدالله بن الخطيب	٢٤
١٨٥	محمد بن عبدالوهاب بن سلام الجبائي	٢٠٨
١٨٦	محمد بن علي الجواد	١٥٥
١٨٧	محمد بن علي بن صابر الفاروقي التهانوي	١٧٧
١٨٨	محمد بن علي بن عبدالله الحاتمي	٧٧
١٨٩	محمد بن علي زين العابدين الطالبي	١٦٥
١٩٠	محمد بن عمر التيمي فخر الدين الرازي	٢١٠
١٩١	محمد بن عمر بن الحسن التيمي الرازي	٧٩
١٩٢	محمد بن عمر بن واقد السهمي الواقدي	٧٥
١٩٣	محمد بن محمد بن إبراهيم بن الحاج البلفيقي	٢٧
١٩٤	محمد بن محمد بن أحمد الغزالي	٥٩
١٩٥	محمد بن محمد بن الصباغ	٢٩
١٩٦	محمد بن محمد بن محمود الماتريدي	١٩٩
١٩٧	محمد بن مكرم الأنصاري (ابن منظور)	١٦

الصفحة	اسم العالم	م
٣٠	محمد بن يحيى البرجي الأندلسي	١٩٨
٨٠	محمد بن يزيد الأزدي (ابن المبرد)	١٩٩
٢٤	محمد بن يوسف بن نصر ابن الأحمر	٢٠٠
٩٣	محمد عابد الجابري	٢٠١
٢٢٥	محيي الدين ابن عربي محمد بن علي الطائي	٢٠٢
٢٦٢	المرتضى بن عبدالسلام القيسراني (ابن الطوير)	٢٠٣
١٣٠	مسعر بن فدكي التميمي	٢٠٤
١٧٧	مسعود بن عبدالله التفتازاني	٢٠٥
٢٥٠	مصطفى غالب	٢٠٦
٣٨	معاوية صخر بن حرب بن أمية القرشي	٢٠٧
٦٣	معبد بن عبدالله الجهني	٢٠٨
١٦٨	المقداد بن الأسود الكندي	٢٠٩
٢٠٢	منى أحمد محمد أبو زيد	٢١٠
١٢٣	المهدي بن تومرت المصمودي	٢١١
١٥٥	موسى الكاظم العلوي	٢١٢
٦٩	موسى بن نصير اللخمي	٢١٣
١٩٩	ميمون بن محمد بن معتمد المكحولي (أبو المعين النسفي)	٢١٤
١٥٣	ناصر بن عبدالله القفاري	٢١٥
١٤٤	نافع بن الأزرق الحروري	٢١٦
١٤٥	نجدة بن عامر الحنفي	٢١٧

الصفحة	اسم العالم	م
١١٥	نصيف نصار	٢١٨
١٢٢	هارون الرشيد بن محمد المهدي العباسي	٢١٩
١٦٠	هشام بن عبد الملك بن مروان	٢٢٠
٧٥	هشام بن محمد أبو النضر الكلبي	٢٢١
١٤٦	هيصم بن جابر الضبيعي	٢٢٢
١٨٥	واصل بن عطاء الغزال	٢٢٣
١٤٣	الوليد بن طريف الشاري التغلبي	٢٢٤
١٦٦	يحيى بن زيد بن علي بن الحسين	٢٢٥
١٨٤	يحيى بن شرف بن مري النووي	٢٢٦
٧٣	يزيد بن معاوية بن أبو سفيان القرشي	٢٢٧
٢٥٨	اليسع بن ميمون بن مدرار	٢٢٨
٧٨	يوسف بن عبدالله بن عبد البر النمري	٢٢٩

فهرس الكلمات المعرفّة

الصفحة	الكلمة	م
٨٤	الإحكام اصطلاحا	١
٨٤	الإحكام في اللغة	٢
١٢٨	الخوارج اصطلاحا	٣
١٢٨	الخوارج لغة	٤
١٤٩	الشيعة اصطلاحا	٥
١٤٩	الشيعة لغة	٦
٣٦	الفرق في الاصطلاح	٧
٣٥	الفرق في اللغة	٨
٨٣	المتشابه اصطلاحا	٩
٨٣	المتشابه لغة	١٠

فهرس المصادر والمراجع

* القرآن الكريم (جل منزله وعلا).

- (١) ابن خلدون بين نقد الفلسفة والانفتاح على التصوف: محمد أيت حمو، ط-الأولى، ٢٠١٠م، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت.
- (٢) ابن خلدون وآراؤه الاعتقادية، عبدالله عبدالرشيد، رسالة دكتوراة، مخطوطة، ١٤٢٠هـ، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى.
- (٣) ابن خلدون ومنابع الحداثة: فعاليات الندوة العلمية التي أقامها بيت الحكمة بمناسبة المئوية السادسة لوفاته، نبيل خلدون قريسة، ط ٢٠٠٠م، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، قرطاج.
- (٤) الإجتماع النظري الخلدوني والتاريخ العربي المعاصر: أبويعرب المرزوقي، ط ١٤٢٨هـ، الدار المتوسطة للنشر، تونس.
- (٥) الإحاطة في أخبار غرناطة: لسان الدين ابن الخطيب، ط الأولى، ١٤٢٤هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
- (٦) مسند الإمام أحمد، المحقق: السيد أبو المعاطي النوري، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الأولى، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.
- (٧) الإحياء: لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، دار المعرفة - بيروت.
- (٨) أخبار العلماء بأخبار الحكماء: القفطي، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، ط الأولى ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- (٩) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول: الشوكاني، تحقيق: الشيخ أحمد عزو، ط الأولى، ١٩٩٩م، دار الكتاب العربي.
- (١٠) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار: ابن عبدالبر، تحقيق: عبدالمعطي أمين قلعي، ط الأولى ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م، دار قتيبة، دمشق.

- (١١) الاستقامة: ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود - المدينة المنورة.
- (١٢) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد الناصري، تحقيق: جعفر الناصري / محمد الناصري، دار الكتاب، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.
- (١٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ، ط الأولى.
- (١٤) الأسس الإسلامية في فكر ابن خلدون ونظرياته: مصطفى الشكعة، ط الثالثة، ١٩٩٣م، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة.
- (١٥) الإسماعيلية: تاريخ وعقائد، إحسان إلهي ظهير، إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان.
- (١٦) الاشتقاق: ص: ٣٩١، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط الأولى، ١٤١١هـ، ١٩٩١م.
- (١٧) أصول الاسماعيلية: سليمان عبدالله السلومي، ط الأولى، ١٤٢٢هـ، دار الفضيلة، الرياض.
- (١٨) أصول المخالفين لأهل السنة في الإيمان: عبدالله محمد القرني، ط الأولى، ١٤٣٢هـ، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- (١٩) أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية: عرض ونقد، دار الخلفاء الراشدين، ط الأولى، ١٤٣٣-٢٠١٢م، الاسكندرية.
- (٢٠) الأعلام: الزركلي، ط الخامسة عشرة، ٢٠٠٢م، دار العلم للملايين، بيروت.
- (٢١) الإكليل في المتشابه والتأويل: ابن تيمية، خرج أحاديثه وعلق عليه: محمد الشيمي شحاته، اهداءت، ٢٠٠٢م، دار الإيمان، الاسكندرية.
- (٢٢) الإكمال في رفع الارتباب عن المؤلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب: ابن ماکولا، دار الكتاب الإسلامي الفارق الحديثة للطباعة والنشر خلف ٦٠ ش راتب حدائق شبرا القاهرة.

- (٢٣) الإنشاء في تاريخ الخلفاء: محمد بن علي بن محمد المعروف بابن العمراني، تحقيق: قاسم السامرائي، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط الأولى، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م.
- (٢٤) إنباه الرواة على أنباه النحاة، جمال الدين القفطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط الأولى ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م، دار الفكر العربي، القاهرة ومؤسسة الكتب الثقافية، بيروت.
- (٢٥) إنسان العيون في سيرة الأمين والمأمون علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، أبو الفرج، نور الدين ابن برهان الدين، ط الثانية ١٤٢٧هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
- (٢٦) البداية والنهاية لابن كثير القرشي الدمشقي، حققه ودقق أصوله وعلق حواشيه: علي شيري، الناشر: دار إحياء التراث العربي، ط الأولى، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.
- (٢٧) البرهان في علوم القرآن: أبو عبد الله بدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط الأولى، ١٣٧٦هـ، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركائه.
- (٢٨) بغية الوعاة: السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: المكتبة العصرية، لبنان، صيدا.
- (٢٩) بيان تلبيس الجهمية: ابن تيمية، تصحيح وتعليق: محمد بن قاسم، ط الأولى، ١٣٩١هـ، مطابع الحكومة، مكة المكرمة.
- (٣٠) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط الأولى، ٢٠١١م.
- (٣١) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط الثانية، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.
- (٣٢) تاريخ الأمم والملوك: ابن جرير الطبري، ط الأولى، ١٤٠٧هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
- (٣٣) تاريخ الدعوة الإسماعيلية: مصطفى غالب، ط الثانية، ١٩٦٥م، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت.
- (٣٤) تاريخ الفلسفة العربية: جميل صليبا، ط ١٩٨٩م، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، لبنان.

- (٣٥) تاريخ قضاة الأندلس: لأبي الحسن علي بن عبدالله بن محمد بن محمد بن الحسن الجذامي، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، دار الآفاق الجديدة - بيروت/ لبنان، ط الخامسة، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.
- (٣٦) تذكرة الحفاظ: لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دراسة وتحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، ط الأولى، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.
- (٣٧) التراث والحداثة في المشروع الفكري: لمحمد عابد الجابري، مجموعة من الكتاب، تقديم: محمد الداوي، دار التوحيد، ٢٠١٢م.
- (٣٨) ترتيب المدارك وتقريب المسالك: القاضي عياض اليعصبي، تحقيق: مجموعة من الباحثين، الناشر: مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، ط الأولى.
- (٣٩) الترجمة في العصر العباسي مدرسة حنين بن إسحاق وأهميتها في الترجمة: مريم سلامة، كار، ترجمة د/ نجيب غزاوي، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، دمشق، ١٩٩٨م.
- (٤٠) التعريف بابن خلدون ورحلته شرقاً وغرباً، كتبه: عبدالرحمن بن خلدون، تحقيق: محمد بن تاويت الطنجي، راجعه وأعداه للنشر: إبراهيم شيوخ، الدار العربية للكتاب والقيران للنشر، تونس، ٢٠٠٦م.
- (٤١) التنبيه والإشراف: أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، تصحيح: عبدالله إسماعيل الصاوي، دار الصاوي - القاهرة.
- (٤٢) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع: محمد بن أحمد الملقب بالعسقلاني، تحقيق: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر.
- (٤٣) تهذيب التهذيب: لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ط الأولى، ١٣٢٦هـ.
- (٤٤) تهذيب اللغة: محمد الأزهري، تحقيق: محمد عوض معرب، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط الأولى، ٢٠٠١م.
- (٤٥) توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم: ابن ناصر الدين شمس الدين محمد بن عبدالله بن محمد القيسي الدمشقي، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الأولى، ١٩٩٣م.

- (٤٦) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: الطبري، تحقيق: التركي، ط الأولى، ٢٠٠١م، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان.
- (٤٧) الجمهرة: ابن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري تحقيق: لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية - بيروت، ط الأولى، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
- (٤٨) الحركات الباطنية في العالم الإسلامي: محمد أحمد الخطيب، ط الثالثة، ٢٠٠٧م، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.
- (٤٩) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، الأصبهاني، السعادة، بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ، ١٩٧٤م، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١٤٠٩هـ بدون تحقيق.
- (٥٠) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق: محمد نبيل طريفي، اميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م، بيروت.
- (٥١) الخطاب التاريخي: دراسة لمنهجية ابن خلدون: علي اومليل، معهد الانماء العربي، ١٩٧٧.
- (٥٢) خلاصة تذهيب تهذيب الكمال: ص: ٣١٥، الحافظ الفقيه صفي الدين أحمد بن عبد الله الخزرجي الأنصاري اليمني، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية، دار البشائر، ١٤١٦هـ، حلب، بيروت.
- (٥٣) الخلافة: للشيخ محمد رشيد رضا، الناشر: الزهراء للاعلام العربي، مصر، القاهرة.
- (٥٤) خلدونيات: قوانين خلدونية: ملحم قربان، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٧٣م.
- (٥٥) الخوارج تاريخهم وآراؤهم الاعتقادية: غالب علي عواجي، رسالة ماجستير، قسم المخطوطات، عمادة شؤون المكتبات، جامعة أم القرى.
- (٥٦) الخوارج في ميزان الفكر الإسلامي: محمد أبو سعدة، ط الثانية، القاهرة، ٢٠٠٨م.
- (٥٧) دراسات عن الفرق وتاريخ المسلمين "الخوارج والشيعة": أحمد محمد جلي، ط - الثانية، ١٩٨٨م، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- (٥٨) دراسات في الفرق والمذاهب القديمة المعاصرة: عبدالله الأمين، ط الثانية، ١٩٩١م، دار الحقيقة، بيروت.

- (٥٩) دراسة لآراء ابن خلدون في الدولة الأموية: فوزية الفوزان، مخطوطة رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، جامعة أم القرى، ١٤١٥هـ.
- (٦٠) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، تحقيق ومراقبة: محمد عبد المعيض، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر اباد، الهند، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ، ١٩٧٢م.
- (٦١) ديوان الإسلام: لشمس الدين أبو المعالي محمد بن عبد الرحمن بن الغزي (المتوفى: ١١٦٧هـ)، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط الأولى، ١٤١١هـ، ١٩٩٠م.
- (٦٢) الرسالة القشيرية في علم التصوف: تحقيق: مصطفى زريق، ط الأولى، ٢٠٠١م، المكتبة العصرية للطباعة والنشر.
- (٦٣) الرعاية لحقوق الله ﷻ، في الآداب والتصوف والزهد، وهو مطبوع طبعات عدة، منها طبعة دار المعارف بالقاهرة بتحقيق الدكتور عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور، طبعة دار اليقين - المنصورة - مصر.
- (٦٤) رفع الأصغر عن قضاة مصر: ابن حجر العسقلاني، تحقيق: علي محمد عمر، ط الأولى، ١٩٩٨م، مكتبة الخانجي القاهرة.
- (٦٥) السلوك لمعرفة دول الملوك: لأحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقرئ (المتوفى: ٨٤٥هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط الأولى، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.
- (٦٦) السنن الكبرى: النسائي، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ، ١٩٩١م.
- (٦٧) سير أعلام النبلاء: الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين إشراف شعيب الأرنؤوط، ط الثالثة ١٤٠٥هـ، مؤسسة الرسالة.
- (٦٨) سيرة حياتي: عبدالرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٠، بيروت.
- (٦٩) شرح العقائد النسفية: التفتازاني، تحقيق: أحمد حجازي السقا، ط الأولى، ١٩٨٧م، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.

- (٧٠) شرح العقائد النسفية: العلامة سعد الدين التفتازاني، وقد طبعته المكتبة الأزهرية للتراث عام (٢٠٠٠م).
- (٧١) الشريعة: الأجرى، تحقيق: عبدالله الدميحي، ط الثانية، ١٩٩٩م، دار الوطن، الرياض، السعودية.
- (٧٢) شفاء السائل وتهذيب المسائل: ابن خلدون، تحقيق الدكتور: محمد مطيع حافظ، ط الأولى، ١٩٩٦م، دار الفكر، دمشق.
- (٧٣) الشيعة الإمامية الإثني عشرية في ميزان الإسلام: ربيع بن محمد المسعودي، ط الثانية، ١٤١٤هـ، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، مكتبة العلم بجدة.
- (٧٤) الصحاح: للجوهري، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، الناشر: دارالعلم للملأين، بيروت، ط الرابعة، ١٩٨٧م.
- (٧٥) صفة الصفوة: عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج، تحقيق: محمود فاخوري، د. محمد رواس قلعه جي، دار المعرفة، بيروت، ط الثانية، ١٣٩٩م، ١٩٧٩م.
- (٧٦) صلة تاريخ الطبري: ابن جرير الطبري والصلة: لعريب بن سعد القرطبي، ط الثانية، ١٣٧٨هـ، دار التراث، بيروت.
- (٧٧) الصوفية معتقدا وسلوكا: صابر طعمة، ط الثانية، ١٩٨٥م، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- (٧٨) الصوفية نشأتها وتطورها: محمد العبد وطارق عبدالحليم، ط الثانية، ١٩٩٧م، دار الأرقم، الكويت.
- (٧٩) طائفة الاسماعيلية تاريخها نظمها عقائدها: محمد كامل حسين، ط الأولى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.
- (٨٠) طبقات الأولياء: لابن الملقن، تحقيق: نور الدين شرييه من علماء الأزهر، مكتبة الخانجي، بالقاهرة، ط الثانية، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
- (٨١) طبقات الحفاظ: لشمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط الأولى، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.
- (٨٢) طبقات الشافعية الكبرى: تاج الدين السبكي، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي ود. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٣هـ، ط الثانية.

- (٨٣) طبقات الشافعية: لابن قاضي شهبة، لأبي بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الأسدي الشهبي الدمشقي، تقي الدين بن قاضي شهبة (المتوفى: ٨٥١هـ)، تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب، بيروت، ط الأولى، ١٤٠٧هـ.
- (٨٤) الطبقات الكبرى: لمحمد بن سعد أبو عبد الله البصري، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط الأولى، ١٩٦٨ م.
- (٨٥) طبقات المفسرين للأدنهوي، لأحمد بن محمد الأدنهوي من علماء القرن الحادي عشر (المتوفى: ق ١١هـ)، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم، السعودية، ط الأولى، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧ م.
- (٨٦) العالم أو النور: نقله إلى العربية إميل خوري، الطبعة الأولى لدار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، ١٤١٩هـ ١٩٩٩ م.
- (٨٧) عبدالرزاق قسوم هبة الله للجزائر: الشيخ: محمد هادي الحسني، ط الثالثة، ١٤٣٠هـ، معهد المناهج، الجزائر.
- (٨٨) العبر في خبر من غبر: الذهبي، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت.
- (٨٩) عجائب المقدور في نوائب تيمور: لابن عربشاه، تحقيق: أحمد فايز الحمصي، ط الأولى، ١٤٠٧هـ، دار الرسالة، بيروت.
- (٩٠) العصبية ومعالم الدولة: محمد الجابري، ط السادسة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان.
- (٩١) العقيدة الإسلامية وأسسها: عبدالرحمن حبنكة الميداني، ط الثانية، ١٩٧٩ م، دار القلم، دمشق، بيروت.
- (٩٢) العقيدة الطحاوية: الطحاوي، تخريج وتعليق: الألباني، ط الثانية، ١٤١٤هـ، المكتب الإسلامي، بيروت.
- (٩٣) العقيدة الواسطية: ابن تيمية، تحقيق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، ط الثانية، ١٤٢٠هـ، أضواء السلف، الرياض.
- (٩٤) العين: الخليل الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرئي، دار ومكتبة الهلال.

- (٩٥) فتاوى ابن تيمية: جمع وترتيب: عبدالرحمن بن قاسم النجدي، ط الأولى، ١٣٩٨ هـ، مطابع الحكومة، المملكة العربية السعودية.
- (٩٦) فجر الإسلام: أحمد أمين، ط العاشرة، ١٩٦٩ م، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
- (٩٧) الفرق الكلامية الإسلامية: مدخل ودراسة، د.علي عبدالفتاح المغربي، ط الثانية، ١٩٩٥ م، مكتبة وهبة، القاهرة.
- (٩٨) الفرق الكلامية: المشبهة، الأشاعرة، الماتريدية، ناصر عبدالكريم العقل، ط الأولى، ١٤٢٢ هـ، دار الوطن للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- (٩٩) الفرق بين الفرق: البغدادي، تحقيق: محمد عثمان الخشت، ط ١٩٨٨ م، مكتبة ابن سينا، مصر الجديدة، القاهرة.
- (١٠٠) الفصل في الملل والأهواء والنحل: ابن حزم، تحقيق: محمد إبراهيم نصر - عبدالرحمن عميرة، ط غير مذكورة، دار الجليل، بيروت.
- (١٠١) فضائح الباطنية: الغزالي، راجعه: محمد علي القطب، ط ٢٠٠١ م، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان.
- (١٠٢) الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة: عبدالرحمن عبدالخالق، ط الثانية، مكتبة ابن تيمية، الكويت.
- (١٠٣) الفكر الكلامي عند ابن خلدون: منى أبوزيد، ط الأولى، ١٩٧٧ م، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.
- (١٠٤) الفكر الواقعي عند ابن خلدون: ناصيف نصار، ط الثالثة، ١٩٩٤ م، دار الطليعة للنشر والتوزيع.
- (١٠٥) فلسفة ابن خلدون الاجتماعية: طه حسين، ترجمة: محمد عبدالله عنان، القاهرة، ١٤٢٥ هـ.
- (١٠٦) فلسفة التاريخ الخلدونية دور علم العمران في التاريخ وعلمه - أبويعرب المرزوقي، الدار المتوسطة للنشر - تونس ط ١٤٢٨ هـ
- (١٠٧) فلسفة التاريخ الخلدونية: أبويعرب المرزوقي، ط الأولى، ١٤٢٨ هـ، الدار المتوسطة، تونس.

- (١٠٨) الفهرست: ابن النديم: تحقيق: إبراهيم رمضان، ط الثانية، ١٩٩٧ م، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- (١٠٩) فوات الوفيات: لمحمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر الملقب بصلاح الدين (المتوفى: ٧٦٤هـ)، إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط الأولى، ١٩٧٣ م.
- (١١٠) في علم الكلام: دراسة فلسفية لآراء الفرق الإسلامية في أصول الدين، د. أحمد محمود صبحي، ط الخامسة، ١٩٨٥ م، بيروت، لبنان.
- (١١١) القاموس المحيط، مجد الدين أبوطاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط الثامنة، ١٤٢٦ هـ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.
- (١١٢) قصة الحضارة، لول ديورانت، تقديم: الدكتور محيي الدين صابر، ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمود وآخرين، الناشر: دار الجليل، بيروت، لبنان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- (١١٣) الكاشف: لشمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، تحقيق: محمد عوامة، أحمد محمد نمر الخطيب، دار القبلة للثقافة الإسلامية، مؤسسة علوم القرآن، جدة، ط الأولى، ١٤١٣ هـ، ١٩٩٢ م.
- (١١٤) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، راجعه وصححه: محمد يوسف الدقاق، ط الأولى، ١٩٨٧ م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- (١١٥) الكامل في اللغة والأدب، لمحمد بن يزيد المبرد، أبي العباس (المتوفى: ٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط الثالثة ١٤١٧ هـ، ١٩٩٧ م.
- (١١٦) كتاب القدر: أبوبكر جعفر بن محمد الفريابي، تحقيق: عبدالله بن حمد المنصور، ط الأولى، ١٤١٨ هـ، أضواء السلف.
- (١١٧) الكليات: أبو البقاء الكفوي، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، ط الثانية، ١٩٩٨ م، دار الرسالة، بيروت، لبنان.
- (١١٨) لباب المحصول في أصول الدين: ابن خلدون، تحقيق: عباس محمد سليمان، راجعه: محمد علي أبوريان، تصدير: فتحي أبو عيانة، ط ١٩٩٦ م، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر.

- (١١٩) لسان العرب: ابن منظور الأنصاري، ط الثالثة، ١٤١٤ هـ، دار صادر، بيروت، لبنان.
- (١٢٠) لسان الميزان ابن حجر العسقلاني، المحقق: عبد الفتاح أبو غدة، دار النشر: مكتب المطبوعات الإسلامية.
- (١٢١) لسان الميزان: ابن حجر أبو الفضل العسقلاني، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت ط الثالثة، ١٤٠٦ هـ، ١٩٨٦ م، تحقيق: دائرة المعارف النظامية، الهند.
- (١٢٢) الماتريدية دراسة وتقويماً: أحمد بن عوض الله بن داخل اللهبي الحربي، ط الأولى، ١٤١٣ هـ، دار العاصمة للنشر والتوزيع.
- (١٢٣) ماسينيون ومصطفى عبدالرازق، ترجمة: دائرة المعارف الإسلامية، ط الأولى، ١٩٨٤ م، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، بيروت، لبنان.
- (١٢٤) مباحث في علوم القرآن: مناع القطان، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط الثالثة، ١٤٢١ هـ، ٢٠٠٠ م.
- (١٢٥) مختار الصحاح: زين الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر الحنفي الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط الخامسة، ١٤٢٠ هـ.
- (١٢٦) المذاهب الصوفية ومدارسها: عبدالحكيم عبدالغني قاسم، ط الثانية، ١٩٩٩ م، مكتبة مدبولي، ميدان طلعت حرب، القاهرة.
- (١٢٧) مرآة الجنان وعبرة اليقظان: أبو محمد عفيف الدين عبدالله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي (المتوفى: ٧٦٨ هـ)، وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط الأولى، ١٤١٧ هـ، ١٩٩٧ م.
- (١٢٨) مروج الذهب ومعادن الجوهر: المسعودي، ط الثانية، ١٩٩٠ م، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، لبنان.
- (١٢٩) المستدرك على الصحيحين للحاكم (٤/ ٨٥ حديث رقم ٦٩٦٢) لأبي عبدالله الحاكم محمد بن عبدالله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥ هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤١١ هـ، ١٩٩٠ م.
- (١٣٠) المستصفي: أبو حامد الغزالي، تحقيق: محمد عبدالسلام عبد الشافي، ط الأولى، ١٤١٣ هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- (١٣١) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ: لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، المتوفى: ٢٦١هـ، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الجليل، بيروت، ط مصورة من الطبعة التركية المطبوعة في استانبول سنة ١٣٣٤هـ.
- (١٣٢) المعتزلة بين القديم والحديث: محمد العبد وطارق عبدالحليم، ط الأولى، ١٩٨٧م، دار الأرقم، برمنغهام.
- (١٣٣) المعتزلة وأصولهم الخمسة: عواد بن عبدالله المعتق، ط الثانية، ١٤١٦هـ، مكتبة الرشد، الرياض.
- (١٣٤) معجم الأدباء: الحموي، تحقيق: إحسان عباس، ط الأولى، ١٤١٤هـ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.
- (١٣٥) معجم البلدان: ياقوت بن عبدالله الحموي، مادة شهرستان، الناشر: دار الفكر - بيروت.
- (١٣٦) المعجم الفلسفي: مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط ١٩٨٣م، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة.
- (١٣٧) مقاتل الطالبين: أبو الفرج الأصبهاني ص ٨٤، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعرفة، بيروت.
- (١٣٨) مقالات الإسلاميين: الأشعري، علي بن إسماعيل الأشعري أبو الحسن، تحقيق: هلموت ريتز، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط الثالثة.
- (١٣٩) مقالات الفرق، أبوزيد محمد مكّي، ط الأولى، ٢٠٠٨م، دار الخراز، جدة، المملكة العربية السعودية.
- (١٤٠) المقدمة: ابن خلدون، تحقيق: عبدالسلام الشدادى، ط الأولى، ٢٠٠٥م، الدار البيضاء.
- (١٤١) الملل والنحل: الشهرستاني، تحقيق: أمير علي مهنا، علي حسن فاعور، ط الثالثة، ١٩٩٣م، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- (١٤٢) مناهج البحث: د. عبدالرحمن بدوي، ط الثالثة، ١٩٧٧م، وكالة المطبوعات بالكويت.
- (١٤٣) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن الجوزي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

- (١٤٤) منطق ابن خلدون: الدكتور علي الوردي، ط الأولى، ٢٠٠٩م، شركة الوراق للنشر المحدودة.
- (١٤٥) منطق ابن خلدون: علي الوردي، ط الأولى، ٢٠٠٩م، شركة دار الوراق للنشر المحدودة، بغداد.
- (١٤٦) منهجية البحث العلمي وضوابطه: الدكتور: حلمي عبدالمنعم صابر، العدد(١٨٣)، ١٩٩٧م، سلسلة دعوة الحق، رابطة العالم الإسلامي.
- (١٤٧) منهجية البحث العلمي، فريق صناع الحياة، سيدي مروان، ميله الجزائر، ٢٠٠٨م.
- (١٤٨) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار: تقي الدين المقريري، ط الأولى، ١٤١٨هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
- (١٤٩) موسوعة الفلسفة له، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط الأولى، ١٩٩٦م.
- (١٥٠) الموسوعة الفلسفية وضع لجنة من العلماء السوفييت، ترجمة: سمير كرم، ط الثانية، ١٩٨٠م، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت.
- (١٥١) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة: إشراف ومراجعة: مانع الجهني، ط الثالثة، ١٤١٨هـ، دار الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، مكة المكرمة.
- (١٥٢) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: لمحمد بن علي بن القاضي محمد حامد بن محمد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (المتوفى: بعد ١١٥٨هـ)، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبدالله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، ط الأولى، ١٩٩٦م، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت.
- (١٥٣) موقف ابن تيمية من الأشاعرة: عبدالرحمن المحمود، ط الأولى، ١٤١٥هـ، مكتبة الرشد، الرياض.
- (١٥٤) موقف الإسلام من التصوف: عمر عطا الله أبوأصبع، مخطوطة، ماجستير، ١٩٧٨م، معهد الدراسات الإسلامية، وزارة التعليم العالي.
- (١٥٥) ميزان الاعتدال في نقد الرجال: الذهبي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبدالموجود.

- (١٥٦) ناصيف نصار علم الاستقلال الفلسفي: مجموعة من المؤلفين، ط ٢٠٠٨م، الجامعة الأنطوانية، بيروت.
- (١٥٧) النبوات: ابن تيمية، تحقيق: عبدالعزيز بن صالح الطويان، ط الأولى، ١٤٢٠هـ، أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- (١٥٨) نزهة المقلتين في أخبار الدولتين: ابن الطوير، تحقيق: أيمن فؤاد سيد. ص ١ ط الأولى ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، دار فرانتس شتايز شتوتغارت.
- (١٥٩) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: علي سامي النشار، ط الثامنة، دار المعارف، القاهرة.
- (١٦٠) نشأة الفكر الفلسفي: سامي نشار، ط التاسعة، دار المعارف، كورنيش النيل، القاهرة.
- (١٦١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: التلمساني، دار صادر - بيروت، ١٩٦٨م، تحقيق: د. إحسان عباس.
- (١٦٢) نفح الطيب: التلمساني، تحقيق: إحسان عباس، ط الأولى، ١٩٩٧م، دار صادر، بيروت، لبنان.
- (١٦٣) الوافي بالوفيات، لصلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.
- (١٦٤) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: ابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، ط الأولى، ١٩٧١م، دار صادر، بيروت، لبنان.
- (١٦٥) وفيات المشاهير والأعلام: الذهبي، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، لبنان/ بيروت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ط الأولى.
- (١٦٦) الوفيات: لأبي العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب، تحقيق: عادل نويهض، دار الإقامة الجديدة، ١٩٧٨م، بيروت.
- (١٦٧) يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر: الثعالبي، تحقيق: مفيد قميحة، ط الأولى، ١٩٨٣م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٣	ملخص الرسالة
٤	Abstract
٥	المقدمة
٦	أهمية الموضوع وأسباب اختياره
٧	أهمية البحث
٨	الدراسات السابقة
٩	منهج البحث
٩	طريقة البحث
١٠	خطة البحث
١٣	التهييد
١٥	المبحث الأول: التعريف بالمنهج
١٥	أولاً: تعريف المنهج في اللغة والاصطلاح
١٨	ثانياً: نشأة المنهج
٢١	المبحث الثاني: التعريف بابن خلدون
٢١	أولاً: حياته الشخصية
٢٦	ثانياً: حياته العلمية

الصفحة	الموضوع
٣٥	المبحث الثالث: التعريف بالفرق
٣٥	أولاً: معنى الفرق في اللغة والاصطلاح
٣٨	ثانياً: نشأة الفرق وأسبابها
٤٢	ثالثاً: أقسام الفرق وأحكامها
٤٤	الفصل الأول: المنهجية التي بنى عليها ابن خلدون دراسته للفرق
٤٦	المبحث الأول أصول منهج ابن خلدون في دراسته للفرق
٤٦	أولاً: أقسام العلوم عند ابن خلدون
٤٧	ثانياً: أصول منهج ابن خلدون في دراسته للفرق
٥٣	المبحث الثاني: المصادر التي اعتمدها ابن خلدون في دراسته للفرق
٥٣	أولاً: المنبع الشرعي لابن خلدون
٥٥	ثانياً: المصادر التي اعتمدها ابن خلدون في دراسته للفرق.
٨٣	المبحث الثالث عوامل نشأة الفرق عند ابن خلدون
٨٣	توطئة
٨٣	أولاً: اتباع المتشابه
٨٩	ثانياً: العصبيّة
٩٤	ثالثاً: العامل الخارجي
٩٥	رابعاً: الترجمة
١٠٠	المبحث الرابع: القواعد المنهجية التي اعتمدها ابن خلدون في دراسة الفرق
١٠٠	أولاً: ملامح المنهج الخلدوني
١٠٢	ثانياً: قواعد منهجه العامة
١٠٨	ثالثاً: قواعده المنهجية في دراسة الفرق

الصفحة	الموضوع
١١٣	المبحث الخامس خصائص منهج ابن خلدون ومميزاته
١١٣	أولاً: معالم المنهج الخلدوني
١١٦	ثانياً: خصائص المنهج الخلدوني
١٢٦	الفصل الثاني: الفرق التي تناولها ابن خلدون بالدراسة (دراسة تطبيقية)
١٢٨	المبحث الأول دراسته لفرقة الخوارج
١٢٨	أولاً: تعريف الخوارج
١٢٨	ثانياً: نشأة الخوارج
١٣٢	ثالثاً: فرق الخوارج
١٣٧	رابعاً: أهم معتقداتهم
١٣٩	خامساً: ابن خلدون والخوارج "دراسة تطبيقية"
١٤٦	سادساً: تحليل ومناقشة
١٤٩	المبحث الثاني دراسته لفرقة الشيعة
١٤٩	أولاً: التعريف بالشيعة
١٥٠	ثانياً: نشأة الشيعة ومراحلهم
١٥٦	ثالثاً: فرق الشيعة
١٦٣	رابعاً: ابن خلدون والشيعة "دراسة تطبيقية"
١٦٩	خامساً: تحليل ومناقشة
١٧٦	المبحث الثالث: دراسته للفرق الكلامية
١٧٦	أولاً: التعريف وأسباب التسمية
١٨٠	ثانياً: نشأة علم الكلام

الصفحة	الموضوع
١٨٣	ثالثاً: أهم الفرق الكلامية
٢٠٢	رابعاً: ابن خلدون والفرق الكلامية "دراسة تطبيقية"
٢١٤	خامساً: تحليل ومناقشة
٢١٩	المبحث الرابع دراسته للتصوف والصوفية
٢١٩	أولاً: التعريف والتسمية
٢٢٢	ثانياً: مراحل التصوف
٢٢٦	ثالثاً: أهم معتقداتهم
٢٢٧	رابعاً: ابن خلدون والتصوف والصوفية "دراسة تطبيقية"
٢٤١	خامساً: تحليل ومناقشة
٢٤٥	المبحث الخامس دراسته لفرق الباطنية والفلاسفة
٢٤٥	توطئة
٢٤٦	أولاً: تعريف الباطنية
٢٤٧	ثانياً: أشهر فرقها وأهم معتقداتها
٢٥٠	ثالثاً: أهم معتقداتها وآرائها
٢٥١	رابعاً: ابن خلدون والفرق الباطنية "دراسة تطبيقية"
٢٦٦	خامساً: تحليل ومناقشة
٢٧٠	سادساً: تعريف الفلسفة ومراحلها الأولى
٢٧٢	سابعاً: ابن خلدون والفلسفة "دراسة تطبيقية"
٢٨٢	ثامناً: تحليل ومناقشة
٢٨٤	الخاتمة

الصفحة	الموضوع
٢٨٧	الفهارس
٢٨٨	فهرس الآيات القرآنية
٢٩٠	فهرس الأحاديث والآثار
٢٩٢	فهرس الأعلام
٣٠٤	فهرس الكلمات المعرّفة
٣٠٥	فهرس المصادر والمراجع
٣١٩	فهرس الموضوعات

